شعائر

شهرية تعنى بالمعرفة الدينية الإسلامية والثقافة الأخلاقية
العدد التاسع والأربعون، السنة الخامسة، جمادى الثانية ١٤٣٥ - نيسان ٢٠١٤

للملف:
الزّهراء عليها السّلام، جَوهرةُ القُدْسِ مِن الكَنْزِ الخَفيّ

أحسن الحديث
الصبر والصلاة، إعدادٌ إلهي

لولا دعاؤكم
الأنس بالله تعالى في الشدائد

فكر ونظر
ثلاثية الإيمان والمعرفة والأخلاق

أيها العزيز
الإمام الخميني:
التفكّر طلب، والتذكّر وجود

مرابطة
مجلة القدس العربي:
حزب الله ذخرٌ استراتيجيّ للأمّة

بسملة: نهايةُ صَنَمِ التّحريف

هذه المجلّة

شعائر

الإسلام «فقه القلب والحياة» وخاتمة الرسالات الإلهية للعالم كله، لذلك تحرص «شعائر» على:

تقديم المفاهيم الإسلامية في سياقها الإنساني ـ الإجتماعي: الفرد في قلب حركة الحياة، وفي سياقها العالمي: «الحمد لله رب العالمين». والأسرة الواحدة: «يا بني آدم»، «ياأيها الناس»، «كلمة سواء».

تظهير ثقافة «شعائر الله» بما هي ثقافة «حبِّ الله»، الدليل على سلامة الإعتقاد به سبحانه، وعليه يتفرع كل حب سليم، «وهل الدين إلا الحب».

نشر ثقافة «الشعائر» بالإختيار من بين الأجود لجودته، وبقطع النظر عن أي اعتبار آخر.

مقياس الجودة: الإنسجام مع الثوابت العقائدية والشرعية وحسن العرض، ومخاطبة العقل والقلب، والتوازن بين النظرية والتطبيق بما يعني خاصّة من عدم ضمور البعد العملي.

أولوية ثقافة الشعائر العقائدية- الولائية: «من أراد الله بدأ بكم»، «بكم ائتلفت الفُرقة». والأخلاقية: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

تظهير منظومة ثقافة «شعائر الله» في البعد الفكري والثقافي والأخلاقي، كناظم إلهي قانوني للمعتقد والسلوك والحرية، عبر مرجعية القرآن الكريم، والحديث الشريف الصادر، لتأخذ «الشعائر» مدارها، كما حدد النص المعصوم تراتبيتها والأولويات، في مساري الأحكام الخمسة، والأعمال المؤقتة.

نلتزم بعناية تظهير أنظمة العبادات الموزعة على مساحة العمر والحالات، في مجالي تهذيب النفس، وتحصينها من الآفات، ومردّ هذه العناية كون التطبيق والعملانية محور الشعائر وجوهرها، لملامسة الشعائر للمشاعر، وكونها تتلخّص في حثّ النفس على العمل في صراط الفطرة.

شعائر

مجلة شهريّة تُعنى بالمعرفة الدينيّة الإسلاميّة والثقافة الأخلاقيّة

تصدر عن المركز الإسلاميّ في بيروت

علم وخبر 287/ 2009

العدد التاسع والأربعون، السنة الخامسة، جمادى الثانية ١٤٣٥- نيسان ٢٠١٤

المدير المسؤول

خضر إبراهيم حيدر

الإخراج الفنّي

أحمد شقير - محمد كوراني

الخطّاط

علي زينة

الإشتراك السنوي

داخل لبنان 60 ألف ليرة لبنانية بما فيه أجور البريد

دول عربية وإسلامية، وأوروبا وأمريكا الشمالية

تضاف أجور البريد

الأسعار

لبنان: ٥٠٠٠ ل.ل. - سوريا: ٥٠٠ ل.س. - العراق: ٤٠٠٠ دينار - مصر: ١٧ جنيه - السودان: ٢٠ جنيه

المغرب: ٣٠ درهم - الجزائر: ٢٥ دينار - السعوديّة: ٢٠ ريال - تونس: ٣ دينار - اليمن: ٢٢٥ ريال - الأردن: ٢ دينار

- الإمارات: ١٥ درهم- البحرين: ١،٥ دينار - قطر: ٢٠ ريال - الكويت: ١،٢٥ دينار - عمان: ١،٥ ريال

تضاف أجور البريد

العنوان

بيروت - الرويس - المركز الإسلامي

03/725246 - 01/544955

ص.ب: 25/5141

www.saraer.org/shaaer

shaaer@saraer.org

شعائر

مجلة شهريّة تعنى بالمعرفة الدينيّة الإسلاميّة والثقافة الأخلاقيّة
تصدر عن المركز الإسلاميّ في بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات العدد

بسملة — نهايةُ صَنَمِ التّحريف ..... الشيخ حسين كوراني ٦

تحقيق — العلاقات السّعوديّة – "الإسرائيليّة"؟ ..... إعداد: "شعائر" ٨

مراقبات — أعمال شهر جُمادى الثّانية ..... إعداد: "شعائر" ١٣

أحسن الحديث — الصّبر والصّلاة، إعدادٌ إلهيّ ..... العلّامة الطّباطبائيّ قدّس سرّه ١٦

موجز تفسير سورة "الفتح" ..... إعداد: سليمان بيضون ١٩

أيام الله — مناسبات شهر جمادى الثّانية ..... إعداد: صافي رزق ٢١

وقال الرسول — الإطعام قوتُ الأرواح ..... إعداد: محمّد ناصر ٢٤

حدود الله — في تعقيب الفرائض ..... الشّيخ محمّد أمين زين الدّين قدّس سرّه ٢٥

يزكّيهم — الصّلاة أفضلُ الذّكر، وأحلاه ..... الشّيخ بهجت قدّس سرّه ٢٦

الملف — الزّهراء عليها السلام، جَوهرةُ القُدْسِ مِن الكَنْزِ الخَفيّ ٢٧

استهلال: الصّحيفة الفاطميّة ..... من (دلائل الإمامة) للطّبَري ٢٨

موجزٌ في السّيرة وبعض المقامات ..... اللّجنة العلميّة م. الإمام الصّادق عليه السلام ٢٩

آفاق معرفة الزّهراء عليها السّلام ..... الشّيخ حسين كوراني ٣٢

حوارات

حوار السيّد الطهراني مع صاحب (الميزان)

لولا دعاؤكم — الأُنسُ بالله تعالى حال المرض ..... برواية القطب الرّاونديّ رحمه الله ٤٣

صاحب الأمر — السّفير الثّالث: الحسين بن روح ..... السّيّد محسن الأمين رحمه الله ٤٤

محتويات العدد

كتاباً موقوتا	سجدةُ الشُّكر	السّيّد محمّد صادق الصّدر رحمه الله	٤٦
يذكرون	المداومة على تلاوة سورة "الواقعة"	الشّهيد السّيّد دستغيب رحمه الله	٤٧
حوارات	حوار السيّد الطهراني مع صاحب (الميزان)	إعداد: "شعائر"	٤٨
فكر ونظر	الغزو الثّقافيّ المعاصر، والموقف منه	الشّيخ عبد الهادي الفضلي رحمه الله	٥٢
	حقّانيّة الحوار	أ. محمود حيدر	٥٤
أعلام	الفقيه ابن البرّاج الطّرابلسيّ	إعداد: سليمان بيضون	٥٧
كلمة سواء	أدبُ الجدال	السّيّد علي الميلاني	٦١
وصايا	من توجيهات العارف آية الله الهمدانيّ	الشّيخ حسين قُلي الهمدانيّ قدس سره	٦٢
مرابطة	حزبُ الله ذُخر استراتيجيّ للأمّة	د. فايز رشيد	٦٤
وثائق	مَن حادَ عنهم فهو من أهل النّار!	إعداد: "شعائر"	٦٦
دوائر ثقافية			٦٧
موقف	"..لَوفاؤكم له بعد موتِهِ أعجبُ"	الشّيخ علي مياجي	٦٨
فرائد	"..فأقرِئهُ منّي السّلام"	إعداد: "شعائر"	٦٩
قراءة في كتاب	"كنز الفوائد" للفقيه الكراجكي الطرابلسي	قراءة: سلام ياسين	٧٠
بصائر	الاستعاذة بالله تعالى	الشّيخ محمّد علي الأنصاري	٧٢
مصطلحات	العقل	الشّيخ حسن المصطفوي	٧٤
مصطلحات	الاستبداد	إعداد: "شعائر"	٧٥
مفكّرة	حكم ولغة / تاريخ وبلدان/ شعر	إعداد: جمال برو	٧٦
إصدارات	عربية، أجنبية، دوريات	إعداد: ياسر حمادة	٧٩
أيّها العزيز	التّفكُّر طلبٌ، والتّذكُّر وجود	الإمام الخميني قدس سره	٨٢

بسملة

نهايةُ صَنَمِ التّحريف

■ بقلم: الشيخ حسين كوراني

ما يجري الآن في عدّة مفاصل من العالم الإسلاميّ، يرسمُ نهايةَ صَنَمِ التّحريف.

والمقصودُ بالتّحريف، المشروعُ الأمويّ الذي جسّدَ الثّورة المضادّة للجاهليّة على الوحي والقرآن والسّيرة النّبويّة، وقيام الدّولة الإسلاميّة على يد رسول الله صلى الله عليه وآله.

لا يختلفُ مسلمان في أن تحوّلَ الخلافة إلى «**مُلك عَضُوض**» كان تعبيراً صارخاً عن بلوغ «**مشروع التّحريف**» مداه، حيث تسلّقَ «معاوية بن أبي سفيان» إلى موقع الحُكم باسم رسول الله والقرآن، وهو لم ينطق بالشّهادتين إلّا قبل وفاة النّبيّ الأعظم بخمسة أشهر.

يُجمِعُ علماءُ المسلمين، من الأوّلين والآخرين، على أنّ خلافة عليٍّ عليه السلام كانت الخلافةَ الشّرعيّة، وأنّ معاويةَ بَغى عليه، فهو من وجهة نظر القانون الفقهي الإسلامي من «البُغاة». ويُجمعون أيضاً على أنّ خلافةَ الإمام الحسن عليه السلام كانت الخلافةَ الإسلاميّة الشّرعيّة، ولا يُقِرّون لمعاوية بالخلافة، ولم يكن أهلاً لها حتّى لو كان قد وفى بشروط الصّلح التي تنكّر لها، وصرّح بأنّه كان يطلبُ المُلكَ والتّسلّط، فقال على المنبر في الكوفة: «مَا قاتلتُكم لتَصوموا ولا لتُصَلّوا، قد علمتُ أنّكم تفعلون ذلك، وإنّما قاتلتُكم لأَتأَمَّرَ عليكم».

***

باستثناء «عمر بن عبد العزيز»، ليس من «رموز أهل السّنّة» أيٌّ من آل أبي سفيان، وآل أبي العاص الأمويّين.

تلتقي كلمةُ الشّيعة مع السّنّة في أنّهم حَكموا باسم الإسلام وهو منهم بريء، وقد حذّر رسولُ الله صلى الله عليه وآله من الأُسرتَين الأمويّتَين، وبلغ حدَّ التّواتر قولُه صلّى الله عليه وآله: «**إذَا بلغَ بنو أبي العاص ثلاثينَ رجلاً اتّخذوا دينَ الله دَخَلاً، وعبادَ الله خوَلاً، ومالَ الله دُولاً**».

يرتكز المشروعُ الأمويُّ إلى الأُسس التّالية:

أوّلاً: إظهارُ الإسلام، وإسرارُ الإلحاد.

ثانياً: اعتمادُ اسم رسول الله «سُلَّماً» إلى التّسلّط والحكم. **قال عليٌّ عليه السلام**: «**ولولا أنّ قريشاً جعلت اسمَه ذريعةً إلى الرّياسة، وسُلَّماً إلى العزِّ والإمْرَة، لَما عبدت الله بعدَ موته يوماً واحداً..**».

ثالثاً: فصلُ الأمّة عن أهل البيت عليهم السلام لضمان استمرار مشروع التّحريف.

رابعاً: إطلاقُ الأخطبوط الإعلامي التّحريفي القائم على الوَضع والاختلاق، لإنجاز مسحِ ذاكرةِ أجيالِ صدر الإسلام، والتّأسيس لذاكرةٍ أمويّةٍ حولَ الأشخاص والمفاهيم، يُديرُها علماءُ البلاط الوضّاعون الذين باعوا دينَهم بدنيا غيرهم، ليُحرِّفوا الكَلِمَ عن مواضعه.

وخلال ألف شهرٍ من «المُلك العضوض» الذي أرسى التّحريفُ الأمويُّ - السّفيانيُّ أُسسَه المادّيّة، تكاملَ مشروعٌ تحريفيٌّ يُمَكِّنُ اعتمادُه من التّسلُّل إلى الحكم باسم الإسلام.

وجاءَ العبّاسيّون كنقيضٍ للأمويّين، إلّا أنّهم تنبَّهوا إلى أنّ استمرار حكمِهم يحتّمُ استمرارَ نفس المشروع التّحريفيّ السّفيانيّ، لتحقيقِ الفصلِ بين الأمّة وبينَ أهلِ البيت عليهم السلام.

طالَ ليلُ الأمّة التّحريفيّ، ودارت دورةُ الزّمن و التّظاهر بالإسلام مع العبّاسيّين وبعدهم، إلى القرن السّابع، حيث شكّلَ «ابنُ تيميّة» ظاهرةً أمويّةً بامتياز، تتحرّكُ في العقيدة والفقه خارجَ دائرة إجماع علماء الأمّة، فتصدّى له العلماءُ السّنّة، قبل الشّيعة. **قال الإمامُ السَّبْكيّ**: «يَحسنُ التّوسلُ بالنّبيّ إلى ربّه، ولم يُنكره أحدٌ من السّلَف ولا الخَلف، إلّا ابنُ تيميّة، فابتدعَ ما لم يَقله عالمٌ قبلَه». وقال «العزّ بن جماعة»: «إنه ضالٌّ مُضِلّ».

وقال الإمام الذّهبيّ لابن تيميّة: «يا ليتَ أحاديثَ الصّحيحَين تسلمُ منك، بل في كلِّ وقتٍ تُغيّرُ عليها بالتّضعيفِ والإهدار، أو بالتّأويلِ والإنكار».

وتمّت محاكمتُه، و«استُتيبَ مرّاتٍ في أمورٍ خَطِرَةٍ، وهو ينقضُ مواثيقَه وعهودَه في كلّ مرّة».

وقال أحدُ العلماء السّنّة فيه وفي جمهوره وأتباعه: «والغريبُ أنّ أتباعَ هذا الرَّجل يسيرون وراءَه ويتَشبّهون به في إثارةِ القلاقلِ والفتَنِ بينَ الأُمّة، بمواجهتها بالحُكم على أفرادها بالشّرك والزَّيْغ والكفرِ وعبادةِ الأوثان والطّواغيت، يَعنونَ أحبابَ الله الأنبياء والأولياء، يقولون إنّ مَن يزورُهم يكونُ عابدَ الأوثان والطّواغيت، ومن هذا الطّرازِ في زمننا كثيرٌ، نَراهم بأَعيُننا ونسمعُهم بآذاننا، طهَّرَ اللهُ الأرضَ منهم وأراحَ العبادَ من شرِّهم».

***

ودارت دورةُ الزّمن إلى أن وجدَ المستعمرُ البريطانيُّ بُغيتَه في هذا المشروع الأمويّ السّفيانيّ الذي تقمّصَه الإبن تَيميّون الوهّابيّون، فهو السّبيلُ الوحيدُ والحصريّ إلى فصلِ الأمّة عن رسول الله صلى الله عليه وآله، والقضاء على الإسلام.

توصّلَ العقلُ التّآمريُّ الاستعماريُّ إلى اعتمادِ هذا المشروع وتثبيتِ «صَنَمِه» ليُعبَدَ من دون الله باسمِ «الدّفاع عن التّوحيد»، وأقاموا له أَزْلاماً ونُصُباً في كلِّ بلد.

زادَ البريطانيّين قناعةً بصنمِ التّحريف هذا، سببان رئيسان:

١- التّداخلُ النَّسَبيُّ والسَّببيّ بين الإبن تيميّين المعاصرين، وبين اليهود، كما كان الحالُ في زمن «معاوية»، حيث كان «آل أبي مُعَيَط» خطّاً يهوديّاً أُلحِقَ ببَني أميّة، ومن أبرز أركانه الوليدُ بن عقبة، الذي نزلَ القرآنُ بالتّحذيرِ منه.

٢- الموقعُ الجغرافيُّ والثّرواتُ المتاحةُ التي يُمكنُ أن توظَّف - وقد وُظِّفَت بالفعل - لتحويلِ هذا المشروع إلى تيّارٍ شعبيٍّ في العديدِ من البلدان الإسلاميّة، يعتمدُ نفسَ أُسسِ المشروعِ الأمويّ، خصوصاً في شبكة الوضعِ وَوُعّاظ السّلاطين، وشراءِ الذِّمَم.

***

ليست ظاهرةُ التّكفير وفتنتُها الرّاهنةُ إلّا نتائج هذا المشروع الأمويّ التّحريفيّ.

ما يجري الآن، هو بدايةُ نهاية صنمِ التّحريف الأمويّ - اليهوديّ - الإبن تَيميّ - الوهّابيّ.

في الشّام تعاظمَ هذا التّحريفُ في بداياته، و في الشّام يجري الآنَ دفنُه وبئسَ المصير.

وتَمضي الأمّةُ قُدُماً، شيعةً وسُنّةً، في صراطِ الله المستقيم، نحوَ مستقبلِ عالميّةِ الإسلام والتّوحيد، والمهديُّ المنتَظر عجل الله فرجه الشريف، ليتَحقَّقَ وعدُ الله تعالى بإظهار دينِه على الدّين كلِّه ولو كَرِهَ الكافرونَ والمُشركون.

العلاقات السّعوديّة - «الإسرائيليّة»؟
تساؤلات مركزيّة .. بانتظار الموقف الرّسمي منها

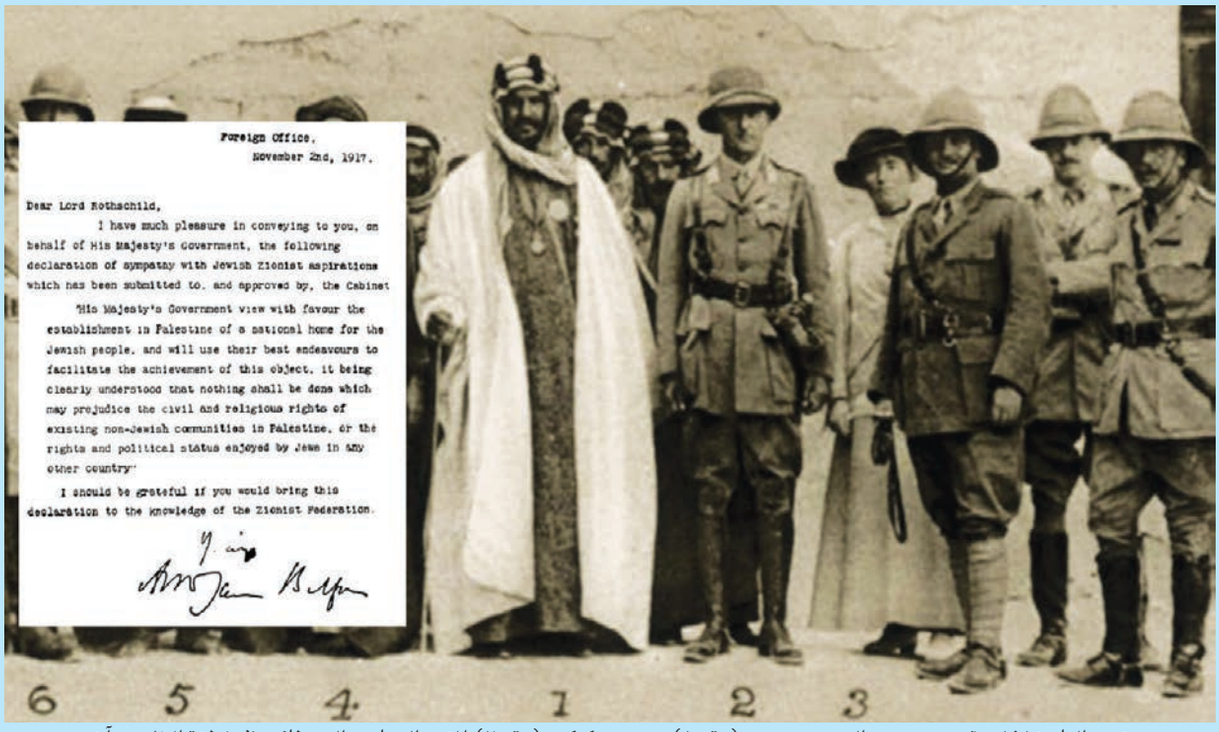

صورة من العام ١٩١٥م، تجمع بين عبد العزيز بن سعود (رقم ١)، وبيرسي كوكس (رقم ٢) المقيم السياسي البريطاني في منطقة الخليج، وآخرين.
وفي الإطار صورة عن «وعد بلفور» لليهود، موقّع باسم وزير الخارجية البريطاني آرثر جيمس بلفور، سنة ١٩١٧م.

إعداد: «شعائر»

تقول هذه الوثائق: لطالما كانت علاقات التّعاون والتّشاور والتّعاضد قائمةً بين المملكة العربيّة السّعوديّة، وبين الكيان الصّهيوني الغاصب لأرض فلسطين، عبر «رسميّين» أو غيرهم ممّن لم يكونوا ذوي صفة رسميّة في جهاز الدّولة ومؤسّساتها.

ويُعيد بعض الباحثين - والعهدة عليه - بدء التّواصل بين الطّرفين إلى العام ١٩٣٩م، على هامش مؤتمرٍ عُقد في العاصمة البريطانيّة لندن حول القضية الفلسطينيّة، أي قبل إنشاء الكيان الغاصب، حيث تمّ لقاءٌ بين كلٍّ من فيصل بن عبد العزيز وزير الخارجية آنذاك، وأعضاء الوفد اليهودي إلى المؤتمر.

ويقول آخرون إنّ التّأريخ للعلاقة بين الطّرفَين يبدأ من العام ١٩٢٢م، مستعرضين التّعهّد الخطّي المنسوب إلى الملك عبد العزيز بـ «أن أُعطي فلسطين للمساكين اليهود».

وبإزاء هذَين الرّأيين، تبرزُ نظريّةٌ ثالثة ومحصّلها أنّ دواعي إنشاء الكيانَين الصّهيوني والسّعودي من قبل الاستعمار البريطاني واحدة، كما يرى أصحاب هذا الرأي.

وقد قامت «شعائر» بجولة في هذه الوثائق لتقدّم منها تحقيقاً هو وجهة نظرٍ منشورة على نطاقٍ واسع، لم نطّلع حتى الآن على نفيها أو التّشكيك بدقّتها، سواء كان هذا النّفي رسميّاً أو صادراً عن أشخاص، أو جهات غير رسميّة.

إذا كان مؤتمر مدريد ١٩٩١م يُعدّ محطّةً فاصلةً في العلاقات السّعوديّة - (الإسرائيليّة)، كونه وفّر الغطاء الشّرعيّ للاتّصالات شبه العلنيّة بين البلدَين، فإنّ حرب تمّوز ٢٠٠٦م أعطت زخماً أعظم للتّواصل والتّنسيق (الإسرائيليّ) - السّعوديّ، ضدّ المحور السّوريّ - الإيرانيّ، إضافةً إلى حزب الله، وحماس. أي أنّ العلاقات السّعوديّة -(الإسرائيليّة) صار لها هدفٌ إقليميٌّ واضح، مدعوماً بغطاءٍ أميركيٍّ غربيٍّ، وتشارك فيه مصر [هذه المعلومات وردت في تقرير أُعدّ سنة ٢٠٠٨م]، والأردنّ، والسّلطة الفلسطينيّة.

الملك عبد الله لحركة حماس: «عدوّكم إيران»!

تركي الفيصل: حضر حفلاً للتجمعات اليهودية المتحدة في واشنطن. وهنا يبدو مع عميل الموساد يوسي آلفر.

عادل الجبير: التقى سنة ٢٠٠٦م نائب وزير الحرب الصّهيوني.

ما ميّز تلك المرحلة هو إعادة رسم خارطة الأعداء والحلفاء، فقد أُسقِطت عداوة (إسرائيل)، وهذا ما قاله الملك السّعوديّ عبدالله في اجتماعه مع حماس قبيل توقيع اتّفاق مكّة ٢٠٠٧م، والّذي أشار فيه بدون لبْسٍ بأنّ: «عدوّكم إيران»!

لم يعد الموضوع اليوم قضيّة فلسطين، بل قضيّة إيران، والغطاء: صراع سنّيٌّ شيعيٌّ، تخوضه السّعوديّة باسم العرب والمسلمين. أمّا الصّراع (الإسرائيليّ) - العربيّ فمؤجّل، لأنّ أهمّيّته تضاءلت كثيراً، وحبّذا لو حُلّ بأيّ طريقةٍ للتّفرُّغ للعدوّ الأكبر!

يعبّر عن هذه الانطلاقة الجديدة في العلاقات، بل «العناق الاستراتيجيّ» الكاتب الصّحافيّ سيمور هيرش في مقالته: «إعادة التّوجيه» [في مجلّة «نيويوركر» بتاريخ ٥/ ٣/ ٢٠٠٧م] بقوله:

«إنّ التّحوّل في السّياسة دفع السّعوديّة و(إسرائيل) إلى ما يشبه العناق الاستراتيجيّ الجديد، لا سيّما أنّ كِلا البلدين ينظر إلى إيران على أنّها تهديدٌ وُجوديّ، وقد دخل الطّرفان في محادثاتٍ مباشرةٍ، حيث يعتقد السّعوديّون أنّ استقراراً أوسع في (إسرائيل) وفلسطين سيعطي لإيران نفوذاً أقلّ في المنطقة، ومن ثمّ أصبح السّعوديّون أكثر تدخّلاً في المفاوضات العربيّة - (الإسرائيليّة).

وخلال العام الماضي [٢٠٠٦م]، توصّل السّعوديّون و(الإسرائيليّون) وإدارة بوش إلى سلسلةٍ من الاتّفاقات - غير الرّسميّة - حول توجّههم الاستراتيجيّ الجديد، وقد شمل هذا الأمر عناصر، أهمّها: طمأنة (إسرائيل) إلى أنّ أمنَها هو الأمر الأسمى، وأنّ واشنطن والسّعوديّة والدّول الخليجيّة الأخرى تشاركها قلقها حول إيران. ولقد بدأت الرّياض اتّصالاتها مع (الإسرائيليّين) والجمعيّات اليهوديّة المؤيّدة للدّولة الصّهيونيّة في الولايات المتّحدة منذ أكثر من عقدٍ، وهو تقاربٌ حَظِيَ بمباركة الإدارة الأميركيّة على طول الخطّ، ولكنّه لم يكن علنيّاً، بل ظلّ مقتصراً على القنوات الدّبلوماسيّة المفتوحة بين الجهتَين، وكان مهندس هذه القنوات الأمير بندر بن سلطان، السّفير السّعوديّ الأسبق لدى واشنطن، الّذي اعتبرته الصُّحف (الإسرائيليّة) صلةَ الوصل بين الدّولة الصّهيونيّة وجيرانها».

وإذا كان مؤتمر مدريد انطلاقةً متقدّمةً للقاءاتٍ سعوديّة (إسرائيليّة)، ظهر فيها السّفير السّعوديّ في واشنطن الأمير بندر، ونائبُه الّذي يمثّل يده اليمنى عادل الجبير، فإنّ الرّجال لم يتغيّروا، فمفاصل الارتباطات مع (إسرائيل) يديرها بشكلٍ أساس بندر، ثمّ عادل الجبير، وتركي الفيصل، الّذي رغم استقالته كسفيرٍ، لا زال فاعلاً في ذات الاتّجاه.

لقد كُتِب الكثير عن دور بندر بشأن اتّفاق مدريد، وكيف أنّه كان دائم التّردّد أيّام أوسلو على السّفير (الإسرائيليّ) في واشنطن، وأيضاً كيف أنّ بندر كان يعمل أمام كلّ مأزقٍ يعترض المفاوضات الفلسطينيّة - (الإسرائيليّة) على أساس الضّغط على الطّرف الأضعف، أي الفلسطينيّ، للتّنازل.

أمّا السّفير السّعوديّ الحاليّ في واشنطن، عادل الجبير، فكان اليد الضّاربة لبندر، ثمّ أصبح مستقلّاً بعد أن صار سفيراً. فقبل نحو عامٍ مثلاً [أي في آذار/ مارس٢٠٠٧م] رتّب ديفيد وولش، رئيس قسم الشّرق الأوسط في الخارجيّة الأميركيّة لقاءً بين الجبير

وإفرايم سنيه، نائب وزير الدّفاع (الإسرائيليّ) السّابق، وكان اللّقاء قد تمّ قبيل انعقاد قمّة الرّياض، الّتي أكّدت من جديد على المبادرة العربيّة للسّلام، أي المبادرة السّعوديّة الّتي سوَّقها توماس فريدمان الصّحافيّ الأميركيّ الصّهيونيّ، أثناء زيارته للرّياض ولقائه بالملك عبدالله، الّذي كان وليّاً للعهد.

وكان الجبير قد نظّم مرّاتٍ عديدة زيارات لأعضاء كونغرس يهود للرّياض ليقابلوا مسؤولين سعوديّين، خاصّةً بعد هجمات أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١م، شملت إحداها توماس فريدمان، اليهوديّ الّذي شغل مدير مكتب «الواشنطن بوست» في (إسرائيل) لعشر سنوات، وهناك أطلعه الملك عبدالله على مبادرته للسّلام قبل أن يُطلِع عليها العرب المعنيّين بالقضيّة، ويوافقوا عليها في مؤتمر بيروت ٢٠٠٢م.

وينظر (الإسرائيليّون) - حسب صحافتهم - إلى الجبير بأنّه كان منذ التّسعينيّات الميلاديّة الماضية على اتّصالٍ وتنسيقٍ مع الجماعات الصّهيونيّة في واشنطن، بما فيها منظّمة «أيباك»، وأنّه أقام علاقاتٍ واسعة مع مسؤولين (إسرائيليّين) كَيوسي بيلين، الّذي شغل منصب وزير العدل.

وبالرّغم من تركه منصبه، فإنّ تركي الفيصل لا زال على علاقةٍ وثيقةٍ مع (الإسرائيليّين)، وكان ظهوره في كانون الأوّل/ يناير ٢٠٠٧ في حفل استقبالٍ أقامه ويليام داروف، مدير مكتب واشنطن للتّجمعات اليّهوديّة المتّحدة، حدثاً غير مسبوق.

أمّا بندر، فالأهمّ هو دوره في ما جرى بعد قيام حرب تمّوز ٢٠٠٦م؛ فما أن انتهت الحرب الّتي أدان فيها آلُ سعود حزبَ الله «المُغامِر»، وشجّعوا (إسرائيل) على مواصلتها، حتّى التقى بندر بإيهود أولمرت في العاصمة الأردنيّة، في أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٦م، وهو أمرٌ كَتبت عنه الصّحافةُ كثيراً، اللّقاء الّذي اعتبره السّفير (الإسرائيليّ) في واشنطن دانيال أيالون، الأعلى مستوى في تاريخ العلاقات السّعوديّة (الإسرائيليّة) - حسب علمه.

كان ذلك اللّقاء استفتاحاً للقاءٍ جرى في نفس الشّهر، وبالتّحديد في ١٨ من أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٦م، حين استضاف الملك الأردنيّ في قصره بالعقَبة، وفداً (إسرائيليّاً) ترأّسه رئيس الموساد مائير داغان، ومسؤولين آخرين: يوران تربويتز، وجادي شاماني، وهما مستشاران لدى أولمرت، فيما رافق بندر ثلاثة مساعدين من جهاز الاستخبارات السّعوديّ، أمّا الملك الأردنيّ فحضر بمعيّة رئيس المخابرات الأردنيّة الجنرال محمّد الذّهبيّ، والسّفير الأردنيّ في تل أبيب علي العايد.

عيّنات موثّقة من تاريخ العلاقات السّعوديّة - (الإسرائيليّة)

١- (مجلّة نيوزويك وصحيفة الواشنطن بوست، ١٧ شباط/ فبراير ١٩٩٢م): «واجه عبد العزيز محنةً صعبةً هدّدت العرش السّعوديّ نتيجة انخفاض عائدات الحجّ، والإسراف والتّبذير الّذي سبَّبه حكمه الفوضويّ، والفرديّ، والعشوائيّ. وذكرت الوثائق أنّ الحكومة الأميركيّة تدخّلت لإنقاذ العرش السّعوديّ ماليّاً، مقابل تعهّد عبد العزيز للرّئيس الأميركيّ هاري ترومان بأن لا تشارك المملكة العربيّة السّعوديّة أبداً في أيّة حروبٍ يشنّها العرب ضدّ (إسرائيل) لاستعادة فلسطين».

٢- في أيّار/ مايو ١٩٩٤م، نشر خبيرا شؤون المخابرات يوسي ملمان ودان رافيف بحثاً بعنوان «الأصدقاء بالأفعال: أسرار التّحالف (الإسرائيليّ) - الأميركيّ» جاء فيه: «كان السّعوديّون رسميّاً وعلنيّاً في حالة حرب مع (إسرائيل)، إلّا أنَّ صانعي القرار في (إسرائيل) كانوا يدركون أنّ المملكة السّعوديّة دولة معتدلة ومؤيّدة للغرب، وأنّها - رغم استخدامها الخطاب المعادي لـ(إسرائيل) - كانت على اتّصالٍ مستمرٍّ مع (إسرائيل). ففي حقل المخابرات، التقى ضبّاط العمليّات في المخابرات (الإسرائيليّة) - الموساد - مع ضباط أمن ومخابرات الأسرة المالكة السّعوديّة مرّاتٍ كثيرة، وتبادلوا وجهات النّظر حول الطُّرق الواجب تطبيقها لإضعاف القوى الدّينيّة الأصوليّة في منطقة الشّرق الأوسط. أمّا المخابرات المركزيّة الأميركيّة، فكانت دوماً على علمٍ بالاتّصالات السّرّيّة السّعوديّة - (الإسرائيليّة)، وشجّعتها باستمرار».

٣- ذكر الباحث ألكساندر بلاي من معهد ترومان، في مقالٍ كتبه في مجلّة العلوم السّياسيّة الفصليّة «جيروزاليم كوارترلي»، تحت عنوان «نحو تعايشٍ (إسرائيليٍّ) - سعوديٍّ سلميّ»: «إنّ المملكة السّعوديّة و(إسرائيل) قامتا ببناء علاقةٍ حميمةٍ، وكانتا على اتّصالٍ مستمرٍّ في أعقاب حدوث ثورة اليمن عام ١٩٦٢م، بهدف ما أسماه «منع عدوّهما المشترك» - أي عبد النّاصر - من تسجيل انتصارٍ عسكريٍّ في الجزيرة العربيّة». وقال في موضعٍ آخَر: «إنّه أجرى مقابلةً مع السّفير (الإسرائيليّ) السّابق في لندن آهارون ريميز (١٩٦٥م - ١٩٧٠م)، الّذي أعلمه أنَّ الملك سعود والملك فيصل كانا على علاقةٍ حميمةٍ مع (إسرائيل)، وعلى اتّصالٍ وثيقٍ معها».

٤- ذكرت مجلة «التّايم» الأميركيّة (١٤/٨/١٩٧٨م) تحت عنوان «موعد (إسرائيليٍّ) في المغرب»، أنّ الملك الحسن حثّ رابين على البدء بلقاء السّعوديّين الّذين يموّلون الاقتصاد المصريّ، وقد وافق رابين على الفكرة، ووافق الأمير فهد على اللّقاء، وقام الملك الحسن فعلاً بترتيب ذلك اللّقاء.

ينبع إلى البحر الأحمر، وأنّ (إسرائيل) تقوم بذلك عملاً باتّفاقٍ سرّيٍّ (إسرائيليٍّ) - سعوديٍّ - مصريٍّ، تحمي (إسرائيل) بموجبه القطاع الشّماليّ، وتحمي مصر القطاع الجنوبيّ والغربيّ، مقابل حصولهم على مساعداتٍ سعوديّةٍ ماليّة».

داغان وأولمرت: في أيلول ٢٠٠٦م، التقى بندر بن سلطان كلّاً منهما في الأردن في لقاءين مختلفتَين.

بندر بن سلطان: وصفته صحف العدو بأنه صلة الوصل بين الدّولة الصّهيونيّة وجيرانها.

٥- أجرت صحيفة «الجيروزاليم بوست» (الإسرائيليّة) يوم ٢٣/٦/١٩٩٤م، مقابلةً مع ضابط المخابرات (الإسرائيليّ) سينون، كشف خلالها أنّ وليَّ العهد السّعوديّ في وقته الأمير فهد، سعى لإجراء اتّصالاتٍ سرّيّة مع (إسرائيل) بغية الوصول إلى تفاهمٍ بين البلدَين، وأنّه استخدم لهذه الغاية مبعوثاً فلسطينيّاً أرسله لمقابلة موشي دايان وزير الخارجيّة، وقد أجرت الصّحيفة المذكورة مقابلةً مع المبعوث السّعوديّ الّذي يدعى (ن. د. ن.)، وهو صحفيّ فلسطينيّ معروف ومقرّب من السّعوديّين. وقد اعترَف (ن. د. ن.) بالحادثة للصّحيفة، وقال إنّه التقى بالكولونيل سينون في عام ١٩٧٦م، ثمّ سافر إلى الرّياض لمقابلة وليّ العهد فهد، الّذي سلّمه رسالةً شفهيّةً سرّيّةً إلى وزير الخارجيّة (الإسرائيليّ) موشيه دايان، بخصوص العلاقات بين البلدَين. وقال إنّه حين وصل إلى القدس المحتلّة، احتفى (الإسرائيليّون) به، وأنّه أعلمهم أنّه يحمل رسالةً شفهيّةً سرّيّةً من وليّ العهد فهد.

٦- وكتب ألكساندر بلاي مقالاً في «جيروزاليم كوارترلي»، تحدّث فيه عن عمليّات بيع النّفط السّعوديّ (لإسرائيل)، وذكر أنّ النّفط يغادر الموانئ السّعوديّة، وما أن يصل إلى عرض البحر، حتّى يتمّ تغيير مسار ناقلة النّفط في عرض البحر، وتزييف أوراقها، وتحويل حمولتها إلى الموانئ (الإسرائيليّة).

وأكّدت ذلك مجلّة «الإيكونوميست» البريطانيّة بقولها: «إنّ (إسرائيل) تقوم بحماية النّفط السّعوديّ الّذي يضخّ من ميناء

٧- قال الكاتبان الأميركيّان ليزلي وأندرو كوبورن في كتابهما (العلاقات السّرّيّة الأميركيّة -الإسرائيليّة): «إنّ خزّانات الوقود الإضافيّة الّتي اشترتها المملكة السّعوديّة لطائرات إف-١٥ بهدف تمكينها من التّحليق لفتراتٍ أطول، صُنعَت في مصنعٍ خارج تل أبيب تابع لشركة «صناعة الطّائرات (الإسرائيليّة)». (كوبورن، صفحة ١٩٥).

٨- كتب ستيف رودان في صحيفة «الجيروزاليم بوست» (١٧/٩/١٩٩٤م): أنّ السّعوديّة اشترت باسم واشنطن، أثناء حرب الخليج (اجتياح صدّام للكويت)، من تل أبيب منصّاتٍ لإطلاق صواريخ «توماهوك»، وقذائف متطوّرة قادرة على اختراق الدّروع، وطائرات استطلاع جوّيٍّ بلا طيّارٍ، وأجهزة ملاحة، كما أنّ الشّركات (الإسرائيليّة) تقوم بتطوير طائرة إف-١٥ وتصنيع بعض أجزائها، وبعد حرب الخليج زوّدت السّعودية بأربعة عشر جسراً عسكريّاً، صنعتها شركة «تاس» للصّناعات الحربيّة (الإسرائيليّة).

وأكّد ذلك الباحثان ملمان ورافيف في كتابهما (كلّ جاسوس أمير)، حيث قالا: «إنّ (إسرائيل) شَحنت إلى المملكة السّعوديّة في عام ١٩٩١م مناظير للرّؤية اللّيليّة، وجسوراً متحرّكة، ومعدّاتٍ لزرع الألغام، ومعدّات حربيّة متنوّعة أخرى، وقد أَمَر الجنرال شوارزكوف قائد القوّات الأميركيّة في السّعوديّة بإزالة جميع

الكتابات العبريّة المنقوشة على الأسلحة، حتّى لا يكتشف أحدٌ منشأَها». (الصّفحة ٤٠١).

٩- قال ريك أتكيونسون في كتابه (خفايا حرب الخليج): «إنَّ اجتماعاً عُقد في قيادة اللّواء الثّاني الأميركيّ، المتمركز على بعد ثلاثين ميلاً جنوب الحدود الكويتيّة، في أوائل شباط/ فبراير، برئاسة قائد اللّواء الجنرال ويليام كيز. وفيه أَعلمَ الجنرال كبار ضباط اللّواء أنّه تقرّر إجراء اختراقٍ ثانٍ للخطوط العراقيّة، وقد طلب معدّاتٍ (إسرائيليّة) لاكتشاف الألغام من تل أبيب، وأنّ هذه المعدّات وصلت إلى السّعوديّة من (إسرائيل) لتمكين القوّات الأميركيّة من إحداث ذلك الاختراق». (الصّفحات ٢٤٥-٢٤٦).

تعاون زراعيّ

١- ذكرت جريدة «يديعوت» يوم ١٦/ ١٢/ ١٩٩٣م، أنَّ سفينة شحنٍ أجنبيّةٍ حملت على متنها أجهزة كمبيوتر تستخدم في الرّيّ، وأنزلتها قبل حوالي أسبوع في ميناء جدّة، وقالت الجريدة إنَّ هذه الأجهزة طُوِّرت وأُنتِجت في مصنع «جالكون»، التّابع للكيبوتس كفار بلوم.

٢- جريدة «دافار» يوم ١/ ٢/ ١٩٩٤م: «يُبدي رجال الأعمال السّعوديّون الذّين يزورون (إسرائيل) حاليّاً، اهتماماً على ما يبدو ليس فقط بعقد صفقات نفط، بل أيضاً ببيع الغاز لـ(إسرائيل). وقد أبدى السّعوديّون اهتماماً أيضاً بالصّناعات الزّراعيّة واستغلال الإمكانيّات التّجاريّة والسّياحيّة الكامنة في البحر الأحمر الّذي تشترك (إسرائيل) ومصر والأردنّ والسّعوديّة في سواحله».

٣- قالت «معاريف» (الإسرائيليّة) يوم ٤/ ١/ ١٩٩٥م: إنّه تمّ التّوقيع على الصّفقة الأولى من نوعها لتصدير الحمضيّات من (إسرائيل) إلى العربية السّعوديّة عن طريق الأردنّ، بعد أن تمّ الاتّفاق بين مدير عام شعبة تسويق الحمضيّات (الإسرائيليّ)، داني كريتسمان، ورجال أعمال أردنيّين، على أن تصدِّر (إسرائيل) الحمضيّات إلى دول عربيّة عن طريق الأردنّ.

٤- ذكرت صحيفة «الفجر المقدسيّة» يوم ٩/ ٢/ ١٩٩٣م: أنّ رئيس اتّحاد غرف التّجارة (الإسرائيليّة) داني جيرلمان التقى أمس مع وزير الماليّة السّعوديّ محمّد أبا الخيل، في بداية شباط الحاليّ في سويسرا لبحث تعاونٍ اقتصاديٍّ في المستقبل في الأراضي المحتلّة.

كيف يموِّل السّعوديّون تلك العمليّات؟

تجيب صحيفة «النيويورك تايمز» (٦/ ٣/ ١٩٨٧م) بأنَّ آل سعود يستخدمون «البنك الأهليّ التّجاريّ» في جدّة، وهذا البنك هو الوحيد بين البنوك التّجاريّة الّذي لا يخضع لرقابة مؤسّسة النّقد السّعوديّة، لأنّ آل سعود يستخدمونه لتمويل دبلوماسيّتهم الماليّة الصّامتة في العالم العربيّ والإسلاميّ، ويقوم البنك عادة بإرسال المال إلى ميامي في الولايات المتّحدة عبر بنك «إي. بي. سي.» العالميّ في جزر الكيمان.

هذا وقد لعب رجل الأعمال السّعوديّ عدنان الخاشقجيّ دوراً خطيراً في هذا المجال؛ فقد ذكر الباحث صموئيل سيفاف في بحثه (الوثائق الإسرائيليّة السّرّيّة) أنّ الخاشقجي التقى مع مبعوث لشمعون بيريز في لندن، ثمّ قابل عرفات ومبارك والملك حسين، وانتهت جولته في واشنطن حيث التقى بروبرت ماكفرلين، مستشار الأمن القوميّ في إدارة ريغان، وفي يوم ١٧ أيّار/ مايو ١٩٨٣م، قدّم الخاشقجي تقريراً سرّيّاً مؤلّفاً من (٤٧) صفحة للحكومة (الإسرائيليّة) يحتوي على تفاصيل مباحثاته في تلك الدّول، واقترح في تقريره إنشاء برنامج تطويرٍ اقتصاديٍّ للشّرق الأوسط يشبه خطّة «مارشال»، واقترح أن تدفع الولايات المتّحدة، والمملكة السّعوديّة، والكويت، مبلغاً وقدره (٣٠٠) مليار دولار للاستثمار في (إسرائيل) والدّول العربيّة الّتي تقبل عقد سلام معها، وذكر الباحث أنَّ الخاشقجي قد حصل على موافقة الملك فهد على كلّ خطوة يقوم بها مقدَّماً، وأنّه كان يعتقد أنّ العرب و(الإسرائيليّين) يستطيعون نفي حدوث المحادثات إذا فشلت. (الصّفحات ٣٣٦-٣٣٨)

وقال الباحث سيفاف: «كذلك اعترف الخاشقجي أنَّ آل سعود مضطرُّون لدفع بعض الأموال للفلسطينيّين والسّوريّين، إلّا أنّه أكَّد أنّ ذلك يشبه ما يدفعه صاحب حانوت لحماية نفسه، لأنّ الحانوت يقع في مكانٍ ليس فيه مخفر شرطة يحميه، وقال إنّه شكّل لجنة أبحاث في شركته الّتي تدعى «ترايادا» في كاليفورنيا، وأوكل إليها مهمّة عمل خطّة تنميةٍ لكامل المنطقة بما في ذلك (إسرائيل)، بحيث يتمّ تمويلها من عوائد النّفط». (الصّفحات ٢٢٩ - ٢٣٠)

أعمال شهر جُمادى الثّانية

إنْ كُنّا صَدَّقْناكِ.. طَهُرْنَا بِوِلايَتِكِ..

إعداد: «شعائر»

من لوازم الإيمان اليَقظة وعلامتُها المراقبة، وهي «قرارٌ بالتزام قانون الله تعالى: الشّرعة والمنهاج» تماهياً مع اليقين والحبّ: اليقين به تعالى، وحبّه سبحانه.

في المناجاة الشّعبانيّة: «وَأَنْ تَجْعَلَنِي مِمَّنْ يُدِيمُ ذِكْرَكَ، وَلا يَنْقُضُ عَهْدَكَ، وَلا يَغْفَلُ عَنْ شُكْرِكَ، وَلا يَسْتَخِفُّ بِأَمْرِكَ. إِلهِي وَأَلْحِقْنِي بِنُورِ عِزِّكَ الأَبْهَجِ، فَأَكُونَ لَكَ عارِفاً، وَعَنْ سِواكَ مُنْحَرِفاً، وَمِنْكَ خائِفاً مُراقِباً، يا ذا الجَلالِ وَالإِكْرامِ».

وأبرزُ كُتُب المراقبات: كتاب «إقبال الأعمال» لسيّد العلماء المراقبين، السّيّد ابن طاوس، و«المراقبات» للفقيه الكبير الشّيخ المَلَكي التّبريزيّ، وفي هديهما: هذا الباب.

أبرز المناسبات:	أبرز الأعمال:
* شهادة السّيّدة الزّهراء عليها السلام في الثّالث منه سنة ١١ للهجرة. * ولادتُها صلوات الله عليها يوم العشرين من جُمادى الثّانية في السّنة الخامسة من المبعث الشّريف، وقيل في السّنة الثّانية.	* زيارة السّيّدة الزّهراء عليها السلام يومَي الثّالث من جمادى الثّانية، والعشرين منه. * صلاة جليلة للحفظ تؤدّى في أيّ وقتٍ من الشّهر. * دُعاء غرّة الشّهر المَرويّ في (إقبال الأعمال)، وصلاة أوّل الشّهر والصّدقة.

الدّعاء في أوّل يومٍ من جُمادى الثّانية

(**إقبال الأعمال**): **قال السّيّد ابن طاوس**: «في ما نذكره من دعاءٍ عند غرّة هذا الشّهر، وجدناه في كتاب (المختصَر من كتاب المنتخب)، فقالَ ما هذا لفظُه:

الدّعاء في غرّة جُمادى الثّانية: **أللّهمَّ يا اللهُ أنتَ الدّائمُ القائمُ، يا اللهُ أنتَ الحيُّ القيّومُ، يا اللهُ أنتَ العليُّ الأعلى، يا اللهُ أنت المُتعالي في عُلوّك، إلهُ كلِّ شيءٍ، وربُّ كلِّ شيءٍ، وخالقُ كلِّ شيءٍ، وصانعُ كلِّ شيءٍ، القاضي الأكبرُ، القديرُ المقتدِرُ، تباركَتْ أسماؤكَ وجلَّ ثناؤكَ. أللّهمَّ صلِّ على محمّدٍ وآلِ محمّدٍ، وعرِّفنا بركَةَ شهرِنا هذا وارزُقنا يُمْنَه ونُورَهُ ونَصْرَهُ وخَيْرَهُ وبِرَّهُ..**».

(انظر المصدر: ج ٣، الباب السّابع)

صلاةٌ جليلة، لحفظِ النَّفْس والأهل والمال والولد

ذَكَر السّيّد ابنُ طاوس قدس سره في (إقبال الأعمال) نقلاً عن (روضةِ العابدين ومَأنِس الرّاغبين) لإبراهيم بن عمر بن فرج الواسطيّ، صلاةً تؤدّى في أيّ وقتٍ من الشّهر، وهي عبارة عن أربع ركعات (بتَسليمتَين):

الرّكعة الأولى: (الحمد) مرّة، وآية (الكرسيّ) مرّة، وسورة (إنّا أنزلناه) خمساً وعشرين مرّة.

الرّكعة الثّانية: (الحمد) مرّة، وسورة (ألهاكم التّكاثر) مرّة، و(قل هو الله أحد) خمساً وعشرين مرّة.

الرّكعة الثّالثة: (الحمد) مرّة، و(قل يا أيُّها الكافرون) مرّة، و(قل أعوذ بربِّ الفلق) خمساً وعشرين مرّة.

الرّكعة الرّابعة: (الحمد) مرّة، و(إذا جاء نصر الله) مرّة، و(قل أعوذ بربِّ النّاس) خمساً وعشرين مرّة.

فإذا سلّمْتَ، فَقُل:

١ – سبعين مرّة «سبحانَ اللهِ والحمدُ للهِ ولا إلهَ إلّا اللهُ واللهُ أكبر».

٢ – سبعين مرّة «أللّهمَّ صلِّ على محمَّدٍ وآل محمَّدٍ».

٣ – ثمّ قُل ثلاث مرّات: «أللّهمَّ اغفِر للمؤمنينَ والمؤمنات».

٤ – ثمّ تسجد وتقول في سجودك ثلاث مرّات: «يا حيُّ يا قيّومُ، يا ذا الجلالِ والإكرامِ، يا اللهُ يا رَحمنُ يا رحيمُ يا أرحمَ الرَّاحمينَ».

٥ – ثمّ تسأل الله تعالى حاجتَك.

فمَن فعل ذلك فإنّه تُصانُ نفسُه ومالُه وأهلُه وولدُه ودينُه ودُنياه إلى مثلِها من السّنة القابلة، وإنْ مات في تلك السّنة ماتَ على الشَّهادة.

اليوم الثّالث: شهادةُ الصِّدّيقة الكُبرى عليها السّلام

(**مفاتيح الجنان**): في اليوم الثّالث من هذا الشّهر، سنة إحدى عشرة للهجرة، توفّيت مولاتنا فاطمة صلوات الله عليها، فينبغي أن يُقيمَ الشّيعةُ عزاءَها ويزوروها ويَلعنوا ظالميها وغاصِبي حقِّها، وإنَّ السّيّد ابن طاوس – في (الإقبال) – قد ذكرَ وفاتَها في هذا اليوم، ثمّ ذكر لها هذه الزِّيارة:

«السَّلامُ عَليكِ يا سَيِّدَةَ نِساءِ العالَمِينَ، السَّلامُ عَلَيْكِ يا والِدَةَ الحُجَجِ عَلى النّاسِ أَجْمَعِينَ، السَّلامُ عَلَيْكِ أَيَّتُها المَظْلومَةُ المَمْنُوعَةُ حَقَّها.

ثمّ تقول: أَللّهُمَّ صَلِّ عَلى أَمَتِكَ وَابْنَةِ نَبِيِّكَ وَزَوْجَةِ وَصِيِّ نَبِيِّكَ صَلاةً تُزْلِفُها [تقرِّبُها] فَوْقَ زُلْفى عِبادِكَ المُكَرَّمِينَ مِنْ أَهْلِ السَّماواتِ وَأَهْلِ الأَرَضِينَ».

وقد رُوي أنَّ مَن زارها بهذه الزِّيارة واستغفرَ اللهَ، غَفَرَ اللهُ له وأدخلَهُ الجنّة.

أقول: قد أوردَ هذه الزّيارة نجلُ السّيّد ابنِ طاوس أيضاً في كتاب (زوائد الفوائد) وقال: إنَّها تخصّ يوم وفاتها عليها السّلام وهو الثّالث من جُمادى الآخِرة.

وقال في كيفيّة الزّيارة: تصلّي صلاةَ الزّيارة أو صلاتَها عليها السلام؛ وهي ركعتان، تقرأ في كلٍّ منهما بعد (الحمد) سورة (التّوحيد) ستّين مرّة، فإنْ لم تقدر فاقرأ بعد (الحمد) في الأولى (التّوحيد)، وفي الثّانية (قل يا أيّها الكافرون)، فإذا سلَّمْتَ فقل: **السَّلامُ عَلَيْكِ**.. إلى آخر الزّيارة.

اليوم العشرون، ولادةُ الصِّدّيقة الكُبرى عليها السّلام

* (**المراقبات**): ويوم العشرين منه يوم ولادة مولاتنا فاطمة صلوات الله عليها على رواية الشّيخ المفيد رضوان الله عليه، قال: «يوم العشرين منه مولد السّيّدة الزّهراء صلوات الله عليها، سنة اثنتين من المبعث، وهو يومٌ شريفٌ يتجدّد فيه سرورُ المؤمنين، ويُستحبُّ صيامُه والتّطوُّع فيه بالخيرات والصّدقات».

* (**شجرة طوبى**) للشّيخ محمّد مهدي الحائري: «..وَأَيْمُ الله إنَّها الطّاهرةُ المطهَّرةُ والصِّدّيقة الصّادقة، وإنَّها أَجَلُّ من أنْ تُحيطَ بها الأفكارُ وتَصلَ إليها الأنظارُ، وقد مُلِئت من مفاخرِها المشهورة الصّحائفُ الإمكانيّة، وزُيِّنَت من مآثرِها المشكورة أوراقُ كُتُبِ الإيجاد من الكمالات النّفسانيّة والملَكات العقلانيّة، وإنَّ فضائلَها المرويّة يَرويها كلُّ كابرٍ عن كابرٍ، وفواضلَها الرّحمانيّة يُهديها الأوّلُ إلى الآخِر. فلها العزُّ الأعلى عند أهلِ الآخرةِ والأولى، وفي عِلمِ الله تعالى مِن شرف محلِّها وعُلوِّ قَدْرِها قضى ما قضى، وقدَّرَ ما قدَّرَ، بحيث لنْ تنالَها العقولُ والفِكَرُ. ولها كرائمُ ليس لأحدٍ من النّسوة، وشَرائفُ قد اكتَنَفَتْها قبل الفِطرةِ فحازَت قصَبَات السَّبق، واستَوَت على عرائشِ الفضلِ، فاختارَها اللهُ تعالى من الأنبياء والمُرسَلين، وجعلها وَليّةَ اللهِ وآيتَهُ الكُبرى على العالَمين، فعَجزَ الخائضون في كُنْهِ معرفتِها، والنّاسُ كلُّهم من أقطارِها وإدراكِ مقدارها مُبعَدون. وإنَّها نورٌ على نورٍ من ربِّها، وزادَ على طِيبِ فَرْعِها طِيبُ أصلِها، فسبحانَ مَن خَصَّها بأعظمِ الفضائل، ومَيَّزَها عن خلقِه بأكرم الفضائل، وشَرَّفَها ورَفَعَ قَدْرَها وأكْرَمَها وأكثرَ نَسلَها، وجَعلَ كلَّ حالٍ من أحوالِها آيةً باهرةً، وكلَّ طَوْرٍ من أطوارِها معجزةً ظاهرةً وكرامةً زاهرةً.

وَيْلٌ لِمَنْ لم يَرْعَ رسولَ اللهِ فيها، وبالَغَ في هَضْمِها، ومَنَعَ عنها إرْثَها، وأَحرَقَ بابَ دارِها، وأَسقَطَ جنينَها، وكَسَرَ ضلعَها..».

(مختصَر)

زيارة الصّدّيقة الكُبرى سلام الله عليها

(**مفاتيح الجنان**): [إذا أردتَ زيارتَها عليها السّلام، فقُل]:

يا مُمْتَحَنَةُ امْتَحَنَكِ اللهُ الَّذِي خَلَقَكِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَكِ فَوَجَدَكِ لِما امْتَحَنَكِ صابِرَةً، وَزَعَمْنا أَنَّا لَكِ أَوْلِياءُ وَمُصَدِّقُونَ وَصابِرونَ لِكُلِّ ما أَتى بِهِ أَبُوكِ صَلّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَتى بِهِ وَصِيُّهُ، فَإِنَّا نَسْأَلُكِ إِنْ كُنّا صَدَّقْناكِ إِلاّ أَلْحَقْتِنا بِتَصْدِيقِنا لَهُما لِنُبَشِّرَ أَنْفُسَنا بِأَنَّا قَدْ طَهُرْنا بِوِلايَتِكِ.

وَيستحبُّ أيضاً أن تقول: السَّلامُ عَلَيْكِ يا بِنْتَ رَسُولِ الله، السَّلامُ عَلَيْكِ يا بِنْتَ نَبِيِّ الله، السَّلامُ عَلَيْكِ يا بِنْتَ حَبِيبِ الله، السَّلامُ عَلَيْكِ يا بِنْتَ خَلِيلِ الله، السَّلامُ عَلَيْكِ يا بِنْتَ صَفِيِّ الله، السَّلامُ عَلَيْكِ يا بِنْتَ أَمِينِ الله، السَّلامُ عَلَيْكِ يا بِنْتَ خَيْرِ خَلْقِ الله، السَّلامُ عَلَيْكِ يا بِنْتَ أَفْضَلِ أَنْبِياءِ الله وَرُسُلِهِ وَمَلائِكَتِهِ، السَّلامُ عَلَيْكِ يا بِنْتَ خَيْرِ البَرِيَّةِ، السَّلامُ عَلَيْكِ يا سَيِّدَةَ نِساءِ العالَمِينَ مِنَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، السَّلامُ عَلَيْكِ يا زَوْجَةَ وَلِيِّ الله وَخَيْرِ الخَلْقِ بَعْدَ رَسُولِ الله، السَّلامُ عَلَيْكِ يا أُمَّ الحَسَنِ وَالحُسَيْنِ سَيِّدَيْ شَبابِ أَهْلِ الجَنَّةِ، السَّلامُ عَلَيْكِ أَيَّتُها الصِّدِّيقَةُ الشَّهِيدَةُ، السَّلامُ عَلَيْكِ أَيَّتُها الرَّضِيَّةُ المَرْضِيَّةُ، السَّلامُ عَلَيْكِ أَيَّتُها الفاضِلَةُ الزَّكِيَّةُ، السَّلامُ عَلَيْكِ أَيَّتُها الحَوْراءُ الإِنْسِيَّةُ، السَّلامُ عَلَيْكِ أَيَّتُها التَّقِيَّةُ النَّقِيَّةُ، السَّلامُ عَلَيْكِ أَيَّتُها المُحَدَّثَةُ العَلِيمَةُ، السَّلامُ عَلَيْكِ أَيَّتُها المَظْلُومَةُ المَغْصُوبَةُ، السَّلامُ عَلَيْكِ أَيَّتُها المُضْطَهَدَةُ المَقْهُورَةُ، السَّلامُ عَلَيْكِ يا فاطِمَةُ بِنْتَ رَسُولِ الله وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكاتُهُ.

صَلَّى الله عَلَيْكِ وَعَلى رُوحِكِ وَبَدَنِكِ، أَشْهَدُ أَنَّكِ مَضَيْتِ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكِ، وَأَنَّ مَنْ سَرَّكِ فَقَدْ سَرَّ رَسُولَ الله صَلّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَمَنْ جَفاكِ فَقَدْ جَفا رَسُولَ الله، وَمَنْ آذاكِ فَقَدْ آذى رَسُولَ الله صَلّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَمَنْ وَصَلَكِ فَقَدْ وَصَلَ رَسُولَ الله صَلّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَمَنْ قَطَعَكِ فَقَدْ قَطَعَ رَسُولَ الله صَلّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ، لأَنَّكِ بَضْعَةٌ مِنْهُ وَرُوحُهُ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْهِ، أُشْهِدُ الله وَرُسُلَهُ وَمَلائِكَتَهُ أَنِّي راضٍ عَمَّنْ رَضِيتِ عَنْهُ، ساخِطٌ عَلى مَنْ سَخَطْتِ عَلَيْهِ، مُتَبَرِّئٌ مِمَّنْ تَبَرَّأْتِ مِنْهُ، مُوالٍ لِمَنْ وَالَيْتِ، مُعادٍ لِمَنْ عادَيْتِ، مُبْغِضٌ لِمَنْ أَبْغَضْتِ، مُحِبٌّ لِمَنْ أَحْبَبْتِ، وَكَفى بِالله شَهِيداً وَحَسِيباً وَجازِياً وَمُثِيباً.

ثمّ تصلّي على النّبيّ والأئمّة الأطهار صَلَواتُ الله وسَلامُهُ عَلَيهِم.

صلاة وزيارة للصّدّيقة الكبرى صلوات الله عليها في يوم شهادتها، وقد رُوي أنَّ مَن زارها بهذه الزِّيارة واستغفرَ اللهَ، غَفَرَ اللهُ له وأدخلَهُ الجنّة.

صلاة جليلة من أربع ركعات يُؤتى بها في أيّ وقتٍ من الشّهر، وقد ورد في ثوابها أنّ مَن صلّاها فإنّه تُصان نفسُه ومالُه وأهلُه وولدُه ودِينُه ودُنياه إلى مثلِها من السّنة القابلة، وإنْ ماتَ في تلك السّنة ماتَ على الشَّهادة.

يوم العشرين من جُمادى الثّانية هو يوم ولادة مولاتنا السّيّدة فاطمة صلوات الله عليها.

قال الشّيخ المفيد: «..وهو يومٌ شريفٌ يتجدّدُ فيه سرورُ المؤمنين، ويُستَحبُّ صيامُه والتّطوُّعُ فيه بالخيرات والصّدَقات».

الصّبر والصّلاة، إعدادٌ إلهيّ

الشّهادةُ حياةٌ، لا تُدركها الحواسّ القاصرة

العلّامة السّيّد محمّد حسين الطّباطبائيّ رحمه الله

وقفةٌ مع تفسير العلّامة الطّباطبائيّ في (الميزان)، لآيات من سورة البقرة، يبيّن فيه أنّ رحمةَ الله تعالى لا تُنال إلّا بتوطين النّفس على تحمُّل المشاقّ والابتلاءات الرّبانيّة، وأنّ الظّفر في الامتحان الإلهيّ يتأتّى من: الاستعانة بالصّبر والصّلاة أوّلاً، والاعتقاد الجازم بحُسن العاقبة وطِيب المنقلَب ثانياً.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴾ البقرة:١٥٣-١٥٧.

خمسُ آياتٍ مُتّحدةُ السّياق، مُتّسِقَةُ الجُمَل، ملتئمةُ المعاني، يَسوقُ أوّلُها إلى آخرها، ويرجع آخرُها إلى أوّلها، وهذا يكشف عن كَونها نازلةً دفعةً غير متفرّقة، وسياقُها ينادي بأنّها نزلت قُبيل الأمر بالقتال وتشريع حُكم الجهاد، ففيه ذكرٌ من بلاءٍ سَيُقبل على المؤمنين، ومصيبةٌ ستُصيبهم. "..."

وبالجملة، ففي الآيات تلويحٌ إلى إقبال هذه المحنة بذِكْر القتل في سبيل الله، وتوصيفه بوصفٍ لا يبقى فيه معه جهةٌ مكروهة، ولا صفةُ سوءٍ، وهو أنّه ليس بموتٍ بل حياةٌ، وأيُّ حياةٍ! فالآيات تستنهضُ المؤمنين للقتال، وتُخبرُهم أنّ أمامهم بلاءً ومحنةً، لن ينالوا مدارجَ المعالي، وصلاةَ ربِّهم ورحمتَه، والاهتداءَ بهدايتِه، إلّا بالصَّبر عليها وتحمُّلِ مشاقِّها، ويعلِّمهم ما يستعينون به عليها، وهو الصَّبرُ والصَّلاة.

الاستعانة بالصّبر والصّلاة

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ البقرة:١٥٣

الصَّبر: مِن أعظمِ المَلَكات والأحوال الّتي يمدحُها القرآن، ويكرّر الأمر به حتّى بلغ قريباً من سبعين موضعاً من القرآن، حتّى قيل فيه: ﴿..إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ لقمان:١٧، وقيل: ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ﴾ فصّلت:٣٥، وقيل: ﴿..إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ الزّمر:١٠.

والصّلاة: من أعظم العبادات الّتي يُحَثُّ عليها في القرآن، حتّى قيل فيها: ﴿..إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ..﴾ العنكبوت:٤٥، وما أوْصى اللهُ في كتابه بوصايا إلّا كانت الصّلاةُ رأسَها وأوّلَها.

ثمَّ وَصف سبحانه الصَّبرَ بأنَّ الله مع الصّابرين المُتّصِفين بالصّبر، وإنّما لم يَصف الصّلاة، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ﴾ البقرة:٤٥، لأنَّ المقامَ في هذه الآيات، مقامُ ملاقاةِ الأهوال ومقارعةُ الأبطال، فالاهتمامُ بأمرِ الصَّبر أنسب، بخلاف الآية السّابقة، فلذلك قيل: ﴿..إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ البقرة:١٥٣، وهذه المعيّة غير المعيّة الّتي يدلُّ عليها قوله تعالى: ﴿..وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ..﴾ الحديد:٤، فإنّها معيّةُ الإحاطة والقيمومة، بخلاف المعيّة مع الصّابرين، فإنّها معيّةُ إعانةٍ، **فالصَّبرُ مفتاحُ الفَرَج.**

دحضُ ادّعاءات أصحاب الطّبيعة

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ﴾ البقرة:١٥٤

ربَّما يُقال: إنَّ الخطابَ مع المؤمنين الّذين آمنوا باللهِ ورسولِه واليومِ الآخِر، وأَذْعَنوا بالحياة الآخرة، ولا يُتَصَوَّر منهم القولُ ببطلان الإنسان بالموت بعدما أجابوا دعوةَ الحقّ وسمعوا شيئاً كثيراً من الآيات النّاطقة بالمعاد، مضافاً إلى أنَّ الآية إنَّما تثبتُ الحياةَ بعد الموت في جماعةٍ مخصوصين، وهم الشُّهداء المقتولون في سبيل الله، في مقابل غيرهم من المؤمنين، وجميع الكفّار، مع أنَّ حكم الحياة بعد الموت عامٌّ شاملٌ للجميع؛ فالمرادُ بالحياة بقاء الاسم، والذِّكر الجميل على مرِّ الدُّهور، وبذلك فسَّرَه جمعٌ من المفسِّرين. **ويردُّه:**

أوّلاً: إنَّ كونَ هذه حياة، إنّما هو في الوَهم فقط دون الخارج، فهي حياةٌ تخيُّليّةٌ ليس لها في الحقيقة إلّا الاسم، ومثل هذا الموضوع الوهميّ لا يليق بكلامه، وهو تعالى يدعو إلى الحقّ، ويقول: ﴿..فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ..﴾ يونس:٣٢، وأمّا الّذي سأله إبراهيم في قوله: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ﴾ الشّعراء:٨٤، فإنّما يريدُ به بقاءَ دعوتِه الحقّة، ولسانِه الصّادق بعده، لا حُسنَ ثنائه وجميلَ ذكرِه بعدَه فحسب.

نعم هذا القولُ الباطل، والوهمُ الكاذب، إنّما يليقُ بحال المادّيّين، وأصحابِ الطّبيعة؛ فإنّهم اعتقدوا ماديّةَ النّفوس وبطلانَها بالموت، ونفوا الحياةَ الآخرة، ثمّ أحسُّوا باحتياج الإنسان بالفطرة إلى القول ببقاء النّفوس وتأثُّرها بالسّعادة والشّقاء بعد موتها، في معالي أمورٍ لا تخلو في الارتقاء إليها من التّفدية والتّضحية، لا سيّما في عظائم العزائم الّتي يموت ويُقتَل فيها أقوامٌ ليَحيا ويعيشَ آخَرون، ولو كان كلُّ مَن مات قد فات، لم يكُن داعٍ للإنسان، وخاصّة إذا اعتَقد بالموتِ والفَوتِ، أنْ يُبْطِلَ ذاتَه ليُبقيَ ذاتَ آخرين، ولا باعثَ له أنْ يُحرِّم – بالجَور – على نفسه لذّةَ الاستمتاع من جميع ما يقدر عليه، ليتمتَّع آخرون بالعدل، فالعاقلُ لا يُعطي شيئاً إلّا ويأخذ بَدَلَه.

وأمّا الإعطاءُ من غير بدَلٍ، والتّركُ من غيرِ أخذٍ، كالموتِ في سبيل حياة الغير، والحرمانِ في طريق تمتُّع الغير، فالفطرةُ الإنسانيّةُ تأباه. فلمّا استشعروا بذلك، دعاهُم جبرُ هذا النَّقص إلى وضعِ هذه الأوهام الكاذبة، الّتي ليس لها موطنٌ إلّا ساحةُ الخيال وحظيرة الوَهم. قالوا إنَّ الإنسانَ الحرّ من رقِّ الأوهام والخرافات يجبُ عليه أنْ يَفديَ بنفسِه وطنَه، أو كلّ ما فيه شَرفه، لينالَ الحياةَ الدّائمة بِحُسنِ الذّكر وجميلِ الثّناء، ويجب عليه أن يُحَرِّمَ على نفسه بعضَ تمتّعاته في الاجتماع لينالَه الآخرون، ليستقيمَ أمرُ الاجتماع والحضارة، ويتمَّ العدلُ الاجتماعيّ، فينال بذلك حياة الشّرف والعلاء.

وليتَ شعري إذا لم يكن إنسان [أي إذا مات]، وبطلَ هذا التّركيبُ المادّيّ، وبطلَ بذلك جميعُ خواصّه، ومن جملتها الحياةُ والشّعور، فمَن هو الّذي ينال هذه الحياة وهذا الشّرف؟ ومن الّذي يدركُه ويلتذُّ به؟ فهل هذا إلّا خرافة؟

وثانياً: إنَّ ذيل الآية، وهو قوله تعالى: ﴿..وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾، لا يناسبُ هذا المعنى، بل كان المناسِب له أنْ يُقال: بل أحياءٌ ببقاءِ ذكرهم الجميل، وثناءِ النّاس عليهم بعدَهم، لأنّه المناسب لمقام التّسلية وتطييب النّفس.

معيّةُ الله تعالى مع الخلق معيّةُ الإحاطة والقَيمومة، بخلاف المعيّة مع الصّابرين، فإنّها معيّةُ إعانة.

أدركَ المادّيّون احتياجَ الإنسان بالفطرة إلى القول ببقاء النّفوس بعد موتها، فابتدعوا أكذوبةَ خلود الذِّكر بعد فناء صاحبِه.

وثالثاً: أنّ في نظيرة هذه الآية - وهي تفسّرها - وصفُ حياتهم بعد القتل بما ينافي هذا المعنى. قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ آل عمران:١٦٩، إلى آخر الآيات، ومعلومٌ أنَّ هذه الحياة حياةٌ خارجيّة حقيقيّة، ليست بتقديريّة.

ورابعاً: إنَّ الجهل بهذه الحياة الّتي بعد الموت لم يكن بعيداً عن بعض المسلمين في أواسط عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله. فإنَّ الّذي هو نصٌّ غيرُ قابلٍ للتّأويل إنّما هو البعثُ للقيامة، وأمَّا ما بين الموت إلى الحشر - وهي الحياة البرزخيّة - فهي وإنْ كانت من جملة ما بيَّنَه القرآن من المعارف الحقّة، لكنّها ليست من ضروريّات القرآن، والمسلمون غيرُ مجمعين عليه، بل يُنكرُه بعضُهم حتّى اليوم، ممَّن يعتقد كَوْن النّفس غير مجرّدة عن المادّة، وأنَّ الإنسان يبطلُ وجودُه بالموت وانحلالِ التّركيب، ثمّ يبعثُه اللهُ إلى القضاء يومَ القيامة، فيُمكن أن يكون المُراد بيان حياة الشّهداء في البرزخ لمكان جَهْل بعض المؤمنين بذلك، وإنْ عَلِمَ به آخرون.

تنبيهٌ وتذكيرٌ بالمعلوم

المُرادُ بالحياة في الآية هي الحياة الحقيقيّة دون التّقديريّة، وقد عدَّ الله سبحانه حياة الكافر بعد موته هلاكاً وبواراً في مواضع من كلامه، كقوله تعالى: ﴿..وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ إبراهيم:٢٨، إلى غير ذلك من الآيات. فالحياةُ حياةُ السّعادة، والأحياءُ بهذه الحياة المؤمنون خاصّة، كما قال: ﴿..وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ العنكبوت:٦٤، وإنّما لم يعلموا، لأنَّ حواسَّهم مقصورةٌ على إدراك خواصّ الحياة في المادّة الدّنيويّة. وأمّا ما وراءَها، فإذا لم يُدركوه، لم يفرّقوا بينه وبين الفناء فتوهَّموه فناءً، وما توهَّمَه الوهمُ مشترَكٌ بين المؤمن والكافر في الدّنيا، فلذلك قال: في هذه الآية، ﴿..بَل لَّا تَشْعُرُونَ﴾ أي: بحواسّكم، كما قال في الآية الأخرى: ﴿..لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾، أي باليقين، كما قال تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ﴾ التكاثر:٥-٦.

فمعنى الآية - والله تعالى أعلم - ولا تقولوا لِمَن يُقتَل في سبيل الله أموات، ولا تعتقدوا فيهم الفناءَ والبطلان كما يُفيدُه لفظُ الموت عندكم، ومقابلته مع الحياة، وكما يُعينُ على هذا القول حواسّكم، فليسوا بأمواتٍ بمعنى البطلان، بل أحياءٌ، ولكنّ حواسّكُم لا تنالُ ذلك ولا تَشعر به. وإلقاءُ هذا القول على المؤمنين - مع أنّهم جميعاً أو أكثرهم عالمون ببقاء حياة الإنسان بعد الموت، وعدم بطلان ذاته - إنّما هو لإيقاظهم وتنبيههم بما هو معلومٌ عندهم، يرتفعُ بالالتفات إليه الحرَجُ عن صدورهم، والاضطرابُ والقلقُ عن قلوبهم إذا أصابَتهم مصيبةُ القتل، فإنّه لا يبقى مع ذلك من آثار القتل عند أولياء القتيل إلّا مفارقةٌ في أيّامٍ قلائل في الدّنيا، وهو هيّنٌ في قبال مرضاة الله سبحانه، وما نالَه القتيلُ من الحياةِ الطّيّبة، والنّعمةِ المُقيمة، ورضوانٍ من الله أكبر. وهذا نظيرُ خطاب النّبيّ بمثل قوله تعالى: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ البقرة:١٤٧، مع أنّه صلّى الله عليه وآله أوّلُ الموقنين بآيات ربّه، ولكنّه كلامٌ كُنِّيَ به عن وضوح المطلب وظهوره، بحيث لا يقبلُ أيَّ خطورٍ نفسانيٍّ لخلافه.

قولُ النّبيّ إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ﴾ الشّعراء:٨٤، يريدُ به بقاءَ دعوتِه الحقّة، واستمرار رسالتِه بعده.

الحياةُ بعدَ الموت حياةٌ حقيقيّةٌ غيرُ تقديريّة، وقد عدَّ اللهُ سبحانه حياةَ الكافر بعد موته هلاكاً وبَواراً.

موجز في التّفسير

سورةُ «الفتح»

إعداد : سليمان بيضون

*** السُّورة الثّامنة والأربعون في ترتيب سُوَر المُصحف الشّريف، نزلتْ عند رجوع النّبيّ صلّى الله عليه وآله من «الحُدَيبية».**

*** آياتُها تسعٌ وعشرون، وهي مدنيّة، يُكتَب لقارئها ثوابُ مَن بايع رسول الله ﷺ تحت الشّجرة، ويُلحَق يوم القيامة بالصّالحين من عباد الله عزّ وجلّ.**

*** سُمِّيتْ بسورة «الفتح» لابتدائها بقوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾، وذكرتْها الرّوايات باسم «إنّا فتحنا».**

عن أَنَس قال: لمّا رجعنا من غزوة الحُدَيْبِيَة، وقد حِيلَ بيننا وبين نُسكنا، فنحن بين الحزن والكآبة، إذ أنزل الله عزّ وجلّ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾، فقال رسول الله ﷺ: «**لقد أُنزِلَتْ عَلَيَّ آيةٌ هي أحَبُّ إليَّ من الدُّنيا كلّها**».

وعن عبد الله بن مسعود قال: «أقبلَ رسولُ الله ﷺ من الحُديبية، فجعلتْ ناقتُه تُثقل، فتقدَّمْنا، فأنزَل اللهُ عليه ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾، فأدرَكَنا رسولُ الله ﷺ وبه من السّرور ما شاءَ الله، فأَخبرَ أنّها أُنزلتْ عليه».

هدفُ السّورة

«**تفسير الميزان**»: مضامينُ آيات سورة الفتح بفصولها المختلفة ظاهرةُ الانطباق على قصّة صلح الحُدَيبية، الواقع في السّنة السّادسة من الهجرة، وما وقع حوله من الوقائع، كقصّة تخلُّف الأعراب، وصدّ المشركين، وبيعة الشّجرة على ما تُفصِّلُه الآثار.

فغرَضُ السّورة بيانُ ما امْتَنَّ اللهُ تعالى على رسوله ﷺ، بما رزقَه من الفتح المبين في هذا السَّفَر، وعلى المؤمنين ممّن معه، و[هدفها] مدحُهم البالغ، والوعدُ الجميل للّذين آمنوا منهم وعملوا الصّالحات.

محتوى السّورة

«**تفسير الأمثل**»: بمراجعةٍ إجماليّةٍ لسُورة الفتح يُمكن القول إنّها تتألّف من ستّة أقسام:

١ – تبدأ السّورة وتنتهي بموضوع البُشرى بالفتح، مؤكّدةً تحقُّقَ رؤيا النّبيّ ﷺ، الّتي تدور حولَ دخوله وأصحابه مكّة، وأداء مناسك العُمرة.

٢ – يتحدّثُ قسمٌ ثانٍ من السّورة عن الحوادث المتعلّقة بصُلح الحُديبية، ونزول السّكينة على قلوب المؤمنين، و«بيعة الرّضوان».

٣ – تتحدّث الآيتان الثّامنة والتّاسعة عن مقام النّبيّ ﷺ، وهدف بعثتِه.

٤ – يكشفُ قسمٌ رابعٌ من السّورة السّتار عن غدر المنافقين، ونقضِهم العهد، ونكثِهم له، ويعطي أمثلةً من أعذارهم الواهية في مسألة عدم مشاركتهم النّبيّ صلّى الله عليه وآله جهادَه المشركين والكفّار.

٥ – تبيّن السّورة في الآية السّابعة عشرة مَن هم المَعذورون الّذين لا حَرَج عليهم في ترك الجهاد العسكريّ.

٦ – القسم الأخير من السُّورة يتحدّث عن خصائص أصحاب النّبيّ صلّى الله عليه وآله، وأتباعه في طريقته وسنّته، وصفاتهم الّتي يتميّزون بها.

ثوابُ تلاوة سورة الفتح

«**تفسير مجمع البيان**»: عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله: «**مَنْ قَرَأَها، فكأنّما شهدَ مع محمّد فتحَ مكّة**». وفي رواية: «**فكأنّما كان مع مَن بايَع محمّداً تحت الشّجَرة**».

عن الإمام الصّادق عليه السلام: «**حَصّنوا أموالَكم، ونساءَكم، وما ملكت أيمانُكم من التّلَف بقراءة (إنّا فَتَحْنا)، فإنّه إذا كان ممّن يُدمِنُ قراءتَها نادى منادٍ يومَ القيامة حتّى يُسمِعَ الخلائق: أنت من عبادِيَ المُخلصين، ألحقُوه بالصّالحين من عبادي، وأَدْخِلوه جنّاتِ النّعيم، واسْقوه من رَحيقٍ مَختومٍ بمِزاجِ الكافور**».

تفسيرُ آياتٍ منها

بعد ذكرِ الآية الكريمة، نوردُ ما رُوِيَ من الحديث الشّريف في تفسيرها، نقلاً عن (تفسير نور الثّقلين) للمحدّث الشّيخ عبد عليّ الحويزيّ رضوان الله تعالى عليه.

قوله تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ..﴾ الفتح:٢.

* الإمام الصّادق عليه السلام: «**مَا كانَ لَه** [للنبيّ] **ذَنْبٌ وَلا هَمَّ بِذَنْبٍ، ولكنّ اللهَ حمَّلَهُ ذنوبَ شيعتِه ثمّ غَفَرَها له..**».

** يقول السّيّد ابن طاوس رحمه الله في كتاب (سعد السّعود): «وأمّا لفظ ﴿..مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ..﴾، فالّذي نقلناه من طريق أهل بيت النّبوّة صلوات الله عليهم، أنّ المرادَ منه: **ليغفرَ لكَ اللهُ ما تقدّمَ من ذنبِكَ وما تأخّرَ عندَ أهلِ مكّة وقريش**. يعني: ما تقدّمَ قبل الهجرة وبعدها؛ فإنّك إذا فتحتَ مكّة بِغَير قتلٍ لهم، ولا استيصال، ولا أخذِهم بما قدّموه من العداوة والقتال، غفروا ما كانوا يعتقدونه ذنباً لك عندَهم؛ متقدّماً أو متأخّراً..».

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ..﴾ الفتح:٤.

سُئل الإمام الصّادق عليه السلام عن معنى «السّكينة» في الآية، فقال: «**هو الإيمانُ، قالَ عزَّ مِن قائل**: ﴿..لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ..﴾».

قوله تعالى: ﴿..لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ الفتح:٢٥.

* سُئل الإمام الصّادق عليه السّلام: «ما بالُ أمير المؤمنين عليه السّلام لم يقاتل فلاناً، وفلاناً، وفلاناً؟ قال عليه السّلام: **لآيةٍ في كتاب الله عزّ وجلّ**: ﴿..لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾، قيل له عليه السّلام: ما يعني بتَزايلهم؟ قال: **ودايعُ المُؤمنين في أصلابِ قومٍ كافرين، وكذلك القائمُ عليه السّلام؛ لن يظهرَ أبداً حتّى تَخرجَ ودايعُ الله عزَّ وجلّ، فإذا خرجَتْ ظَهرَ على مَن ظهرَ من أعداء الله عزَّ وجلَّ فقتلَهم**». [تزيّلوا بمعنى تميّزوا بافتراق]

قوله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ..﴾ الفتح:٢٦.

* الإمام الصّادق عليه السلام: «**كانَ رَسولُ اللهِ صلّى الله عليه وآله يَتعوّذ في كلّ يومٍ مِن ستِّ خصالٍ: من الشّكِّ، والشِّركِ، والحَميَّةِ، والغَضَبِ، والبَغْيِ، والحَسَد**».

قوله تعالى: ﴿..فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا..﴾ الفتح:٢٦.

* رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ عهدَ إليَّ في عليّ بن أبي طالب عهداً ".." قال: إنّ عَلِيّاً رايةُ الهُدى، وإمامُ أوليائي، ونورُ مَن أطاعَني، وهو الكلمةُ الّتي ألزمتُها المتّقين، مَن أحبَّهُ أحبَّني، ومَن أطاعَهُ أطاعَني**».

** من خطبةٍ لأمير المؤمنين عليه السلام: «**أنا عُرْوةُ الله الوُثْقَى، وكلمةُ التّقوى**».

قوله تعالى: ﴿..لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ..﴾ الفتح:٢٧.

* قيل للإمام الصّادق عليه السلام: كيف صار الحَلْقُ عليه [أي على مَن يحجّ لأوّل مرّة] واجباً دون مَن قد حجّ؟ فقال عليه السّلام: «**لِيَصيرَ بذلك مُوسَماً بسِمَة الآمنين، ألا تسمعُ اللهَ عزّ وجلّ يقول**: ﴿..لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ..﴾».

قوله تعالى: ﴿(٢٩) مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ..﴾ الفتح:٢٩.

* الإمام الباقر عليه السلام: «**المؤمنُ أخو المؤمنِ لأبيه وأمّه، لأنَّ اللهَ خَلَقَ طينتَهُما مِن سَبعِ سماواتٍ، وهي من طينةِ الجنان**». ثمّ تلا ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾، وقال: «**فهلَ يكونُ الرَّحِمُ إلّا بَرّاً وَصُولاً**».

** الإمام الصّادق عليه السلام: «**تواصَلُوا، وتَبارُّوا، وتَراحَمُوا، وكُونُوا إخوةً بَرَرَةً كما أَمَرَكُم اللهُ عزَّ وجلَّ**».

مناسبات شهر جُمادى الثّانية

إعداد: صافي رزق

٣ جُمادى الثّانية / ١١ هجريّة

شهادة الصّدّيقة الكبرى فاطمة الزّهراء عليها السلام.

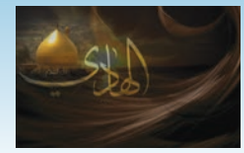

٥ جُمادى الثّانية / ٢٥٤ هجريّة

شهادة الإمام عليّ بن محمّد الهادي عليه السلام (على رواية، وقيل في الخامس والعشرين أو السّابع والعشرين منه، لكنّ المشهور أنّه في الثّالث من رجب).

٩ جُمادى الثّانية / ١٠ هجريّة

نزول آية التَّطهير؛ الثّالثة والثّلاثين من سورة الأحزاب.

١٣ جُمادى الثّانية / ٦٤ هجريّة

وفاة السّيّدة أمّ البنين عليها السلام زوجة أمير المؤمنين عليه السلام، والدة أبي الفضل العبّاس عليه السلام. [رأي]

١٩ جُمادى الثّانية

زواج والدَي رسول الله صلى الله عليه وآله.

٢٠ جُمادى الثّانية / ٥ بعد البعثة

ولادة الصّدّيقة الكبرى عليها السلام في مكّة المكرّمة.

٢٤ جُمادى الثّانية / ٧ هجريّة

غزوة ذات السَّلاسل، ونزول سورة العاديات.

أبرز مناسبات جُمادى الثّانية

❖ نزول سُورة العاديات ❖ شهادة الصِّدّيقة الكبرى عليها السلام ❖ ولادتُها صلوات الله عليها

❖ شهادة الإمام عليّ الهادي عليه السلام ❖ وفاة السّيّدة أمّ البنين عليها السلام

بعد تقديم فهرس بتواريخ المناسبات تحت عنوان مناسبات الشَّهر الهجريّ، تُقدِّم «شعائر» مختصَراً حول أبرزها، كمدخلٍ إلى حُسنِ التَّفاعل معها، مع الحرص على عنايةٍ خاصَّةٍ بمناسباتِ المعصومين عليهم السلام.

اليوم الرّابع والعشرون: نزولُ سورة العاديات

❋ عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**مَنْ صلَّى بها العِشاءَ الآخِرة عدلَ ثوابُها نصفَ القرآن، ومَنْ أَدْمَنَ قراءتَها وعليه دَينٌ أَعانَه اللهُ تعالى على قَضائِهِ سريعاً**».

❋ عن الإمام الصّادق عليه السلام: «**مَنْ قَرَأَ سُورة (العاديات) وأَدْمَنَ قِراءَتَها، بَعَثَهُ اللهُ عزَّ وجلَّ مع أميرِ المؤمنين عليه السلام يومَ القيامةِ خاصّة..**».

(البحرانيّ، تفسير البرهان)

اليوم الثّالث: شهادة السّيّدة الزّهراء عليها السّلام

❋ ورد في الحديث الشّريف المأثور عن أهل بيت العصمة عليهم السلام، ما نصُّه: «**مَا تَكامَلَتْ نبوّةُ نبيٍّ من الأنبياء حتّى أقرَّ بفضلِها ومحبَّتها**»، [وورد أيضاً]: «..**وهي الصِّدّيقة الكبرى، وعلى مَعرفَتِها دارَت القرونُ الأولى**».

والمعنى: أنّه ما تكاملت نبوّةُ نبيٍّ - والنّبوّة خلاصةُ التّوحيد - إلّا لِمَن أقرَّ بِفضلِها ومحبَّتِها، والإقرارُ هو الشّهادة على النّفس والاعترافُ منها للغير، وإقرارُ العقلاء على أنفسِهم جائز. فهذه شهادةٌ من الأنبياء لها بالفَضل والمحبّة. والشّهادةُ بالفضل تعني أنّه كانت لها زيادةٌ في الفضائل على الأنبياء، بل هي صاحبةُ الفضل عليهم بأنّه لم تكتمل نبوَّةُ نبيٍّ منهم إلّا بها عليها السّلام.

وفي ذيل الحديث [الثاني]، يقول المحقّق البارع أبو الحسن النّجفيّ ما نصُّه: «إنَّ المُراد من القرون هي قرونُ جميع الأنبياء والأوصياء، وأُمَمٌ مِن آدم فمن دونه، حتّى نفس خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله أجمعين، يعني ما بَعَثَ اللهُ عزَّ وجلَّ أحداً من الأنبياء والأوصياء حتّى أقرَّ بفضل الصِّدّيقة الكبرى ومحبَّتها».

ويؤيِّده ما ذكرَه السّيّد هاشم البحرانيّ صاحب (تفسير البرهان) في (مدينة المعاجز) عنه عليه السّلام: «**ما تَكامَلَت النُّبوَّة لِنَبيٍّ حتّى أقرَّ بفضلِها ومحبَّتِها**».

(الأسرار الفاطميّة، المسعوديّ)

❋❋ قال العلّامة المجلسيّ معلِّقاً على حديث الإمام الكاظم عليه السلام: «**إنَّ فاطمة صِدِّيقةٌ شهيدةٌ**»:

«ثمَّ إنَّ هذا الخبر يدلُّ على أنَّ فاطمة صلوات الله عليها، كانت شهيدةً، وهو من المتواترات. وكان سببُ ذلك أنَّهم لَمَّا غَصبوا الخلافة وبايَعَهُم أكثرُ النّاس، بعثوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام ليحضر للبَيعة، فأبَى، فبعث [الرّجل] بنارٍ ليُحرقَ على أهل البيت بيتَهم، وأرادوا الدُّخول عليه قهراً، فمَنَعَتهُم فاطمةُ عند الباب، فضَرَب قُنْفُذ غلامُ [الرّجل] البابَ على بطنِ فاطمة عليها السلام، فكَسرَ جَنبَيها وأسقطتْ لذلك جنيناً كان سمَّاه رسولُ الله صلى الله عليه وآله مُحْسِناً، فمرضتْ لذلك وتُوفّيتْ صلوات الله عليها في ذلك المَرض».

(مرآة العقول)

ما تَكامَلَتْ نبوّةُ نبيٍّ من الأنبياء حتّى أقرَّ بفضلِ الزّهراء عليها السّلام. والشّهادةُ بالفضل تعني أنّه كانت لها زيادةٌ في الفضائل على الأنبياء، بل هي صاحبةُ الفضل عليهم.

اليوم العشرون: ولادةُ السّيّدة الزّهراء عليها السّلام

* «..أَبْشِروا في هذا اليوم الشّريف بالمواهبِ الإلهيّةِ والرّغائبِ الرّحمانيّةِ لولادة أُمِّ الأئمّة النّجباء، سيّدةِ النّساء، والبَتولةِ العذراء، والإنسيّةِ الحوراء، وشرفِ الأرض والسّماء، فاطمةِ الزّهراء عليها السلام، وبارَكَ اللهُ لكم هذه الطّلعةَ الرّشيدةَ، والغرّةَ الحميدةَ في هذا العيد السّعيد مع الرّغيد، كما بُورك للنّبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة الأطهار، الّذين هم وَرَثَةُ النّبوّةِ والحكمةِ وفصلِ الخطاب، وقد جعلَ اللهُ شرقَ الأرضِ وغربهَا بِغُرَّةِ ناصِيَتِها مُستَنيرةً، وسكّانها بأشعّة جبينِها مُستضيئةً، فانظُروا إلى آثارِ رحمة الله كيف يُحيي الأرضَ بعد موتِها..»

(شجرة طوبى، الحائري)

** «فاطمة عليها السلام هي مِشْكاةُ النّبوّةِ الّتي أضاءَ لَأْلاؤُها وتَشَعْشعَ ضِياؤها وسَحَّت بِسُحُبِ الغرِّ أنواؤها، وعقيلةُ الرِّسالةِ الّتي عَلَتِ السَّبْعَ الشّدادَ مراتبَ عُلًا وعلاء، ومناصبَ آلٍ وآلاء، ومناسبَ سنًى وسناء. الكريمةُ، الكريمةُ الأنساب. الشّريفةُ، الشّريفةُ الأحساب. الطّاهرةُ، الطّاهرةُ الميلاد. الزّهراءُ، الزّهراةُ الأولاد. السّيّدةُ بإجماعِ أهلِ السَّداد، الخيّرَةُ من الخَير، ثالثةُ الشّمس والقمر، بنتُ خيرِ البَشر، أُمُّ الأئمّةِ الغُرَر، الصّافيةُ من الشَّوْب والكَدَر، الصّفوةُ على رغم مَن جَحدَ أو كَفرَ، الحاليَةُ بجواهرِ الجَلال، الحالَّة في أعلى رُتَبِ الكمال، المُختارةُ على النّساء والرِّجال، صلّى الله عليها وعلى أبيها وبَعلِها وبَنيها السّادةِ الأنجاب، وارِثِي النّبوّة والكتاب، وسلّمَ وشرّفَ وكرّم وعظّمَ».

(كشف الغمّة، العلّامة الإربليّ)

اليوم الخامس: شهادةُ الإمام الهادي عليه السّلام (على رواية)

قال أبو دعامة: أتيتُ عليَّ بن محمّد بن عليّ بن موسى عليهم السلام، عائداً في عِلّتِه الّتي كانت وفاتُه منها «..» فلمّا هَمَمْتُ بالانصراف، قال لي: **يَا أَبَا دعامة، قد وَجَبَ حقُّك، أفَلا أُحَدِّثُكَ بحديثٍ تسرُّ به؟** قال: فقلتُ له: ما أحوَجَني إلى ذلك يا ابنَ رسول الله!

قال: **حدَّثَني أبي محمّدُ بنُ عليّ، قال: حدَّثَني أبي عليُّ بنُ موسى، قال: حدَّثَني أبي موسى بنُ جعفر، قال: حدَّثَني أبي جعفرُ بنُ محمّد، قال: حدَّثَني أبي محمّدُ بنُ عليّ، قال: حدَّثَني أبي عليُّ بنُ الحسين، قال: حدَّثَني أبي الحسينُ بن عليّ، قال: حدَّثَني أبي عليُّ بن أبي طالب عليهم السّلام، قال: قال رَسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وآله: أُكتُبْ يا عليّ، قال: قلتُ: وما أُكتب؟ قال لي: أُكتب: بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ، الإيمانُ ما وَقَرَتْهُ القُلوبُ وصَدَّقَتْهُ الأعمالُ. والإسلامُ ما جَرَى به اللِّسانُ وحَلَّت بِهِ المُناكحةُ.**

قال أبو دعامة: فقلتُ: يا ابنَ رسولِ الله، ما أدري واللهِ أيّهما أحسن: الحديث أم الإسناد، فقال: **إنّها لَصحيفةٌ بِخَطِّ عليّ بن أبي طالب، بإملاء رسولِ الله صلّى الله عليه وآله، نَتوارثُها صاغِراً عن كابِرٍ».**

(المسعوديّ، مروج الذّهب)

فاطمة عليها السّلام هي مِشْكاةُ النّبوّة، الحالَّةُ في أعلى رُتَبِ الكمال، المُختارةُ على النّساء والرِّجال، صلّى الله عليها وعلى أبيها وبَعلِها وبَنيها السّادةِ الأنجاب.

اليوم الثّالث عشر: وفاة السيّدة أمّ البنين عليها السّلام

«على أثرِ إخلاص السّيّدة أمّ البنين في وُدّها ومحبّتها رسول الله صلى الله عليه وآله وذرّيّته الطّيّبين، وما قدّمته من عنايةٍ ورعايةٍ لأبناء الزّهراء عليها السلام، وما عَرفتْهُ لهم من الحقوق الّتي فرضَها اللهُ تعالى على عبادِه من السَّمع والطّاعة، والتّبجيل والتّكريم، خصَّها اللهُ تعالى بمقامٍ شامخٍ وجعلها باباً من أبواب الحوائج كما خصَّ ولدَها أبا الفضل العبّاس عليه السلام، فما رجاها طالبُ حاجةٍ، أو قَصَدها صاحبُ همٍّ وغمٍّ إلّا وقضى اللهُ تعالى حاجتَه، وفرّجَ عنه غمَّه وهمَّه، كلُّ ذلك إكراماً من الله تعالى للسّيّدة أمّ البنين. مقابل إخلاصِها».

(الخصائص العبّاسيّة، الكلباسيّ - مختصر)

الإطعام، قوتُ الأرواح

إعداد: محمد ناصر

مجموعةٌ من الأحاديث الشّريفة وردتْ في استحباب إطعام الطّعام في الله، وأنّه من أحبِّ الأعمال إليه تعالى، تليها كلماتٌ للشّيخ محمّد مهدي النّراقيّ في آداب الضّيافة، ووجوب تخليصها من الرّياء والمفاخرة المُفسِدَين للعمل.

جميعُ الأخبارِ الواردةِ في فضيلةِ إطعام المؤمن وسَقيه تدلُّ على فضيلة الضِّيافة، كقولِ رسول الله صلى الله عليه وآله بعد سؤالِه عن الحجِّ المبرور: «هو إطعامُ الطّعامِ، وطِيبُ الكلام».

واستَطعَمتُكَ فَلَم تُطعِمْنِي

❖ **جاء في الحديث القُدسيّ:**

«يَا ابنَ آدَم "..." واستَطعَمتُكَ فَلَم تُطعِمْنِي. قالَ: يا رَبّ، كيف وأنتَ رَبُّ العالَمين! قال: استَطعمَكَ عَبدي، وَلَو أَطْعَمتَه لوَجَدْتَ ذلكَ عندِي».

بَعَّدَهُ اللهُ من النّار

❖ **عن رسول الله صلى الله عليه وآله:**

١- «مَنْ أَطْعَمَ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَطْعَمَه اللهُ مِنْ ثَلَاثِ جِنَانٍ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ: الْفِرْدَوْسِ، وجَنَّةِ عَدْنٍ، وطُوبَى؛ شَجَرَةٍ تَخْرُجُ مِنْ جَنَّةِ عَدْنٍ غَرَسَهَا رَبُّنَا بِيَدِه».

٢- سُئل صلّى الله عليه وآله: «ما الإيمان؟ فقال: إطعامُ الطّعام، وبَذْلُ السَّلام».

٣- «مِن أَحَبِّ الأعمال إلى الله تعالى: إشباعُ جَوْعَةِ الْمُؤمن، وتَنفيسُ كُربَتِه، وقضاءُ دَيْنِه».

٤- «إنَّ اللهَ يُحِبُّ الإطعامَ في اللهِ، ويُحِبُّ الّذي يُطْعِمُ الطّعامَ في اللهِ، والبَرَكَةُ في بَيْتِهِ أسرَعُ من الشَّفْرَةِ في سنامِ البَعِير».

٥- «مَنْ أَطْعَمَ الطَّعامَ أخاه المؤمن حتّى يُشبعَهُ، وسقاهُ حتّى يرويه، بَعَّدَهُ اللهُ مِن النَّارِ سَبْعَة خنادق، ما بينَ كلِّ خندقَين مسيرةُ خمسمائةِ عامٍ».

قُوتُ الأرواح

❖ **عن أمير المؤمنين عليه السلام:**

١- «قُوتُ الأجْسامِ الطَّعامُ، وقُوتُ الأرْواحِ الإطْعامُ».

٢- «إنَّا أهلُ بيتٍ أُمِرْنا أنْ نُطْعِمَ الطَّعامَ، ونُؤوِيَ في النَّائبةِ، ونُصلِّي إذا نامَ النَّاسُ».

استَوجبَ الجنّة

❖ **عن الإمام الصّادق عليه السلام:**

١- «مِن مُوجِباتِ الجنّةِ والمَغفرة إطعامُ الطّعامِ السَّغْبانَ»، ثمّ تَلا قولَه تعالى: ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾. [السّغبان هو الجائع]

٢- «مَنْ أَطْعَمَ مُؤْمِناً حَتَّى يُشْبِعَه لَمْ يَدْرِ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ مَا لَه مِنَ الأَجْرِ فِي الآخِرَةِ، لَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، ولَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، إِلَّا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ».

قال العلماء

«ينبغي أنْ يقصدَ المؤمنُ في ضيافته التّقرُّبَ إلى الله، والتّسنُّنَ بسُنَّة رسول الله صلّى الله عليه وآله، واستمالةَ قلوبِ الإخوان، وإدخالَ السُّرور على قلوبِ المؤمنين، ولا يقصدَ بهِ الرّياءَ والمفاخرةَ والمباهاة، وإلّا ضاع عملُه. وأن يدعوَ الفقراءَ والأتقياءَ، وإنْ كانَ في ضيافةِ الأغنياء ومُطلَقِ النّاس فضيلةٌ أيضاً. وينبغي ألّا يُهمِلَ في ضيافة الأقارب والجيران، إذْ إهمالُهم قطعُ رَحِمٍ وإيحاش [ما يُضادّ الأُنس]، وألّا يدعوَ مَن يعلمُ أنّه تشقُّ عليه الإجابة. وينبغي أن يعجِّلَ في إحضارِ الطّعام، لأنّه من إكرامِ الضّيف».

(النّراقي، جامع السّعادات)

في تعقيب الفرائض

الشّكّ في عدد أذكار تسبيح الزّهراء عليها السلام

المرجع الدّينيّ الشّيخ محمّد أمين زين الدّين قدس سره

مجموعة من المسائل المرتبطة بتعقيبات الفرائض، ذكرَها المرجع الدّينيّ الرّاحل الشّيخ محمّد أمين زين الدّين في كتاب الصّلاة من رسالته العمليّة (كلمة التّقوى)، وتأتي عنايتُه رضوان الله عليه بتفصيل هذه المستحبّات، كَونها توجِبُ كمالَ الفرائض وزيادة القُرب من الله تعالى.

مسألة: أفضل ما يعقّب به الإنسان بعد الفراغ من صلاته هو تسبيح الزّهراء عليها السلام؛ ففي الحديث: «**مَا عُبِدَ اللهُ بِشَيْءٍ مِنَ التَّحْمِيدِ أَفْضَلَ مِنْ تَسْبِيحِ فَاطِمَةَ عليها السَّلام، ولَوْ كَانَ شَيْءٌ أَفْضَلَ مِنْه لَنَحَلَه رَسُولُ الله صلّى اللهُ عليه وآله فَاطِمَةَ**» ".." وهو أن يقول: (الله أكبر)، أربعاً وثلاثين مرّة، ثمّ يقول: (الحمد لله)، ثلاثاً وثلاثين مرّة، ثم يقول: (سبحان الله)، ثلاثاً وثلاثين مرّة. وقد ورد أيضاً تقديمُ التّسبيح على التّحميد.

وهو مستحبٌّ في غير التّعقيب أيضاً وعند إرادة النّوم، ويستحبّ أن تتّخذ السّبحة لذلك ولغيره من طين قبر الحسين عليه السلام.

مسألة: إذا شكَّ في عدد التّكبير أو التّحميد أو التّسبيح من تسبيح الزّهراء عليها السلام، وكان في المحلّ بنى على الأقلّ، فإذا كان ناقصاً أتمّه، وإذا شكَّ فيه بعد أن تجاوز محلّه ودخل في ما بعده بنى على الإتيان به ولمْ يَلتفِت، وإذا عَلِمَ بالنّقص رَجع إلى موضع النّقص فأتمَّه وأَتى بِما بَعده، وإذا زادَ في التّكبير أو التّحميد رَفع اليدَ عن الزّائد وأضاف إليهِ واحدةً على الأحوط، وإذا زاد في التّسبيح رفعَ اليدَ عن الزّائد ولا شيءَ عليه.

مسألة: يُستحبُّ أن يقول بعد تسبيح الزّهراء عليها السلام: «أَللّهُمَّ أَنْتَ السَّلامُ وَمِنْكَ السَّلامُ وَلَكَ السَّلامُ وَإِلَيْكَ يَعُودُ السَّلامُ. ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. السَّلامُ عَلَيكَ أَيُّها النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكاتُهُ، السَّلامُ عَلَى الأَئِمَّةِ الهادِينَ المَهْدِيِّينَ، السَّلامُ عَلى جَمِيعِ أَنْبِياءِ الله وَرُسُلِهِ وَمَلائِكَتِهِ، السَّلامُ عَلَيْنا وَعَلى عِبادِ الله الصَّالِحِينَ، السَّلامُ عَلَى عَلِيٍّ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ، السَّلامُ عَلى الحَسَنِ وَالحُسَيْنِ سَيِّدَي شَبابِ أَهْلِ الجَنَّةِ أَجْمَعِينَ، السَّلامُ عَلَى عَلِيِّ بْنِ الحُسَيْنِ زَيْنِ العابِدِينَ، السَّلامُ عَلى مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ باقِرِ عِلْمِ النَّبِيِّينَ، السَّلامُ عَلَى جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ، السَّلامُ عَلى مُوسى بْنِ جَعْفَرٍ الكاظِمِ، السَّلامُ عَلَى عَلِيِّ بْنِ مُوسى الرِّضا، السَّلامُ عَلى مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الجَوادِ، السَّلامُ عَلى عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الهادِي، السَّلامُ عَلى الحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ الزَّكِيِّ العَسْكَرِيِّ، السَّلامُ عَلَى الحُجَّةِ بْنِ الحَسَنِ القائِمِ المَهْدِيِّ، صَلَواتُ الله عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ»، ثمّ يسأل حاجتَه.

مسألة: يُستحبُّ أن يقول [في التّعقيب]:

* «أَسْتَغْفِرُ الله الَّذِي لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ ذو الجَلالِ والإكرامِ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ»، ثلاث مرّات.
* وأن يقول: «أَللّهُمَّ اهْدِنِي مِنْ عِنْدِكَ، وَأَفِضْ عَلَيَّ مِنْ فَضْلِكَ، وَانْشُرْ عَلَيَّ مِنْ رَحْمَتِكَ، وَأَنْزِلْ عَلَيَّ مِنْ بَرَكاتِكَ».
* وأن يقول: «أَللّهُمَّ صلِّ على مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، أَللّهُمَّ اعتِقْنِي من النَّارِ وأَدْخِلْنِي الجَنَّةَ وزَوِّجْنِي مِن الحُورِ العِين»...

«مَا عُبِدَ الله بِشَيْءٍ مِنَ التَّحْمِيدِ أَفْضَلَ مِنْ تَسْبِيحِ فَاطِمَةَ عليها السلام..»
الإمام الباقر عليه السلام

إذا شكَّ في عدد التّكبير أو التّحميد أو التّسبيح من تسبيح الزّهراء عليها السلام، وكان في المحلّ بنى على الأقلّ، فإذا كان ناقصاً أتمّه.

..وإذا شكَّ فيه بعد أن تجاوز محلّه ودخل في ما بعده بنى على الإتيان به ولمْ يَلتفِت، وإذا عَلِمَ بالنّقص رَجع إلى موضع النّقص فأتمَّه وأَتى بِما بَعده.

لُوذوا بواسطة الفَيض!

الصَّلاةُ أفضلُ الذِّكرِ، وأحلاه

شيخ الفقهاء العارفين الشّيخ بهجت قدّس سرّه

*** الفقيهُ النّبيهُ والعارفُ الكامل، الّذي كانت فضائلُه وِرداً على لسان الجميع؛ من خصائصه البارزة الّتي عُرِفَ بها منذ سالف عهده، قلّةُ الكلام والاختصارُ فيه.**

*** مختاراتٌ من ترجمةٍ خاصّةٍ بـ «شعائر» لكتاب (جرعة وصال)، المطبوع بإجازة مكتب شيخ الفقهاء العارفين، المرجع الرّاحل الشّيخ محمّد تقيّ بهجت قدّس سرّه.**

❖ مع أنَّ التّواصلَ مع إمام الزّمان وإقامةَ علاقةٍ معه عليه السّلام، والفرجَ الخاصّ بنا، هو أمرٌ اختياريٌّ لنا، خلافاً للظُّهور والفرج العامّ، مع ذلك، فلماذا لا نهتمّ بكيفيّة التّواصل معه عجّل الله تعالى فرجه الشّريف؟!

❖ مهمّةُ الشّمس هي الإضاءة، حتّى وإنْ كانت خلف السَّحاب. وكذا صاحبُ الأمر عليه السّلام، حتّى وإن كان مُستَتِراً **خلفَ حجابِ الغَيْبة!**... أبصارُنا لا تراه، ولكن هناك مَن كان يراه، ومَن **يَراهُ الآن**، وإن لم يَروه فإنَّهم على **تواصلٍ** معه عليه السّلام.

❖ أَيَجوزُ أن يكون رئيسُنا ومولانا **وليّ العصر** عجّل الله تعالى فرجه الشّريف حزيناً ونحن فَرِحون؟! أنْ **يبكيَ** لمصائب أصحابِه ونحن ضاحكون مسرورون؟! وبالرّغم من كلّ هذا نعتبر أنفسَنا شيعةً له عليه السّلام!

❖ يا ليتَنا نتجالسُ ونتباحثُ حولَ **عصر ظهور** الحجّة الغائب عليه السّلام، لنكونَ على الأقلّ من **مُنتَظِري الفرج!**

❖ إذا تعرّف أهلُ الإيمان إلى **مَلجئهم الحقيقيّ** ولجأوا إليه، فهل من الممكن ألّا **تشملَهم العنايةُ** من تلك النّاحية؟!

❖ مع أنّنا لا **يُوحى** إلينا ولا **نُلهَم**، إلّا أنّنا لا نلتفت إلى الواسطة الّذي يُوحى إليه ويُلهَم. بالرّغم من أنّه يُمكن لنا في المشاكل كافّة، أعمّ من الظّاهريّة والباطنيّة والدّنيويّة والأُخرويّة، أن نلوذَ **بواسطة الفَيض** ذاك عليه السّلام.

مرٌّ كالعَلقَم، أم حلوٌ كالعَسل؟

❖ هي نفسها هذه الأمور البسيطة والواضحة، **كالصّلاة**، الّتي تعرجُ بالبعض إلى السّماوات، بينما لا شيءَ من ذلك [يحصل] للبعض الآخَر! هي للبعض **أعلى عليّين**، بينما للبعضِ الآخَر.. اللهُ أعلمُ أيُّ مزيجٍ هي، مرٌّ كالعَلقم أم حلوٌ كالعسل!

❖ **السُّجودُ هو غايةُ الخضوع**، إذ تعني أنّنا لا شيء، وما نحن إلّا تراباً بين يدَيك.

❖ مع وجود كلّ هذه المحفِّزات في القرآن الكريم والأحاديث على **السّير والسُّلوك وطلب الكمال**، فإذا لم يَستفِد المرءُ منها، فإنَّ في عقله عيباً وخَلَلاً.. إنَّ **الصَّلاة** عند أهلها كَتناول الحلويّات؛ ولهذا فإنّهم لا يتعبون من إقامتها.

❖ جاء في كلمات أمير المؤمنين عليه السّلام: «**وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ عَمَلِكَ تَبَعٌ لِصَلاتِكَ**». وقد شُوهِد في أحوال كبار العلماء كيف أنَّها كانت تنقلب بشكلٍ غريبٍ وعجيبٍ في الصّلاة، فكأنّهم ليسوا أولئك الأشخاص الّذين كانوا قبل الصّلاة!

❖ يُستفاد من حديث: «**تَنَعَّمُوا بِعِبَادَتِي فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّكُمْ تَتَنَعَّمُونَ بِهَا فِي الآخِرَةِ**»، أنَّه يُمكن التَّنَعُّم بالعبادات؛ إلّا أنّنا نمارسُها وكأنَّ سيفاً مُسلّطاً على رؤوسنا؛ أو كأنّنا نتناولُ دواءً مُرّاً على كُرهٍ منّا.

الملف

الزّهراء عليها السّلام

جَوهرةُ القُدْسِ مِن الكَنْزِ الخَفيّ

اقرأ في الملف

استهلال	الصحيفة الفاطمية
موجزٌ في السّيرة وبعض المقامات	اللّجنة العلميّة في مؤسّسة الإمام الصّادق عليه السلام
آفاقُ معرفة الزّهراء عليها السّلام	الشّيخ حسين كوراني

المشهور أن فاطمة عليها السلام ولدت بمكة

استهلال

الصحيفة الفاطمية

عن أبي بصير، قال:

سألتُ أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام عن مُصحف فاطمة صلوات الله عليها، فقال: أنزل عليها بعد موت أبيها.

فقلتُ: ففيه شيءٌ من القرآن؟ قال: ما فيه شيءٌ من القرآن.

قُلتُ: فصِفْهُ لي. قال: له دفَّتانِ من زبرجدتَيْنِ على طولِ الورق وعرضِهِ حمراوين.

قُلتُ له: جُعلتُ فداكَ، صِفْ لي ورقَهُ. قال: ورقهُ من دُرٍّ أبيض، قيل له: (كُنْ) فكان. قُلتُ: جُعلتُ فداكَ، فما فيه؟ قال: فيه خبرُ ما كان، وخبر ما يكون، إلى يوم القيامة، وفيه خبر سماءٍ سماء، وعددُ ما في سماءٍ سماءٍ من الملائكة، وغيرُ ذلك، وعددُ كلِّ من خلق الله مُرسلاً وغيرَ مُرسل، وأسماؤهم، وأسماءُ الذين أرسلوا إليهم، وأسماءُ من كذَّب ومن أجاب منهم. وفيه أسماءُ جميع من خلق الله من المؤمنين والكافرين، من الأولين والآخرين، وأسماءُ البلدان، وصفة كلِّ بلدٍ في شرق الأرض وغربها، وعددُ ما فيها من المؤمنين، وعددُ ما فيها من الكافرين وصفة كلِّ من كذَّب، وصفةُ القرونِ الأولى وقصصهم، ومن ولي من الطواغيت ومُدَّة مُلكهم وعددهم. وفيه أسماءُ الأئمة وصفتهم، وما يملكُ واحداً واحداً، وفيه صفةُ كرَّاتهم "رجعاتهم"، وفيه صفة جميع من تردَّد في الأدوار من الأولين والآخرين..

الطبري - دلائل الإمامة: ص ١٠٥ من حديث طويل

فاطمة الزّهراء عليها السّلام سيّدة نساء العالمين

موجزٌ في السّيرة وبعض المقامات

إعداد: اللّجنة العلميّة في مؤسّسة الإمام الصّادق عليه السلام

في (موسوعة طبقات الفقهاء في أصحاب الفُتيا من الصّحابة والتّابعين، ١٥ مجلداً)، تأليف «اللّجنة العلميّة في مؤسّسة الإمام الصّادق عليه السّلام»، إشراف العلّامة الفقيه جعفر السّبحاني، وقفةٌ على أعتاب الصّدّيقة الكبرى الشّهيدة، اختارَتها «شعائر» لهذا الملفّ بتَصرّفٍ يَسيرٍ.

* بنتُ رسول الله صلى الله عليه وآله، تُكنّى أُمَّ أبيها، وتلقَّب بالزّهراء، وبالبتول، وبالصّدّيقة الكُبرى، وأُمّها أعظمُ أمّهات المؤمنين: خديجة بنت خويلد.

* الولادة: ٥ بعد المبعث، والشّهادة: ١١ هجريّة.

* وُلدت بمكّة المكرّمة بعد مبعث النّبيّ صلى الله عليه وآله بخمس سنين، وهو المشهورُ بين علماء الشّيعة، وقيل بسنتَين، وقيل بسنةٍ واحدة، وأكثرُ علماء أهل السّنّة يروون أنّها وُلدت قبلَ البعثة بخمس سنين.

* كانت ولادتُها في يوم الجمعة في العشرين من جُمادى الآخرة. ولم تلبث وهي صغيرة أنْ فقدت أُمَّها وعمَّ أبيها المحامي أبا طالب في عامٍ واحد.

* كانت إحدى الفواطم اللّاتي هاجرَ بهنّ عليٌّ عليه السلام من مكّة إلى المدينة بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وآله إليها.

* تقدّم لخطبتها عدّةٌ من الرّجال فردَّهم رسولُ الله ردّاً جميلاً، قائلاً لهم: «**أنتظرُ بها القضاء**»، ثمّ زوّجها عليّاً عليه السلام، وذلك في شهر رجب من السّنة الثّانية للهجرة.

* قالت الدّكتورة بنت الشّاطئ: «لقد آثَر اللهُ الزّهراء بالنّعمة الكبرى، فحصرَ في وُلدها ذرّيّةَ نبيّه المصطفى، وحفظَ بها أشرفَ سلالةٍ عرفَتها البشريّةُ منذ كانت، كما كرّمَ اللهُ عليّاً فجعلَ من صُلبه نسلَ خاتَم الأنبياء، فكان له من هذا الشّرف مجدُ الدّهر وعزّةُ الأبد».

* ورد في فضل فاطمة عليها السلام، أحاديثُ كثيرة تُعرب عن عظيم منزلتها، وسُمُوِّ مقامها، منها:

١- عن المسوَّر بن مخرمة أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله قال:

«فاطمةُ بَضعةٌ منّي، فمَن أغضبَها أغضَبَني».

٢- عن حُذيفة أنّه سمع النّبيّ ﷺ يقول:

«هَذا ملَكٌ لَم ينزلْ قبلَ هذه اللّيلة، استَأذنَ ربَّه أنْ يُسلِّمَ عَلَيَّ، ويُبشِّرَني بأَنَّ فاطمةَ سيّدةُ نساءِ أهلِ الجَنّة،وأنّ الحسنَ والحسَينَ سَيِّدا شَبابِ أهلِ الجَنّة».

٣- عن عائشة أنّ النّبيّ ﷺ قال، وهو في مرضِه الذي تُوفِّيَ فيه:

«يَا فَاطمة، أَلا تَرضينَ أن تَكوني سيّدةَ نِساءِ العالَمين، وسيّدةَ نِساء هذه الأُمّة، وسيّدةَ نساءِ المؤمنين».

٤- عن أبي هريرة، قال: نظرَ النّبيُّ ﷺ إلى عليٍّ وفاطمةَ والحسنَ والحسين، فقال:

«أنَا حَرْبٌ لِمَن حَارَبَكُم، سِلْمٌ لِمَن سَالَمَكُم».

* مرّ في ترجمة الإمام عليّ عليه السلام أنّها عليها السّلام من أهل البيت الذين أذهبَ اللهُ عنهم الرِّجْسَ وطهَّرهم تطهيراً، وأنّها أحدُ مَن أخرجَهم النّبيُّ ﷺ ليُباهلَ بهم نصارى نَجران.

* كانت الزّهراءُ عليها السلام مِن أحبِّ النّاسِ إلى رسول الله ﷺ، وكان يقومُ لها إنْ دخَلتْ عليه ويهشُّ لها ويرحِّبُ بها، وكان إذا أرادَ السَّفرَ كانَ آخرُ عهدِه بفاطمة، وإذا رجعَ كانَ أوّلُ عهدِه بها.

* رُوي عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه قال: «كان أحبّ النّساء إلى رسول الله فاطمة، ومن الرّجال عَلِيٌّ».

* عن عائشة قالت: «ما رأيتُ أحداً كانَ أشبهَ كلاماً وحديثاً برسول الله ﷺ من فاطمة، وكان إذا دخلتْ عليه قامَ إليها فقبّلَها، ورحّبَ بها، وكذلك كانت هي تصنعُ به».

* رَوت الزّهراءُ عن أبيها رسول الله ﷺ، ورَوى عنها: ابناها: الحَسن والحسَين عليهما السلام، وأُمُّ سلمة، وعائشة، وسَلمى أُمُّ رافع زوجُ أبي رافع، وأَنَسُ بنُ مالك، وآخرون.

* عُرفت عليها السّلام بصدق لهجتِها، وعبادتِها، ووَرَعِها، وحفظِها السِّرَّ، لم تَحفلْ بزَخارف الدّنيا ومظاهرِها، [وكانت] صابرةً عندَ البلاء، شاكرةً عندَ الرّخاء.

* كانت النّسوةُ يُقبلنَ على بيتِها، فتفيضُ عليهنّ من علمِها.

* رُوِيَ أنّ امرأةً جاءتْ تسألُ فاطمةَ مسائلَ، فأجابَتها فاطمةُ عن سؤالها الأوّل، وظلّت المرأةُ تسألُها حتّى بلغت أسئلتُها العشرة، ثمّ خَجِلَت من الكثرة، فقالت: لا أشقُّ عليكَ يا ابنةَ رسول الله ﷺ، **فقالت فاطمة:**

هَاتِي وَسَلِي عمّا بدا لك، إنّي سمعتُ أبي يقول: إنّ علماءَ أُمّتِنا يُحشَرونَ فيُخلَعُ عَليهم من الكراماتِ على قدرِ كثرةِ علومِهم وجدِّهم في إرشادِ عبادِ الله.

* وقفتْ بعدَ وفاةِ رسولِ الله صلى الله عليه وآله موقفاً حازماً من الخلافة، ومن إرثِها وحقِّها في فدك، وخطَبتْ في المسجد في جَمعٍ من المهاجرين والأنصار، وتحدّثت عن فضائلِ عليٍّ عليه السلام، ومواقفِه الخالدةِ في الإسلام، ونَعَتْ عليهم إسنادَ الأمر إلى غَيرِه.

* وجَرَتْ بعدَ ذلك خطوبٌ، ذكرَها المؤرّخون في كُتُبِهم، عانَتْ بسَبِبها الزّهراءُ عليها السلام أشدَّ معاناة، ولَزِمَت الفراش.

* ولمّا أحسّت بدُنوِّ أجَلِها استدعتْ أميرَ المؤمنين، فَأَوْصَتْه أن يواريَ جُثمانَها في غَسَقِ اللّيل، وأن لا يحضرَ جنازتَها أحدٌ.

(.. وَلِأَيِّ الأُمُورِ تُدْفَنُ سِرّاً
بَضْعَةُ المُصْطَفَى وَيُعْفَى ثَرَاهَا..)

* اختُلِفَ في مدّة بَقائها بعدَ رسولِ الله صلى الله عليه وآله فقيل: ثلاثةُ أشهر، وقيل خمسةٌ وسبعون يوماً، وقيل غير ذلك.

* قال البخاريّ: دفنَها زوجُها عليٌّ [عليه السلام] ليلاً، ولم يُؤْذِن أبا بكر، وصَلّى عليها.

* ووقفَ عليٌّ عليه السلام على قبرِها، وقال:

«السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ عَنِّي وعَنِ ابْنَتِكَ النَّازِلَةِ فِي جِوَارِكَ والسَّرِيعَةِ اللَّحَاقِ بِكَ، قَلَّ يَا رَسُولَ الله عَنْ صَفِيَّتِكَ صَبْرِي، ورَقَّ عَنْهَا تَجَلُّدِي، أَلَا وإِنَّ فِي التَّأَسِّي بِعَظِيمِ فُرْقَتِكَ وفَادِحِ مُصِيبَتِكَ مَوْضِعَ تَعَزٍّ، فَلَقَدْ وَسَّدْتُكَ فِي مَلْحُودَةِ قَبْرِكَ، وفَاضَتْ بَيْنَ نَحْرِي وصَدْرِي نَفْسُكَ، إِنَّا للهِ وإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ، لَقَدِ اسْتُرْجِعَتِ الْوَدِيعَةُ، وأُخِذَتِ الرَّهِينَةُ، أَمَّا حُزْنِي فَسَرْمَدٌ، وأَمَّا لَيْلِي فَمُسَهَّدٌ، إِلَى أَنْ يَخْتَارَ لِيَ اللهُ دَارَكَ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا مُقِيمٌ».

(اللّجنة العلميّة في مؤسّسة الإمام الصّادق عليه السلام، موسوعة طبقات الفقهاء: ج ١/ ص ١٦ – ٢٠)

.. مَا أعلمُ عَلى ظهرِ الأرضِ أحداً عَلى هذا الدِّين غيرَ هؤلاء الثّلاثة

عن يحيى بن عفيف، عن عفيف بن مَعْدِ يكَرِب:

قَدِمْتُ مكّةَ أريدُ أبتاعُ من عطرِها وثيابِها فَآويتُ عندَ العبّاس.

قال: فإنّي لَجالِسٌ أنا والعبّاس أنظرُ إلى الكعبة، إذْ أقبلَ شابٌّ وقَد ارتفعتِ الشّمسُ فتوجَّهَ نحوَ الكعبة، ثمّ أقبلَ غلامٌ حتّى قامَ إلى جانبِه، ثمّ أقبلتِ امرأةٌ حتّى قامت خلفَهما، فَكَبَّرَ وَكَبَّرا، ثمّ ركعَ فَرَكَعا، ثمَّ رفعَ فرفَعا، ثمّ أهوى إلى الأرضِ ساجِداً فَأَهْوَيَا.

فقلتُ: يا عبّاس، أمرٌ عظيمٌ!

قال: أَتَدري مَن هذا الشّابّ؟

قلتُ: لا. قال: هذا محمّدُ بنُ عبدِ الله، ابنُ أخي.

أَتَدري مَن هذا الغلام؟ قال: قلتُ: لا.

قال: هذا عليُّ بنُ أبي طالبٍ، ابنُ أخي.

وتَدري مَن هذه المرأة؟

قال: قلت: لا. قال: هذه خديجةُ بنتُ خويلد، امرأةُ ابنِ أخي.

إنّ ابنَ أخي هذا زعمَ أنّ ربَّه، ربّ السّماوات والأرض، أمرَه بهَذا الدِّينِ الذي هو عليه، وما أعلمُ على ظهرِ الأرضِ أحداً على هذا الدِّين غير هؤلاء الثّلاثة.

(محمّد بن سليمان الكوفيّ،
مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام: ص ٢٧٢)

آفاقُ معرفة الزّهراء عليها السّلام

إعادةُ النّظر في المَنهج السّائد في معرفة المعصوم

الشّيخ حسين كوراني

في بابِ معرفةِ ما يُمكن معرفتُه من مقامات الصّدّيقة الكبرى الشّهيدة الزّهراء عليها السلام، هل نعاني ضعفاً مفرطاً مردُّه التّقصير؟

وهل ينحصرُ هذا الخللُ بمعرفتها عليها السّلام، أم أنّه يشملُ غيرها من المعصومين: النّبيّ الأعظم والأئمّة صلّى الله عليه وعليهم أجمعين؟

في هذا السّياق كتبَ الشّيخ حسين كوراني، ما يلي:

«شعائر»

سيتّضحُ أنّ «التّقصير» ليس منحصراً بباب معرفة الزّهراء، إلّا أنّه دون أعتابها عليها السلام في غاية الخطورة والإفراط، وبالتّالي التّفريط في حقّها صلوات الله عليها.

هذا ما أحاول الإضاءة عليه، بحوله تعالى، من منطلق واجب تصحيح عقيدتي والتّبليغ، وبقطع النّظر عن أيّ اعتبارٍ آخر، وهو سبحانه خيرُ الشّاهدين.

وأجدُني مضطرّاً لتوكيد هذا المَلمح بعبارة ثانية: ليس هدفي من هذا الحديث – وما سبق ونُشر- الحكم على الأشخاص ونواياهم، فذلك ما ينكشفُ يومَ تُبلى السّرائر، بل الهدف هو دراسةُ الأفكار والرّؤى والطّروحات، فقد تكون الفكرةُ منحرفةً لكن مَن يحملُها جاهلٌ بانحرافها، فإذا تنبّهَ بادر إلى رفضِها.

ما أكثر المخلصين بين الذين يحملون قناعاتٍ فكريّةً غير سليمة، بل وأحياناً يضرب الانحراف بعضَ خطوط اعتقادهم، لكنّهم لإخلاصهم يَصلون إلى سلامة العقيدة، و﴿.. يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡ ..﴾ يونس:٩.

وفي باب العقائد لا يحقّ لي ولغيري إلّا أن نتحدّث بلغة – وما أُبَرِّئ نَفسي- بهدف البحث عن الصّراط المستقيم استعداداً ليوم العرض على الله تعالى.

ينقسمُ المشهدُ الثّقافيُّ المعتقِدُ بعصمة الزّهراء عليها السّلام، إلى قسمَين

الأوّل: وهو الأكثر انتشاراً: الاعتقادُ بعصمتِها سلامُ الله عليها، عموماً وفي الجملة، لأنّ إجماع العلماء والفقهاء وأساطين المذهب قائمٌ على ذلك، والاقتصار في الحديث عنها عليها السّلام على الآيات وتفسيرها الظّاهريّ العامّ، وعلى الرّوايات المنتقاة التي تكون الجُرعة الغيبيّة فيها خفيفة، أوْ ليس في ظاهرها شيءٌ من الغيب.

الثّاني: وهو نهجُ الفقهاء العرفاء وغير العرفاء: الاعتقادُ بعصمتِها عليها السّلام اعتماداً على فقه جميع الآيات وجميع الصّادر من الرّوايات مع الدّخول في أبحاث علميّة معمّقة في فقه هذه الرّوايات وخصوصاً ما كان الغالب فيه الغَيب المستغلِق بظاهره، من قبيل أنّ فاطمة عليها السلام هي ليلة القدر.

نتيجتان متغايرَتان

النّتيجة التي يبلُغها مَن هم من القسم الأوّل (أهل روايات الجُرع الغيبيّة الخفيفة أو بدون الغيب) عجزُ هذه الرّوايات -بزعمهم- عن تقديم صورةٍ عن الصّدِّيقة الكبرى تنسجمُ مع مكانتها المتميّزة بين المعصومين الأربعة عشر، بل بين سادتهم «**أهل الكساء**».

أما النّتيجة التي يبلغها الفقهاء العرفاء ومَن اقتنع بأدلّتهم، فهي أنّ عظَمة الزّهراء عليها السلام محمّديّةٌ، فهي «**أُمُّ أبيها في عظيمِ المَنزلة**» كما يعبّر المرجعُ الفقيه والفيلسوفُ الشّيخ محمّد حسين الغرويّ الأصفهانيّ الذي يفتخر العلّامة الطّباطبائيّ صاحب (تفسير الميزان) بأنّه تتلمذَ عليه لسنوات.

نصّان للإمام الخمينيّ

ولعلّ أفضلَ بيانٍ تخصُّصيٍّ - في كلمات العلماء - لعظَمة الصّدّيقة الكبرى المحمّديّة هو ما قاله الإمام الخمينيّ قدس سره على أعتابها عليها السّلام، وأختارُ من كلماته هنا نصَّين:

الأوّل: توصيفاتٌ عامّةٌ لعظَمتها النّبويّة الإلهيّة، جاء فيه:

* «جميعُ الأبعاد المتصوَّرة للمرأة والمتصوَّرة للإنسان تجلّتْ في فاطمة الزّهراء سلام الله عليها.. لم تكن امرأةً عاديّة.. إنها امرأةٌ روحانيّة.. امرأةٌ ملَكوتيّة.. إنسانٌ بتمام معنى الإنسان...
* تمامُ نسخة الإنسانيّة.. تمامُ حقيقة المرأة.. تمامُ حقيقة الإنسان.. هي ليست إمرأةً عاديّة.. إنّها موجودٌ ملَكوتيٌّ ظهرَ في العالَم بصورة إنسان.. بل موجودٌ إلهيٌّ جَبَروتيٌّ ظهرَ في صورة امرأة...
* تمام الهويّات (والخصائص) الكماليّة التي تُتصوَّر في الإنسان وفي المرأة، تمامُها في هذه المرأة ".." جميع خواصّ الأنبياء موجودةٌ فيها..».

* **الثّاني: حول أنّ الخلافة الكليّة الإلهيّة لأهل البيت عليهم السلام على كلِّ ذرّات الوجود، وأن هذا المقام ثابتٌ للزّهراء عليها السلام.**

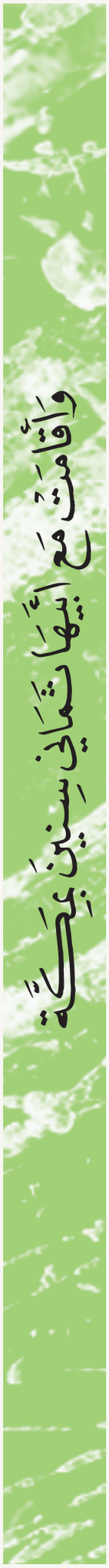

*** يقول الإمام الخميني قدس سره:**

* لا يلزمُ من إثبات الولاية (السّياسيّة) والحكومة للإمام عليه السلام ألّا يكون لديه مقامٌ معنويّ. إذ للإمام مقاماتٌ معنويّةٌ مستقلّةٌ عن وظيفةِ الحكومة، وهي مقامُ الخلافة الكليّة الإلهيّة التي وردَ ذكرُها على لسان الأئمّة عليهم السلام أحياناً، والتي تكون بموجبها جميعُ ذرّات الوجود خاضعةً أمام «وليّ الأمر».

* من ضروريّات مذهبنا أنّه لا يصلُ أحدٌ إلى المراتب المعنويّة للأئمّة عليهم السلام حتّى الملَك المقرَّب والنّبيّ المرسَل. وفي الأساس فإنّ الرّسول الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام - وبحسب رواياتنا - كانوا أنواراً في ظلّ العرش قبل هذا العالَم، وهم يتميّزون عن سائر النّاس في انعقاد النّطفة و«الطّينة» ولهم من المقامات إلى ما شاء الله، وذلك كقول جبرائيل عليه السلام في روايات المعراج: «**لَو دنوتُ أُنملةً لاحترقتُ**»، أو كقولهم عليهم السلام «**إنّ لنا معَ اللهِ حالات، لا يسَعُها ملَكٌ مقرّبٌ ولا نبيٌّ مرسَلٌ**». فوجودُ مقاماتٍ كهذه للأئمّة عليهم السلام من أصول مذهبِنا، وذلك بغضّ النّظر عن موضوع الحكومة.

*** ولكي يتّضح الفرقُ بين النّتيجتَين، ينبغي إيضاحُ أنّ القسم الأوّل، (الظّواهريّ - المادّيّ) ينقسمُ بدوره إلى طيفَين:**

الأوّل: يسكتُ عمّا يسمعُ من عظيمِ مقاماتِ الزّهراء عليها السلام، وقد يتفاعلُ معه لكن دون أن يدخلَ في عَرضه والحديث عنه، أو مواجهتِه ونَفيه.

الثّاني: يتصدّى لمواجهة كلّ هذه «الغوامض، والأمور الغيبيّة المبهَمة» كما يصفُها، وتتّسعُ دائرةُ هذا التّصدّي لتشملَ مجالاتٍ كثيرةً منها:

١- ينفي مثلاً ثبوت رواية نور الزّهراء عليها السلام.

٢- يقلّل جدّاً من شأن «**مصحف فاطمة**» عليها السلام، ليقدّمه بما «**ينسجمُ مع روح العَصر**» مجرّدَ مفكّرةٍ كانت الزّهراءُ تكتبُ عليها بعضَ الملاحظات!

٣- يحاربُ التّوسّلَ بالزّهراء عليها السلام بصيغة «**يا فاطمةُ اشفَعي لي عندَ الله**» في خطّ محاربةِ أصلِ فكرةِ التّوسُّل، بدعوى أنّ الدّعاء المعتمَد ليس مرويّاً، والحال أنّ أدعية التّوسُّل المرويّة كثيرةٌ جدّاً، ومنها «**دعاء القرآن الكريم**» الذي يُقرأ ليلة القدر، ثمّ إنّ أصل التّوسّل مبدأٌ قرآنيّ مجمَعٌ عليه بين المسلمين شيعةً وسنّةً، لا يحاربُه إلّا الوهّابيّون، وليسوا مسلمين، ثمّ إنّ الفقهاء يُفتون بجواز إنشاء الدّعاء.

٤- يحارُ بعضُ هؤلاء في الصّفاتِ التي يُطلقونَها على الزّهراء عليها السلام، أو التّعابير التي يعبّرون بها عنها.

قال لي أحدُ العلماء رحمه الله: من عظَمة الزّهراء أنّها رَضِيَت أن تتزوّجَ من عليٍّ وهو فقير!!

وقلتُ لآخر: لماذا تعبّر عن الزّهراء بالكاتبة الإسلاميّة الأولى أو أوّل كاتبة في الإسلام؟ فقال: أريدُ أن أقدّم الزّهراء بأسلوبٍ حديث! وله الحقُّ والشّكرُ بأنْ يقدّمَها عليها السّلام بأسلوبٍ حديث، لكن وصف الكاتبة دون مستوى مفكّر، وهو (أي وصف مفكّر) دون مستوى فقيه، وهما دون مستوى معصوم.

سببُ هذه الحيرة الحرصُ على الجَمع بين الاعتقاد بالعصمة، وبين الموجود في القليل من الرّوايات التي يحصرُ هؤلاء تعاملَهم معها، ويأتي مزيدُ إيضاح.

٥- وفي هذا السّياق يجب أن يوضعَ موقف هذا الفريق ممّا جرى على الزّهراء عليها السلام بعد رحيل النّبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله. ليس هذا الموقف إلّا نتيجةً تلقائيّةً لطبيعة معرفة الزّهراء عليها السلام التي تشوبُها عندَهم هذه الظّواهر المتقدّمة.

الفرقُ بين النّتيجتَين

في ضوء ما سبق يتّضح أنّ كلّ قسمٍ - من قسمَي المشهد الثّقافيّ المذكور- يصل إلى نتائج تتشكّل على أساسها نظرتُه ورؤيتُه إلى الزّهراء عليها السلام، كما يتّضحُ أنّ الفرق بين الرّؤيتَين كبيرٌ جدّاً، فهو ببساطة الفرقُ نفسُه بين مَن «**تجلّت فيها كلُّ خصائص الأنبياء**»، وبين «**الكاتبة الإسلاميّة الأولى**».

التّدقيق في جمهور الرّؤيتَين: المشهد العامّ

واللّافت لدى التّدقيق في جمهور الرّؤيتَين، أنّ الغالب في جمهور الرّؤية السّليمة - سواء العلماء أو المقتنعين بأدلّتهم أو بآرائهم - أنّهم كبار الفقهاء - العرفاءُ منهم وغير العرفاء - وعامّةُ المؤمنين من صنفَين:

أ) الذين لم يلتحقوا بالإسلام الحركيّ، ولم يتأثّروا ببعض رموزه الذين هم من أصحاب الرّؤية المدخولة.

ب) الذين التحقوا بالإسلام الحركيّ، ووصلوا إلى «خطّ الإمام الخمينيّ» والتزموه دون تَسييس هذا الالتزام.

أمّا الغالب في جمهور الرّؤية المدخولة فهو أنّهم إمّا من أتباع الإسلام الحركيّ، أو خرّيجو مدارس ومعاهد وجامعات وصلوا إلى الأوساط الدّينيّة عن طريق ثقافة الإسلام الحركيّ.

اللّافت في المشهد العامّ للقسم الأوّل - الرّؤية الأصيلة - أنّ تعابير الولاء المتداولة بين أفراد هذا القسم تقوم على التّقديس المتلازِم مع الحذر من التّقصير.

بينما نجد أنّ اللّافت في المشهد العامّ للرّؤية المقابلة أنّ تعابير الولاء عندهم تقوم على الاحترام المتلازِم مع الحذر من الغلوّ.

ولدى محاولة التّعرُّف إلى معياريّة هؤلاء في الغلوّ تجد أنّهم - في الغالب - لا يرجعون فيه إلى نتيجة بحثٍ علميٍّ استقرّ رأيُهم عليها، بل إنّهم يعتبرون الغلوّ ما لم ينسجم مع قناعاتهم واستحساناتهم.

إنّهم لا يملكون جواباً على حقيقة أنّ نفيَ الغلوّ واجبٌ، إلّا أنّ الأوجبَ هو تحديدُ الغلوّ ليُصارَ إلى نفي ما تحدّدت هويّتُه لضمان عدم الخلط بين ما نتصوّره غلوّاً وما هو كذلك في الواقع.

إشارةٌ هنا إلى أنّ المختصّين حدّدوا الغلوّ في أهل البيت عليهم السّلام بأنّه عبارةٌ عن أحد ثلاثة أمور: التّأليهُ، والعياذ بالله تعالى، وتفضيلُهم على النّبيّ، أو مساواتُهم به صلّى الله عليه وآله في كلّ شيء حتّى النّبوّة.

التّدقيق في الأسباب، والدّوافع والمنطلقات

ولا علاقة للدّوافع والمنطلقات بالنّوايا، فليس هذا الحديث بصدد الحكم بالإخلاص وعدمه، بل هو بصدد البحث عن المآل الذي يرتسمُ على أساسه المشهد الثّقافيّ.

بالبحث عن الأسباب التي أدّت إلى اختلاف الرّؤى بين المعتقدين بعصمة الزّهراء عليها السلام، يُمكن رصدُ ستّة أسباب رئيسة تكوّنت في ضوئها دوافعُ في البحث ومنطلقاتٌ شكّلت حُجُباً تحول دون الممكن من معرفة الزّهراء عليها السلام (وغيرها من المعصومين عليهم السّلام).

هذه الأسباب الرّئيسة هي:

- **١- الغَزو الثّقافيّ.**
- **٢- ضعفُ الإيمان بالغَيب.**
- **٣- البدءُ بدراسة سيرة المعصومين عليهم السلام، من أجواء المولد وما بعدَها، كما تُدرَس سيرة أيّ إنسان.**
- **٤- الخلط في مباني فقه النّصّ بين المباني الأصيلة والالتقاطيّة.**
- **٥- تخصّصيّة الرّوايات حول الزّهراء وخصائصِها عليها السلام.**
- **٦- مغالطةُ التّمسّك بضَعف السّنَد.** (أكتفي هنا بالإشارة إلى أنّ ما ورد بسنَدٍ ضعيفٍ، قد يكون تمامُ مضمونه مرويّاً بسنَدٍ آخر معتَبرٍ، والإشارة إلى جَبر ضعفِ السَّنَد).

***

وفي ما يلي توضيحٌ حول الثّاني والثّالث من هذه الأسباب، وهما متداخلان:

ضعفُ الإيمان بالغيب خللٌ معياريٌّ يجعلُ التّعاملَ مع حقائق الغيب محكوماً بمنطق الشّهادة.

ليس الحديثُ عن ضعف الإيمان بالغيب تهمةً لأحد، بل هو شكوى من النّفس الأمّارة التي تتنكّبُ العقلَ فإذا بالواقع الموضوعيّ عندها يقابل الغَيب في حين أنّ الغيب هو الواقع، وما نسمّيه بالواقع الموضوعيّ هو الظّلُّ الزّائل.

لقد ضرب **الغزو الثّقافيّ** بعيداً في تَغييب الغيب، حتّى لم يبقَ منه عند الكثيرين منّا إلّا اسمُه.

وهذه إشكاليّةٌ ينبغي أن يتركّز عليها جهدُ الباحثين، وسأكتفي هنا بظواهر مرَضيّة منشؤها ضعفُ الإيمان بالغيب، ترتبط – هذه الظّواهر – بالوقوف على أعتاب الصّدّيقة الكبرى عليها السّلام:

من هذه الظّواهر:

١- **تغييبُ التّفسير المُمعن في الغيبيّة** للآيات المرتبطة بالمعصومين عليهم السّلام. وتغييبُ الرّوايات التي يغلب عليها طابع الغيبيّات. والحجّةُ عند الاستدلاليّين من هؤلاء هي الفهمُ المغلوط لبشريّة الرّسول، الذي يجعلُهم يقفون عند القسم الأوّل من الآية: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ..﴾ الكهف:١١٠، ولا يُكملونها ﴿..يُوحَىٰٓ إِلَيَّ..﴾ الكهف:١١٠، أو يقفون عند الوصف الأوّل من الآية: ﴿.. قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ الإسراء:٩٣.

٢- **تغييب أبحاث النّشأة الأولى**: وقد نتج عن ذلك تغييبُ الحديث عن موقع المعصومين الأربعة عشر وخلْقِهم قبل آدم عليه السلام، والبَدءُ -عادةً- بالتّعرُّف إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السّلام من مرحلة ما قبل الولادة كأيّ إنسانٍ آخر من غير المعصومين.

وفي الحديث الدّائر منذ سنوات حولَ الزّهراء عليها السلام ما يكشفُ بجلاء عن هذَين التّغييبَيْن وما يتفرّع منهما.

***

ولا بدّ من الوقوف بشيءٍ من التّفصيل عند هاتَين الظّاهرتَين.

* حول الظّاهرة الأولى وهي تَغييب البُعد الغيبيّ في الحديث عن المعصومين بحجّة عدم الوقوع في الغلوّ، أذكرُ شاهدَين يوضحان أنّ الحديث عن المقامات العالية للمعصومين وعن البعد الغَيبيّ فيهم عليهم السّلام هو الأصل.

الشّاهد الأوّل: نصٌّ للمرجع الكبير الرّاحل السّيّد الخوئي حيث يبيّن أنّ الأئمّة هم أسماءُ الله الحسنى، فيقول رحمه الله تعالى:

قال السّيّد الخوئي:

ابتدأَ اللهُ كتابَه التّدوينيّ بذكر اسمِه، كما ابتدأ في كتابِه التّكوينيّ باسمِه الأتمّ، فخلقَ الحقيقةَ المحمّديّةَ ونورَ النّبيّ الأكرم قبل سائر المخلوقين، وإيضاحُ هذا المعنى: أنّ الاسم هو ما دلّ على الذّات، وبهذا الاعتبار تنقسم الأسماء الإلهيّة إلى قسمَين: تكوينيّة، وجَعْليّة. فالأسماء الجَعْليّة هي الألفاظ التي وُضعت للدّلالة على الذّات المقدّسة، أو على صفةٍ من صفاتها الجماليّة والجلاليّة، والأسماءُ التّكوينيّة هي الممكناتُ الدّالّة بوجودها على وجود خالقِها وعلى توحيده: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ الطّور:٣٥. ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا..﴾ الأنبياء:٢٢. ففي كلِّ شيءٍ دلالةٌ على وجود خالقه وتوحيده، وكما تختلف الأسماءُ الإلهيّة اللّفظيّة من حيث دلالتها، فيدلّ بعضُها على نفس الذّات بما لها من صفات الكمال، ويدلّ بعضها على جهةٍ خاصّةٍ من كمالاتها على اختلافٍ في العظَمة والرّفعة، فكذلك تختلف الأسماءُ التّكوينيّة من هذه الجهة، وإن اشتركَ جميعُها في الكشف عن الوجود والتّوحيد، وعن العِلم والقدرة وعن سائر الصّفات الكماليّة. ومنشأُ اختلافها: أنّ الموجود إذا كان أتمّ كانت دلالتُه أقوى، ومن هنا صحَّ إطلاقُ الأسماء الحُسنى على الأئمّة الهداة، كما في بعض الرّوايات. فالواجبُ جلّ وعلا قد ابتدأ في أكمل كتابٍ من كُتبِه التّدوينيّة بأشرفِ الألفاظِ وأقربها إلى اسمِه الأعظم من ناظر العين إلى بياضها، كما بدأَ في كتابه التّكوينيّ باسمِه الأعظم في عالم الوجود العَينيّ، وفي ذلك تعليمُ البشر بأن يبتدئوا في أقوالهم وأفعالهم باسمه تعالى.

(السّيّد الخوئي، البيان في تفسير القرآن: ص ٤٣٣ – ٤٣٤)

الشّاهد الثّاني: نصّ للإمام الخمينيّ
حول مقامات الصّدّيقة الكبرى عليها السلام جاء فيه:

«.. وماذا يستطيعُ المرءُ أن يقول - أو يُدرك - حول شخصيّةٍ تتّصفُ بآلاف الأبعاد الإلهيّة التي يعجزُ عن بيان كلٍّ منها القلمُ واللّسان؟!

ليس بوسع أحدٍ أن يعرف شخصيّةَ الزّهراء المَرْضِيّة، والصِّدِّيقة الطّاهرة عليها السّلام سوى الذين ارتقَوْا مدارج الأبعاد الإلهيّة حتّى ذروتها، وهو ما لم يبلُغه إلّا أولو العزم من الأنبياء، والخُلَّص من الأولياء كالمعصومين عليهم صلوات الله.

إنّها ظاهرةٌ من مرتبة الغَيب الأحديّة، ومتجلّيةٌ حتّى آخر نقطة شهوديّة، ودائرةٌ من أدنى مرتبة الشّهود إلى مرتبة [أعلى] الغيب المُتَيّم، كحال الخُلَّص الأولياء عليهم سلام الله، ويُخطئ من يدّعي معرفةَ مقامِها المقدَّس من العُرفاء أو الفلاسفة أو العلماء. وكيف يُمكن إماطةُ اللّثام عن منزلتِها الرّفيعة وقد كان رسولُ الإسلام يتعاملُ معها في حال حياته معاملةَ الكامل المطلَق!

..كيف لي ولقلمي ولغة البشر الحديثُ عن سيّدةٍ كانت تستنزلُ جبرائيل -كمثل أبيها- بقدرة ما فوق الملكوت، من غيب عالَم الملكوت إلى عالم المُلْك، وتجعلُ ما في الغيب ظاهراً في الشّهادة! "..."

إذاً، أجتازُ هذا الوادي المريع، وأقول بأنّ فاطمة عليها السلام، والتي هي هكذا في المراحل الإلهيّة الغيبيّة، قد ظهرتْ في عالَم الشّهادة وتجسَّدت كأبيها وبعلها في صورةِ بشرٍ ظاهرٍ، لتؤدّي دورَها ورسالتَها في كافّة شؤون عالَم المُلْك من تعليمٍ وتعلُّم، ونشرٍ للثّقافة الإسلاميّة، ومعارضةٍ للطّواغيت، وجِدٍّ من أجل قيام حكومة العدل، وإحقاقِ حقوق البشريّة، ودَحْضِ الدّعاوى الشّيطانيّة وتفنيدها..».

(من جواب الإمام الخمينيّ على سؤالٍ حول الصّدّيقة الكبرى عليها السّلام)

تمسُّ الحاجة إلى أن يضعَ القلبُ الذي يتحرّكُ في خطّ العقل هذا النَّصَّ الخمينيّ أمامَه، ويقارنه بالقائمة الطّويلة للتّوصيفات التي لا تتناسبُ مع أدنى المقامات العظيمة للزّهراء عليها السلام.

*** وحول الظّاهرة الثّانية: تَغييبُ أبحاث النّشأة الأولى وأبحاث المعاد - أو ما يُشبه التّغييب - وينتج من ذلك البدء بدراسة السّيرة من أجواء ما قبل ولادة النّبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله:**

* ينبغي التّنبُّه إلى أنّ أخطر المفارقات التي تعصفُ رياحُها بالبحث في سيرة النّبيّ الأعظم وأهل بيتِه صلّى الله عليه وعليهم، المفارقةُ التي تتجلّى في عدم التزام البحث في السِّيَر المباركة بما أجمعَ عليه المسلمون، وهو مفادُ أحاديث قدسيّة منها «**لولاكَ ما خلقتُ آدمَ**»، وروايات عديدة منها: «**كنتُ نبيّاً وإنّ آدمَ لَمُنجَدِلٌ في طِينَتِه**»، أي أنّ الحقيقة المحمّديّة - النّبيّ الأعظم وآله المعصومين - هم سرُّ الخَلق بإذن الله تعالى «ولولاهم ما كانَ زيدٌ في الوجود ولا عمرو». ونجدُ هذا الإجماعَ قائماً بقوّة لدى الرّجوع إلى أبحاث كبار العلماء والفقهاء، ويأتي ذكرُ كلام الشّيخ المفيد في هذا المجال.

* **السّؤال الملحّ في ضوء ما تقدّم**: من أين تبدأ سيرةُ المعصومين الأربعة عشر؟

هل تبدأ سيرةُ النّبيّ الأعظم وآله الأطهارمن ظُلمات الجاهليّة في مكّة وشبه الجزيرة العربيّة؟ أم أنّها تبدأ بحديث الأنوار المُحْدِقَة بالعرش قبل خَلْق آدم عليه السلام؟

السّائدُ الآن في دراسات السّيرة والتّثقيف بها، البَدءُ من مرحلة ما قبل ولادة النّبيّ وآله صلوات الله تعالى عليهم أجمعين، كما نبدأ بدراسة سيرة أيِّ إنسان، كما مرّت الإشارة.

إلّا أنّ الذي كان سائداً في تدوين السّيرة هو البدء من مرحلة ما قبل خلْق آدم على نبيّنا وآله وعليه السّلام، والآيات والرّوايات حول هذه المرحلة كثيرةٌ جدّاً، وهي مادّةُ أبحاث العلماء التّخصّصيّة، وللأسف فإنّه يتمّ تجاوزُها وتَغييبُها، فإذا بنتيجة البحث في السّيرة معرّضةٌ للنّقص والاضطراب.

نصّان مركزيّان

* لإثبات ضرورة البَدء بالتّعرف إلى سيرة المعصومين من مرحلة «**الأنوار المُحدقة بالعرش**»، سأذكر هنا نصَّين:

الأوّل: نصُّ المؤرّخ الثّبْت المسعوديّ صاحب (مروج الذّهب)، و(إثبات الوصيّة)، وغيرهما.

والثّاني: نصٌّ للشّيخ المفيد، وهو أشهَر من أن يعرَّف.

* **أمّا نصّ المسعوديّ** فهو روايةٌ حول الحقيقة المحمّديّة في مرحلة ما قبل الخَلْق **عن الإمام الصّادق، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليهم السّلام**: (لاحظ حول السّند في آخر الرّواية)، أوردَ هذه الرّواية في المجلّد الأوّل من (مروج الذّهب: ص ٤٣) أي في بداية كتابه، تحت عنوان: «**الباب الثّالث، ذكرُ المبدإ وشَأْن الخليقة وذَرْء البَرِيّةِ**». إلى أن قال:

رُوي عن أمير المؤمنين عليِّ بنِ أبي طالب عليه السّلام أنّه قال:

إنّ اللهَ حين شاءَ تقديرَ الخليقة، وذَرْءَ البَرِيّة، وإبداعَ المبدَعات، نصبَ الخَلْقَ في صوَرٍ كالهَبَاء قبل دَحْوِ الأرض ورفْعِ السّماء، وهو في انفرادِ ملكوتِه وتوحُّد جبروتِه، فأتاح نوراً من نوره فلمَع، ونزعَ قبَساً من ضيائه فسطَع، ثمّ اجتمعَ النّورُ في وسطِ تلك الصّوَر الخفيّة، فوافقَ ذلك صورة نبيّنا محمّدٍ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، فقال اللهُ عزّ من قائل:

أنت المختارُ المُنْتَخَبُ، وعندكَ مستودَعُ نوري وكنوزُ هدايتي، من أجلِك أسْطَحُ البطحاءَ، وأمْرُجُ الماءَ، وأرفعُ السّماءَ، وأجعلُ الثّوابَ والعقابَ والجنّةَ والنّار، وأنصبُ أهلَ بيتِك للهداية، وأُوتيهم من مكنونِ علمي ما لا يُشكِلُ عليهم دقيقٌ ولا يُعْيِيهِمْ خفيٌّ، وأجعلهم حجّتي على بريّتي، والمنبّهين على قدرتي ووَحدانيّتي.

ثمّ أخذَ اللهُ الشّهادةَ عليهم بالرّبوبيّةِ والإخلاصِ وبالوحدانيّة، فبَعدَ أخْذِ ما أَخذَ من ذلك شابَ ببصائر الخَلْق انتخابَ محمّدٍ وآله، وأراهم أنّ الهدايةَ معه والنّور له والإمامةَ في آله، تقديماً لسُنّة العدل، وليكونَ الإعذار متقدّماً.

ثمّ أخفى اللهُ الخليقةَ في غَيْبه، وغَيَّبها في مكنونِ علمِه، ثمّ نصبَ العواملَ وبسطَ الزّمان، ومرجَ الماء، وأثارَ الزّبَدَ، وأهاجَ الدُّخان، فطفا عرشُه على الماء، فسطحَ الأرضَ على ظهر الماء، وأخرجَ من الماء دخاناً فجعلَه السّماء، ثمّ استجلبَهما إلى الطّاعة فأذعنَتا بالاستجابة.

ثمّ أنشأ اللهُ الملائكةَ من أنوارٍ أبدعَها، وأرواحٍ اخترعَها، وقَرَنَ بتوحيدِه نبوَّةَ محمّدٍ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم فشهرت في السّماءِ قبلَ بعثتِه في الأرض.

فلمّا خلقَ اللهُ آدمَ أبَانَ فضلَه للملائكة، وأراهم ما خصَّه به من سابقِ العلمِ من حيث عَرَّفَه عند استنبائه إيّاه أسماءَ الأشياء، فجعلَ اللهُ آدمَ محراباً وكعبةً وباباً وقِبلةً أسجدَ إليها الأبرار والرّوحانيّين الأنوار.

ثمّ نبّه آدمَ على مستودعه، وكشفَ له عن خطر ما ائتمنَه عليه، بعدما سمّاه إماماً عند الملائكة، فكان حظُّ آدم من الخير ما أراه من مستودَع نورِنا، ولم يزل اللهُ تعالى يخبأ [كذا] النّور تحتَ الزّمان إلى أن فضَّلَ محمّداً صلّى الله عليه [وآله] وسلّم في ظاهر الفترات، فدعى النّاس ظاهراً وباطناً، ونَدَبهم سرّاً وإعلاناً، واستدعى عليه السّلام [واستُرعِي صلّى الله عليه وآله] التّنبيه على العهد الذي قَدَّمه إلى الذَّرِّ قبل النَّسْل، فمَن وافقه وقبسَ من مصباح النّور المقدّم اهتدى إلى سرِّه، واستبانَ واضحُ أمره، ومَن أبلسَته الغفلةُ استحقّ السّخطَ.

ثمّ انتقلَ النّورُ إلى غرائزنا، ولمعَ في أَئمّتنا، فنحن أنوارُ السّماء وأنوارُ الأرض، فبِنا النّجاةُ، ومنّا مكنونُ العِلم، وإلينا مصيرُ الأمور، وبمهديّنا تنقطعُ الحُجَجُ، خاتمةِ الأئمّة، ومنقذِ الأمّة، وغايةِ النّور، ومصدرِ الأمور.

فنحن أفضلُ المخلوقين، وأشرفُ المُوَحِّدين، وحججُ ربِّ العالمين، فليَهنأ بالنّعمة مَن تمسّك بولايتنا، وقبضَ على عُرْوَتِنا».

وختم المسعوديّ بقوله:

فهذا ما رُوي عن أبي عبد الله جعفر بن محمّد، عن أبيه محمّد بن عليّ، عن أبيه عليّ بن الحسين، عن أبيه الحسين بن عليّ، عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه، ولم نتعرّض لكثيرٍ من أسانيد هذه الأخبار وطُرُقها، لأنّا قد أتينا على جميع ذكرِها واتّصالِها في النّقل بمَن ذكرناها عنه، وعزوْناها إليه في ما سلف من كُتبنا خوفَ الإكثار والتّطويل في هذا الكتاب.

* تجدر الإشارة إلى أنّ هذه الخطبة لم تَرِد في (نهج البلاغة) الذي هو مختاراتٌ من كلام أمير المؤمنين عليه السلام، وقد أوردَها المحدّث النّوريّ في (مستدرك الوسائل)، كما أوردَها الشّيخ هادي كاشف الغطاء في (مستدرك نهج البلاغة)، والمجلسيّ في (البحار)، وغيرهم.

***

* **وأما نصّ الشّيخ المفيد** فهو بعضُ ما أورده في رسالةٍ باسم (**المسائل السّرويّة**) يتحدّث فيه عن الرّوايات حول «**الأشباح**» في مرحلة ما قبل الخَلْق، ويهاجم أكثرَها بشدّة، ثمّ يقول:

* **والصّحيحُ من حديث الأشباح، الرّوايةُ التي جاءتْ عن الثّقات: بأنّ آدمَ عليه السلام رأى على العرش أشباحاً يلمعُ نورُها، فسألَ اللهَ تعالى عنها، فأوحى إليه: إنّها أشباحُ رسولِ الله وأميرِ المؤمنين وفاطمةَ والحسنِ والحسينِ صلوات الله عليهم. وأعلمَه أنْ لولا الأشباحُ التي رآها ما خلقَه ولا خلقَ سماءً ولا أرضاً.**

* يضيف الشّيخ المفيد قدّس سرّه:

* **والوجهُ في ما أظهرَه اللهُ تعالى من الأشباح والصّوَر لآدم عليه السلام أنْ دلّه على تعظيمِهم وتبجيلِهم، وجعلَ ذلك إجلالاً لهم ومقدّمةً لما يفترضُه من طاعتِهم، ودليلاً على أنّ مصالحَ الدّين والدّنيا لا تتمُّ إلّا بهم. ولم يكونوا في تلك الحال صوراً مُحْياةً، ولا أرواحاً ناطقةً، لكنّها كانت صوَراً على مثل صوَرهم في البشريّة تدلّ على ما يكونون عليه في المستقبل من الهيئة، والنّور الذي جعلَه عليهم يدلُّ على نور الدِّين بهم، وضياءِ الحقِّ بحُجَجِهم.**

ثمّ يقولُ الشّيخ المفيد:

وقد رُوي أنّ أسماءَهم كانت مكتوبةً إذ ذاك على العرش، وأنّ آدمَ عليه السلام لمّا تابَ إلى الله عزّ وجلّ وناجاه بقبول توبتِه، سألَه بحقّهم عليه ومَحَلِّهم عنده فأجابَه. وهذا غيرُ منكَرٍ في العقول ولا مضادٌّ للشَّرع المعقول، وقد رواه الصّالحون الثّقات المأمونون، وسلّمَ لروايتِه طائفةُ الحقّ، ولا طريقَ إلى إنكاره، واللهُ وليُّ التّوفيق.

* **ختاماً:** إنّ الفرقَ فلكيٌّ نوويٌّ، بين البَدء بالتّعرف إلى عظَمة الزّهراء عليها السلام، وكلّ تجلّيات الحقيقة المحمّديّة من مرحلة ما قبل الخلْق، وبين البدء بالتّعرف إلى عظَمتهم بحسب السّائد من دراسات وأبحاث غير الفقهاء أو الملتزمين منهجَهم.

الفرقُ فلكيٌّ نوويٌّ، بين البَدء بالتّعرف إلى عظَمة المعصوم،

من مرحلة ما قبل الخلق، وبين البَدء بالتّعرُّف

إلى عظَمتِه كغيره من النّاس: والدَيه، ولادته، نشأته إلخ...

* من مفردات هذا الفرق الفلكيّ ما يُقال عن «**مصحف فاطمة**» إنّه مفكّرةٌ كانت تكتبُ عليها بعض الرّوايات، وما يُقال عن أنّ معنى أمّ أبيها إنّها اهتمّت بالتّدبير المنزليّ بعد وفاة أمّها، وغير ذلك كثيرٌ يجبُ الحذرُ منه بمسؤوليّةٍ بين يدَي الله تعالى، والحمدُ لله ربّ العالمين.

***

لِمَ سُمِّيَتْ زَهْرَاءَ؟

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمَارَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَأَلْتُ الصَّادِقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ، لِمَ سُمِّيَتْ زَهْرَاءَ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لِأَنَّهَا إِذَا قَامَتْ فِي مِحْرَابِهَا زَهَرَ نُورُهَا لِأَهْلِ السَّمَاءِ كَمَا يَزْهَرُ نُورُ الكَوَاكِبِ لِأَهْلِ الأَرْضِ.

وَمَعَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ وَفَاةِ أَبِيهَا مُدَّةً قَلِيلَةً

التَّبْرِيزِيُّ الأَنْصَارِيُّ، اللُّمْعَةُ البَيْضَاءُ: ص ٢٢٣، بتصرف

الأُنسُ بالله تعالى حالَ المَرَض

أللَّهُمَّ اجْعَلهُ أَدَباً وَلا تَجْعَلهُ غَضَباً

الشّيخ قطب الدّين الرّاونديّ رحمه الله

عن رسول الله صلّى الله عليه وآله: «عَجِبْتُ مِنَ المُؤمنِ وَجَزَعِه مِنَ السُّقْمِ، وَلَو يَعْلَمُ مَا لَهُ فِي السُّقْمِ مِنَ الثَّوَابِ لَأَحَبَّ أَنْ لا يَزالَ سَقيماً حَتّى يَلقَى رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ».

دعاءان من أدعية العلل ذكرَهما القطب الرّاونديّ (ت: ٥٧٣ للهجرة) في كتابه (الدّعوات): الأوّل هو دعاءُ الإمام عليّ بن الحسين عليه السّلام إذا مرضَ أو نزلَ به كربٌ أو بليّة. والثّاني هو دعاءُ العليل المرويّ عن الإمام الصّادق عليه السلام، وفيه تَوسُّلٌ بأمير المؤمنين صلوات الله عليه لكشفِ الضّرِّ والخلاصِ من البَليّة.

وَحَبِّبْ إِلَيَّ مَا رَضِيتَ لِي

..وكانَ زينُ العابدين عليه السّلام إذا مرضَ يدعو، [وهو الدّعاء الخامس عشر من أدعية الصّحيفة]:

أَللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا لَمْ أَزَلْ أَتَصَرَّفُ فِيهِ مِنْ سَلاَمَةِ بَدَنِي، وَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا أَحْدَثْتَ بِي مِنْ عِلَّةٍ فِي جَسَدِي. فَمَا أَدْرِي يَا إِلهِي، أَيُّ الْحَالَيْنِ أَحَقُّ بِالشُّكْرِ لَكَ، وَأَيُّ الْوَقْتَيْنِ أَوْلَى بِالْحَمْدِ لَكَ؟ أَوَقْتُ الصِّحَةِ الَّتِي هَنَّأْتَنِي فِيهَا طَيِّبَاتِ رِزْقِكَ، وَنَشَّطْتَنِي بِهَا لابْتِغَاءِ مَرْضَاتِكَ وَفَضْلِكَ، وَقَوَّيْتَنِي مَعَهَا عَلَى مَا وَفَّقْتَنِي لَهُ مِنْ طَاعَتِكَ، أَمْ وَقْتُ الْعِلَّةِ الَّتِي مَحَّصْتَنِي بِهَا، وَالنِّعَمِ الَّتِي أَتْحَفْتَنِي بِهَا تَخْفِيفاً لِمَا ثَقُلَ بِهِ عَلَى ظَهْرِي مِنَ الْخَطِيئَاتِ، وَتَطْهِيراً لِمَا انْغَمَسْتُ فِيهِ مِنَ السَّيِّئَاتِ، وَتَنْبِيهاً لِتَنَاوُلِ التَّوْبَةِ، وَتَذْكِيراً لِمَحْوِ الْحَوْبَةِ بِقَدِيمِ النِّعْمَةِ، وَفِي خِلاَلِ ذَلِكَ مَا كَتَبَ لِيَ الْكَاتِبَانِ مِنْ زَكِيِّ الأَعْمَالِ، مَا لا قَلْبٌ فَكَّرَ فِيهِ، وَلا لِسَانٌ نَطَقَ بِهِ وَلاَ جَارِحَةٌ تَكَلَّفَتْهُ بَلْ إِفْضَالاً مِنْكَ عَلَيَّ، وَإِحْسَاناً مِنْ صَنِيعِكَ إِلَيَّ.

أَللَّهُمَّ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَحَبِّبْ إِلَيَّ مَا رَضِيتَ لِي، وَيَسِّرْ لِي مَا أَحْلَلْتَ بِي، وَطَهِّرْنِي مِنْ دَنَسِ مَا أَسْلَفْتُ، وَامْحُ عَنِّي شَرَّ مَا قَدَّمْتُ، وَأَوْجِدْنِي حَلاَوَةَ الْعَافِيَةِ، وَأَذِقْنِي بَرْدَ السَّلاَمَةِ وَاجْعَلْ مَخْرَجِي عَنْ عِلَّتِي إِلَى عَفْوِكَ، وَمُتَحَوَّلِي عَنْ صَرْعَتِي إِلَى تَجَاوُزِكَ، وَخَلاصِي مِنْ كَرْبِي إِلَى رَوْحِكَ، وَسَلاَمَتِي مِنْ هَذِهِ الشِّدَّةِ إِلَى فَرَجِكَ، إِنَّكَ الْمُتَفَضِّلُ بِالإِحْسَانِ، الْمُتَطَوِّلُ بِالامْتِنَانِ، الْوَهَّابُ الْكَرِيمُ، ذُو الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ.

دعاءُ العليل

عن الإمام الصّادق عليه السّلام:

«أَللَّهُمَّ إِنِّي أَدعُوكَ دُعاءَ العَليلِ الذَّليلِ الفَقيرِ، دُعاءَ مَنِ اشْتَدَّتْ فَاقَتُهُ، وَقَلَّتْ حِيلَتُهُ، وضَعُفَ عَمَلُهُ، وَأَلَحَّ البَلاءُ عَلَيه، دُعَاءَ مَكْرُوبٍ إِنْ لَمْ تُدْرِكْهُ هَلَكَ، وإِنْ لَمْ تُسْعِدْهُ فَلا حِيلَةَ لَهُ، فَلا تُخِطْ بِي مَكْرَكَ، ولا تُثِبْ عَلَيَّ غَضَبَكَ، ولا تَضْطَرَّنِي إلى اليَأسِ مِنْ رَوْحِكَ، والقُنوطِ مِنْ رَحْمَتِكَ، أَللَّهُمَّ إِنَّهُ لا طَاقَةَ لِي بِبَلائِكَ، ولا غِنَى بِي عن رَحْمَتِكَ، وهذا أَمِيرُ المُؤمِنينَ أَخُو نَبِيِّكَ وَوَصِيُّ نَبِيِّكَ، أَتَوَجَّهُ بِهِ إليكَ فَإِنَّكَ جَعَلْتَهُ مَفْزَعاً لِخَلْقِكَ وَاستَوْدَعْتَهُ عِلْمَ مَا سَبَقَ ومَا هُوَ كَائِنٌ، فاكْشِفْ بِهِ ضُرِّي وخَلِّصْنِي مِنْ هذِهِ البَلِيَّةِ إلى ما دَعَوْتَنِي مِنْ رَحْمَتِكَ، يَا هُوَ يَا هُوَ يَا هُوَ، انْقَطَعَ الرَّجاءُ إِلَّا مِنكَ».

وكان عليه السّلام يقول: «أَللَّهُمَّ اجْعَلْهُ أَدَباً، وَلا تَجْعَلْهُ غَضَباً».

الوكيل، والثّقةُ الأمين
السّفيرُ الثّالث، الحُسين بن روح النّوبختيّ

السّيّد محسن الأمين العامليّ رحمه الله

السّفير الثّالث من سفراء الغَيبة الصّغرى الأربعة، أبو القاسم الحسينُ بن روح رحمه الله، أقامه في مقام السّفارة، وبأمرٍ من الإمام عجّل الله فرجه، سلفُهُ محمّد بن عثمان. وللتّعرّف على سيرته، اقتطفت «شعائر» من (أعيان الشّيعة) للسّيّد محسن الأمين، رحمه الله، نبذةً عن حياته وظروف سفارته.

أبو القاسم الحسين بن روح بن أبي بحر النُّوبختيّ، توفّي في شعبان سنة ٣٢٦ للهجرة ببغداد، ودُفِن بها. والنُّوبختيّ نسبةٌ إلى «نوبخت» جدِّهم، ذُكِر في [ترجمة] إبراهيم بن إسحاق. هو ثالثُ السُّفراء الأربعة في الغَيبة الصُّغرى؛ أوَّلُهم عثمانُ بن سعيد العَمريّ، وثانيهم ابنُه محمّد بن عثمان، وثالثُهم هو [المترجَم له]، ورابعُهم عليّ بن محمّد السُّمَّريّ، ثمّ حصلت الغَيبةُ الكبرى وانقطعت السّفارة.

قال الشّيخ الطّوسيّ في كتاب (الغَيبة):

١- «كان أبو القاسم رحمه الله، مِن أعقل النّاس عند المُخالِف والمُوافق ويستعملُ التّقيّة»، ثمّ روى عن أبي عبد الله بن غالب، حمي أبي الحسن بن أبي الطّيّب، قال: «ما رأيتُ مَن هو أعقلُ من الشّيخ أبي القاسم الحسين بن روح».

٢- وأخبرني جماعة عن أبي عبد الله محمّد بن أحمد الصّفوانيّ، حدّثني الحسين بن روح، أنَّ يحيى بن خالد سَمَّ موسى بنَ جعفر عليه السلام في إحدى وعشرين رطبةً، وبها مات، وأنَّ النّبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام، جميعاً ما ماتوا إلّا بالسَّيف أو السُّمّ. وقد ذُكر عن الرّضا عليه السلام أنّه سُمَّ، وكذلك ولدُه وولدُ ولدِه.

٣- قال: «وسأله بعضُ المتكلّمين وهو المعروف بـ(تُرك الهرويّ)، فقال له: كم بناتُ رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال: أربع، [لاحظ قول الشّيخ الطّوسيّ أعلاه إنّ أبا القاسم رحمه الله كان يستعمل التّقيّة، وفي موارد أُخَر ما يدلّل على نكيره على المتهاون بها نظراً لحراجة الظّرف في ظلّ الحكم العبّاسيّ، الذي كان يترصّد ولادة القائم عليه السلام، ثمّ ضاعف حملاته في البحث عن الإمام بعد شهادة أبيه العسكريّ عليه السلام] قال: فأيّهنّ أفضل؟ قال: فاطمة، قال: ولِمَ صارت أفضل وكانت أصغرهنّ سنّاً وأقلّهنّ صحبةً لِرسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: لخصلتَين خصَّها اللهُ بهما، تطوُّلاً عليها وتشريفاً وإكراماً لها. إحداهما أنّها وَرِثَتْ رسولَ الله صلى الله عليه وآله ولم يَرِثه غيرُها من ولده، والأخرى أنّ الله تعالى أبقى نسلَ رسول الله صلى الله عليه وآله منها ولم يُبقِه من غيرها، ولم يَخصُصها بذلك إلّا لفضلِ إخلاصٍ عَرَفه من نيّتها. قال الهرويّ: فما رأيتُ أحداً تكلّم وأجاب في هذا الباب بأحسن ولا أوجزَ من جوابه».

٤- وقال: «.. عن أبي نصر، هبة الله بن محمّد ابن بنت أمّ كلثوم بنت أبي جعفر [السّفير الثّاني] رضوان الله عليه، قالت: كان أبو القاسم الحسين بن روح، رضوان الله عليه، وكيلاً لأبي جعفر سنينَ كثيرة، يَنظر له في أملاكه ويُلقي بأسراره لرؤساء من الشّيعة "..." فحصَّلَ في أنفُس الشّيعة محصّلاً جليلاً لمعرفتِهم باختصاص أبي إيّاه وتوثيقه عندهم، ونشر فضلِه ودينه وما كان يحتملُه من هذا الأمر، فمهّدت له الحال في طول حياة أبي إلى أن انتهت الوصيّةُ إليه بالنّصّ عليه، فلم يَختلف في أمره ولم يَشكّ فيه أحدٌ، إلّا جاهلٌ بأمر أبي أوّلاً، مع أنّي لستُ أعلمُ أنّ أحداً من الشّيعة شكَّ فيه. وقد سمعتُ هذا من غير واحدٍ من بني نوبخت، رحمَهم الله، مثل أبي الحسن بن كبرياء وغيره».

مرقد السّفير الثالث الحسين بن روح في بغداد

إقامةُ محمّدِ بن عثمان العَمريّ، الحسينَ بنَ روح مقامَه بأمر الإمام عليه السلام

روى الشّيخ الطّوسيّ في كتاب (الغَيبة):

١- بسنده عن أبي جعفر بن عليّ الأسود، قال: «كنتُ أحملُ الأموالَ الّتي تحصلُ في باب الوقف إلى أبي جعفر محمّد بن عثمان العمريّ، رحمه الله، فيقبضها منّي، فحملتُ إليه يوماً شيئاً من الأموال في آخر أيّامه قبلَ موته بسنتَين أو ثلاث سنين، فأمَرَني بتسليمه إلى أبي القاسم الرّوحيّ، فكنتُ أطالبه بالقبوض، فشكا ذلك إلى أبي جعفر، فأمَرَني أنْ لا أُطالبَه بالقبوض، وقال: كلُّ ما وَصل إلى أبي القاسم فقد وصلَ إليّ، فكنتُ أحملُ بعد ذلك الأموالَ إليه ولا أطالبه بالقبوض». ".."

٢- عن أبي محمّد هارون بن موسى، قال: «أخبرَني أبو عليّ محمّد بن همام، رضي الله عنه وأرضاه، أنَّ أبا جعفر محمّد بن عثمان العمريّ، قدّس الله روحه، جَمَعَنا قبلَ موتِه، وكنّا وجوهَ الشّيعة وشيوخَها، فقال لنا: إنْ حدثَ عليَّ حدثُ الموت فالأمرُ إلى أبي القاسم الحسينِ بن روح النّوبختيّ، فقد أُمِرتُ أن أجعلَه في موضعي بعدي، فارجِعوا إليه وعوِّلوا في أموركم عليه».

٣- بسنده عن جماعة من بني نوبخت: «أنّ أبا جعفر العَمريّ لمّا اشتدّت به حالُه، اجتمع جماعةٌ من وجوه الشّيعة، منهم أبو عليّ بن همام، وأبو عبد الله بن محمّد الكاتب، وأبو عبد الله الباقطانيّ، وأبو سهل إسماعيل بن عليّ النّوبختيّ، وأبو عبد الله بن الوجناء، وغيرهم من الوجوه الأكابر. فدخلوا على أبي جعفر فقالوا له: إنْ حدث أمرٌ، فمَن يكونُ مكانك؟ فقال لهم: هذا أبو القاسم الحسينُ بن روح بن أبي بحر النّوبختيّ، القائمُ مقامي والسّفيرُ بينَكم وبين صاحب الأمر، والوكيلُ له والثّقةُ الأمين، فأَرجِعوا إليه أمورَكم، وعوِّلوا عليه في مهمّاتكم، فبذلك أُمِرتُ وقد بلَّغت».

ملاحظات السّيّد الأمين

أقول [السّيّد محسن الأمين]: وكانت مدّةُ سفارته بعد موت محمّد بن عثمان نحواً من إحدى وعشرين أو اثنتين وعشرين سنة.

* قال ابنُ الأثير في (الكامل في التّاريخ) في حوادث سنة ٣٠٥ للهجرة: «فيها في جُمادى الأولى مات أبو جعفر محمّد بن عثمان العَمريّ رئيسُ الإماميّة، وكان يدّعي أنّه البابُ إلى الإمام المنتظَر، وأوصى إلى أبي القاسم الحسين بن روح».

* وفي (لسان الميزان) لابن حجر: «الحسينُ بن روح بن بحر أبو القاسم، أحدُ رؤساء الشّيعة في خلافة المقتدِر، وله وقائعُ في ذلك مع الوزراء، ثمّ قُبض عليه وسُجن في المطمورة (....) ومات سنة ٣٢٦، وقد افترى له الشّيعةُ الإماميّةُ حكايات، وزعموا أنّ له كراماتٍ ومكاشفات، وزعموا أنّه كان في زمانه البابَ إلى المُنتظَر، وأنّه كان كثيرَ الجلالة في بغداد، والعِلمُ عند الله».

وسببُ حبسِه لم أظفر به في (تاريخ) ابن الأثير. وفي (غَيبة) الطّوسيّ ما يشير إلى حبسه. فإنّه روى عن محمّد بن الحسن بن جعفر بن إسماعيل بن صالح الصّيمريّ، أنّه قال: «لمّا حُبِسَ الحسين بن روح، أَنفذَ من محبسه في دار المقتدر توقيعاً في ذمّ الشّلمغانيّ في ذي الحجّة سنة ٣١٢ إلى أبي عليّ بن همام، وأملاه أبو عليٍّ عَلَيَّ، وعرّفني أنَّ أبا القاسم الحسين بن روح راجع في تركِ إظهاره، فإنّه في يد القوم وحبسِهم، فأمَرَ بإظهاره وأنْ لا يَخشى ويأمن، فتخلَّص وخرج من الحبس بعد ذلك بمدّةٍ يسيرة».

ونِسبتُه [في لسان الميزان] إلى الشّيعة أنّها افترت له حكايات، من باب: **المرءُ عدوٌّ ما جَهِل**؛ فهؤلاء كلّما رَأوا شيئاً لم تألَفهُ نفوسُهم نَسبُوه إلى الافتراء، ولا عَجَبَ فالأُممُ السّالفةُ كانت كذلك، كما حكاه اللهُ تعالى عنها في الكتاب العزيز.

الحُسين بن روح، ثالثُ السّفراء الأربعة في الغَيبة الصّغرى، مدّة سفارته اثنان وعشرون عاماً، توفّي سنة ٣٢٦ للهجرة، ودُفن في بغداد.

«هذا أبو القاسم الحسينُ بن روح، القائمُ مقامي والسّفيرُ بينَكم وبين صاحب الأمر، فأَرجِعوا إليه أمورَكم، وعوِّلوا عليه في مهمّاتكم، فبذلك أُمِرتُ وقد بلَّغتُ».

سَجدَةُ الشُّكر

يا ذا المَعروفِ الّذي لا يَنفدُ أبداً

الشّهيد السّيّد محمّد صادق الصّدر رحمه الله

يتناول كتاب (فقه الأخلاق) للشّهيد السّيّد محمّد صادق الصّدر رضوان الله تعالى عليه، الأبعاد المعنويّة والأخلاقيّة للأحكام الفقهيّة في العبادات والمعاملات، ما يعزّز فهمَ المكلَّف للمقاصد وللحكمة الإلهيّة الّتي أراد الله تعالى له أن يجنيَ ثمارها. وفي هذا السّياق، اختارت «شعائر» ما يستحبُّ للمصلّي في سجود الشُّكر المستحبّ بعد كلّ فريضةٍ، وعند كلّ نعمةٍ.

من أنواع السُّجُود، سجودُ الشُّكر: ويُستَحبُّ عند:

١- تجدُّد كلِّ نعمةٍ.

٢- ودفعِ كلِّ نقمةٍ.

٣- وعند تذكُّر ذلك.

٤- وعند التّوفيق لأداء كلِّ فريضةٍ ونافلةٍ، بل كلّ فعل خَير، ومنه إصلاحُ ذات البَيْن، وقضاءُ حوائج الآخرين.

ويكفي فيه سجدةٌ واحدةٌ، والأفضل السَّجدتان، فيفصل بينهما بتَعْفِير الخَدَّين أو الجبين أو الجميع، مقدِّماً الأيمن على الأيسر، ثمَّ وضع الجبهة ثانياً.

ويُستحبُّ فيه افتراشُ الذّراعَين [أي إلصاقُهما بالأرض، بخلاف التّجنيح المستحبّ في سجود الصّلوات]، وإلصاق الصّدر والبطن في الأرض، وأنْ يَمسحَ موضعَ سجوده بيده، ثمَّ يمرّها على وجهه ومقاديم بدنه، وأن يقول في السُّجود:

* (شكراً لله) مرّةً، أو ثلاثاً، أو سبعاً، أو مائة مرّة.
* أو مائة مرّة: (عفواً عفواً).
* أو مائة مرّة: (الحمدُ للهِ شكراً للهِ).

ثمَّ يقول: (يَا ذا المَنِّ الَّذي لا يَنقطعُ أبداً ولا يُحْصِيهِ غَيرُهُ عدَداً، ويا ذا المَعروفِ الّذي لا يَنفدُ أبداً، يا كريمُ يا كريمُ يا كريمُ)، ثمَّ يدعو ويتضرَّع، ويذكر حاجتَه.

وقد ورد في بعض الرِّوايات غيرُ ذلك، والظّاهر أنَّ الذِّكرَ موكولٌ إلى المكلَّف السّاجد، يقولُ فيه كلَّ ما يكون دالّاً على الشُّكر والتّعظيم والاستغفار، فإنَّها جميعاً مصاديقُ للشُّكر مع قصده.

..وللشُّكر وجوهٌ أُخَر

ويمكن أن يكون الشّكرُ بأساليبَ أُخَرَ لا حدَّ لها، فكلُّ عبادةٍ مستحبّةٍ يُمكن فيها ذلك، كَركعتَين أو أكثر من الصّلاة، وصومِ يومٍ أو أكثر، وكذلك دفعُ الصّدقة أو الذّهابُ إلى الحجّ [غير حجّة الإسلام الواجبة]، أو قراءة القرآن، أو التّفكّر في خلق الله سبحانه.

كما أنَّ كلَّ طريقةٍ عُرفيّةٍ لشكرِ الآخرين يمكن تطبيقُها أمامَ الله عزَّ وجلَّ مع إمكانها، كَرفعِ العينِ إلى الأعلى، أو رفعِ اليدَين إلى الأعلى على شكلِ القنوت، أو تقبيل يدِ نفسِه اليمنى أو كِلتي اليدَين، أو الانحناء قليلاً أو إلى حدِّ الرُّكوع، أو وضع اليدِ على الصَّدر أو على الرّأس، إلى غير ذلك كثير.

وقد ورد: أنَّ العبدَ إذا علمَ أنَّ النّعمةَ من الله سبحانه، كُتب في الشّاكرين قبل أنْ يَشكر، وإذا علمَ أنَّ الذّنب أمام الله سبحانه، كُتب من المستغفرين قبل أنْ يستغفر.

أقول: **وهذا معناه أنَّ العلمَ بمصدر النِّعمةِ من مصاديق الشُّكر**، كما أنَّ العلمَ بجوهر الذّنب من مصاديق الاستغفار، وهذه من المصاديق القلبيّة أو الباطنيّة للشُّكر والاستغفار.

صلاة الشُّكر

عَنِ الإمَامِ أَبِي عَبْدِ اللهِ الصَّادِقِ عليه السلام: «إِذَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْكَ بِنِعْمَةٍ فَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ، تَقْرَأُ فِي الأُولَى بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ و(قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ)، وتَقْرَأُ فِي الثَّانِيَةِ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ و(قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ)، وتَقُولُ فِي الرَّكْعَةِ الأُولَى، فِي رُكُوعِكَ وسُجُودِكَ: الحَمْدُ للهِ شُكْراً شُكْراً وحَمْداً. وتَقُولُ فِي الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ، فِي رُكُوعِكَ وسُجُودِكَ: الحَمْدُ للهِ الَّذِي اسْتَجَابَ دُعَائِي وأَعْطَانِي مَسْأَلَتِي».

(الكافي، الشّيخ الكليني)

المداومة على تلاوة سورة «الواقعة»

نَفْيُ الفاقة في الدِّين والدّنيا

آية اللّه الشّهيد السّيّد عبد الحسين دستغيب رحمه الله

قبسٌ من فضائل المداومة على تلاوة سورة (الواقعة)، مقتطفٌ، بتصرّف، من كتاب (الدّار الآخرة) لآية اللّه الشّهيد السّيّد عبد الحسين دستغيب رحمه الله، مبيّناً آثارها الدّنيويّة المحسوسة، وتلك الخاصّة المعنويّة.

* ورد في تفسير (مجمع البيان) أنّ مَن أكثرَ قراءةَ سورة (الواقعة) المباركة، لم يُكتَب في الغافلين، وطبيعيٌّ أنّ مَنْ يُكثر قراءةَ السُّوَر الّتي تذكرُ من أوّلها إلى آخرها أحوالَ يوم القيامة ومشاهدَها، والموت والجنّة والنّار، تتفتّح بصيرتُه، وما لم يكن القلب ميتاً فإنّ ذلك يرفع عنه غشاوة الغفلة.

* ومن خواصّ هذه السُّورة المباركة، أنّ مَنْ قرأها ليالي الجُمَع فإنّ وجهه يُضيء يوم القيامة كالبدر الكامل، ومَنْ قرأها كلّ ليلةٍ قبل نومه أحبَّه اللهُ عزَّ وجلَّ، وطبيعيٌّ أنَّ حبَّ الله له يوجبُ حبَّ النّاس، أعني أصحابَ القلوب الحيّة من النّاس، فالمؤمن عدوُّه أكثر من صديقه.

* ومن فضائل هذه السُّورة الشّريفة، أنّ مَنْ يُكثر قراءتَها يُحشَر مع أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السّلام، وهذه أفضل خصوصيّات هذه السُّورة المباركة على الإطلاق.

قد يَستبعدُ البعضُ أن تكون المواظبة على قراءة هذه السُّورة وحدها توصِل إلى هذا المقام الرّفيع، ولكنْ لو التَفتنا إلى أنّ أهمَّ نتيجةٍ لقراءتها - كما يُستفاد من الرّوايات - هي استنقاذُ الإنسان من مرض الغَفلة، لَمَا استبعدنا ذلك؛ لأنّ الغفلةَ إذا زالت، فإنّ الإنسان لن يقترف ذنباً وسيبقى دوماً متذكّراً الآخرة، وهنا يتطهّر ويسمو إلى الدّرجة الّتي يَستحقُّ بها حضور عليٍّ عليه السّلام عنده ساعةَ موته.

إذا خرج الشّيطان، حضرت الملائكة

كلُّ شقاءٍ أساسُه الغفلة؛ فهي تُعمي البصيرة، وتُصِمُّ عن سُماع الحقيقة، وتجعلُ القلبَ عاجزاً عن الإدراك، حتّى يصبح صاحبُه أدنى من الحيوانات. ﴿..لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ الأعراف:١٧٩.

هؤلاء عميُ الأبصار والقلوب، صُمُّ الآذان، هكذا أصبحوا لغفلتهم. فمَن شُفيَ ببركة القرآن من مرض الغفلة، أصبح يرغبُ بالآخرة كما يرغبُ أهلُ الدّنيا بدنياهم، فإذا خرجَ الشّيطانُ من نفسِه حَضَرت الملائكةُ؛ وأصبحَ سمعُه مُفَتَّحاً لسماع ما يُخبر به القرآن من أخبار القيامة، وصار قلبُه مفتوحاً للإيمان والتّصديق.

..لا تُصيبُه الحاجةُ إلى آخرِ عُمرِه

آثار السُّورة وفوائدها المعنويّة هي الأهمّ وهي هدف الإنسان العاقل، أمّا آثارها الدّنيويّة فتتحقّق بشكلٍ طبيعيٍّ وإنْ لم يقصدها القارئ.

ومن تلك الآثار أنّ المواظبة على قراءة سورة (الواقعة) تنفي الفقر، فقد جُرِّبَ أنّ مَن التزم بقراءة هذه السُّورة المباركة كلّ ليلةٍ، لم تُصبه الحاجة إلى آخر عمره، هذا فضلاً عن الرّوايات الواردة في ذلك.

فعندما عرض عثمان بن عفّان على الصّحابيّ الجليل عبد الله بن مسعود عطيّةً من المال وهو على فراش الموت، وكان عثمان قد مَنَع عنه العطاء مدّةً طويلةً رغم حاجته الماسّة، قال له ابنُ مسعود: « لم تأمر لي بها إذ كنتُ أحوَج إليها، وتأمرُ الآن وأنا مستغنٍ عنها؟»، قال عثمان: «فَلتكُن لِبناتك».

قال ابن مسعود: «لا حاجةَ لهنّ بها، فإنّي قد أمرتهنّ بقراءة سورة الواقعة. وإنّي سمعتُ حبيبي رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: **مَنْ قرأ سورةَ الواقعةِ كلَّ ليلةٍ لَمْ تُصِبْهُ الفاقةُ أبداً**».

حوارٌ قرآنيّ مع صاحب (الميزان)

إجاباتُ العلّامة الطّباطبائيّ على أسئلة السّيّد الطّهرانيّ

إعداد: «شعائر»

توقّف العلماء والمفسّرون مليّاً أمام الكثير من الآيات الشّريفة الّتي يخاطبُ فيها اللهُ نبيَّه الأعظم صلّى الله عليه وآله. ولعلَّ الآيات الّتي تُستهلّ بلفظ «قُلْ»، هي التي أخذت مساحةً واسعةً من اهتمام المُشتغلين بتفسير الكتاب العزيز وتدبُّره.

الحوار التّالي يبيّنُ مقاصدَ هذه الآيات ومعانيها، ويلقي الضّوء على آياتٍ أُخَر، وهو عبارة عن أجوبة العلّامة الفيلسوف السّيّد محمّد حسين الطّباطبائيّ، صاحب (تفسير الميزان)، على أسئلة تلميذه الفقيه العلّامة السّيّد محمّد حسين الطّهرانيّ، وقد اقتبسَته «شعائر» - باختصار - من كتاب (الشّمس السّاطعة)، في ترجمة العلّامة الطّباطبائيّ رضوان الله عليه.

السّيّد الطّهرانيّ: نجدُ في العديد من آيات القرآن الكريم أوامرَ موجّهةً إلى رسول الله ﷺ، مُصَدَّرةً بلفظ «قُلْ»، مثل: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ الإخلاص:١، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ الناس:١، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ الفلق:١، ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ الكافرون:١، ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ الواقعة:٤٩-٥٠، ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ..﴾ الكهف:١١٠، ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ..﴾ آل عمران:٣٢، ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا..﴾ آل عمران:٩٥، ﴿..قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ..﴾ النّساء:٧٧.

ومن المعلوم أنّ ما كان أمر الله في هذه الخطابات، والرّسولُ مُؤتمَرٌ عليه ليس نفسَ القول، بل مَقول القول، فإذا جاء: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾؛ فالرّسول مأمورٌ بالقول: «هُوَ اللهُ أحَدٌ»، وليس «قُلْ هُوَ اللهُ أحَدٌ»، وإلّا لم يَعمل بأمر الله، ولم يؤدِّ المأمورَ به الّذي هو مَقول القول.

ولا يوجد في هذا المطلب مكانٌ للشّبهة والتّردّد. فإذا أَمَرَنا أحدٌ ما بأنّ نذهب إلى النّاس ونقول لهم: «اللهُ واحد»، فيجب علينا أن نذهب ونقول: «اللهُ واحد»، لا أن نقول: «قُلِ اللهُ واحد». لأنَّ القول هنا واسطة، ويحكي عن نفس المأمور به ومتعلّقه، لا أنّه قد أُخِذ على نحو استقلال. فإذا قال الإنسانُ: «اللهُ واحدٌ»، فقد أدّى متعلّق الأمر، وإذا قال: «قُل اللهُ واحد»، يكون قد خرجَ عن أداء الأمر.

وبناءً على ما قيل، يجب على الرّسول ﷺ، أن يقول للنّاس: «هُوَ اللهُ أحَدٌ». وكذلك في سائر الآيات، يجبُ أنْ يقول للنّاس ما هو متعلّق الأمر. في حين أنّنا نرى في القرآن الكريم كلِّه أنّ لفظ «قُل» قد ورد كما هو موجّهٌ في خطاب الرّسول ﷺ. فبماذا يتفضّل علينا أستاذُنا في هذا المورد؟

العلّامة الطّباطبائي: إنَّ البحث يقعُ هَهنا في موردَين:

الأوّل: في مسألة أمر الله تعالى للرّسول، وكونه مأموراً، وتنفيذه للمأموريّة في الخارج. فمن المعلوم الواضح في هذه المسألة أنّ رسول الله كان مؤتمراً بأمر الله سُبحانه وتعالى، وكان يؤدّي الأوامر كما هي. ففي المورد الّذي يأتي فيه الأمر بصيغة «قُلْ»،

كان النّبيُّ يؤديّ متعلّق الأمر نفسه. مثل سائر الأوامر الّتي كانت تصدر إلى الرّسول وإن لم تَرِد بلفظ «قُلْ»، كقوله تعالى: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ الحجر:٩٤-٩٥.

فَطِبْقَ هذا الأمر الإلهيّ أعلنَ رسولُ الله ﷺ التّوحيدَ جَهراً، وأعرضَ عن المشركين. أو في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾. كان يقول للنّاس هو اللهُ أحد، هو الواحدُ الأحد.

الثّاني: في حكاية القرآن عن الأوامر الإلهيّة، وهذه المسألة أمرٌ آخَر، فإنّنا نعلمُ أنّ القرآن وحيٌ سماويّ، وعلى النّبيّ ﷺ أن يتلوه كما هو بدون زيادة ولا نقصان. ولذلك فإنّ القرآن يُبيّنُ عينَ ما كان يخاطبُ به الرّسول، وهذا هو معنى القرآنيّة.

فإذا جرى حذفُ لفظ «قُلْ» في قوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، أو: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، فقيل: «هو الله أحد»، أو «أعوذُ بربِّ النّاس»، فلن يكون هذا هو القرآن ولا كلامَ الله، بل كلامَ النّبيّ الّذي يقول للنّاس: «هو الله أحد».

ولأنّ القرآنَ المجيدَ هو الوحيُ نفسُه، فلا يُمكن أن يكون بدون لفظ «قُل»، كما هي الحالُ في جميع الأوامر الإلهيّة الّتي لم تصدَّر بلفظ «قُلْ»، كما في الآية المذكورة: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ الحجر:٩٤، فقد جاء الأمر كما هو، ومثلما ذكرَه القرآنُ الكريم.

وإذا تجاوزنا هذا، نجدُ أنّ الرّسول الأكرم ﷺ يمثّلُ في الخطاب الإلهيّ والمطالب القرآنيّة عنوانَ المرآة لخطاب الأمّة جميعاً، بل لكلّ العالمين. ويكون الخطابُ متوجّهاً إلى النّاس ولكن عبر مرآة نفس الرّسول، الّتي لها إحاطة وجوديّة وعلميّة وإدراكيّة، والّتي اكتنفتْ لِسعتها وشمولها جميعَ أفراد الأمّة، بل جميعَ البشر. والآية المباركة: ﴿..وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ..﴾ النحل:٤٤، توضِحُ حقيقة الأمر جيّداً، وهي أنّ نفسَ رسول الله هي المبيّنة لمسائل الوحي الإلهيّ الّذي نزل إلى النّاس.

في معنى العمل على الشّاكلة

السّيّد الطّهراني: قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾ الإسراء:٨٣-٨٤. هذه الآية تُبيّن حالتَين للإنسان:

الأولى: شاكلتُه وقالبُه الأوّليّ، فهو مغرورٌ وغافلٌ، إذا مسّه الخيرُ والنّعمةُ والرّخاءُ، فاستكبارُه وأنانيّتُه تَدفعانه إلى الإعراض، وإذا مسّه شرٌّ كضيقٍ في المعيشة وفقرٍ وبلاءٍ، يَئِسَ وقنطَ وطَأطَأ رأسَه.

الثّانية: تلك الهداية الّتي يحصل عليها البعضُ في السّير إلى الله، فيخرجون بها عن تلك الشّاكلة، وقد تزدادُ عند البعض لتُصبحَ طريقاً أوضح وأشدَّ استقامة.

هل هذه الآية تريدنا أن نعرف أنّ جِبِلَّةَ كلّ النّاس وشاكِلتَهم تكون في تلك الحالة الأولى، وهي الإعراض والانحراف في النّعمة، واليأس من الرّحمة عند الشّرّ والسّوء، وأنّ الّذين يحصلون على الهداية ويسلكون سبيل السّعادة هم الّذين خرجوا من تلك «الفطرة» الأوّليّة؟ أم أنّهم لا يخرجون عن فطرتهم وشاكلتِهم الأوّليّة، وأنّ هذه الهداية قد أُودِعَت في أعماقهم على أساس الفطرة؟

فإذا قلنا: إنّهم قد خرجوا عن الفطرة الأوّليّة، كما هو ظاهرُ الآية، والاستثناء منقطع، فما هو معنى الخروج عن الفطرة؟ فهل يُمكن أن يخرج الإنسان أو الموجود عن نظامه الأساسيّ وقالَبِه الوجوديّ بشكلٍ عامٍّ، ثمّ يحصل على نظامٍ وفطرةٍ أخرى؟ إضافة إلى أنّنا نعلم أنّ فطرةَ الإنسان بُنِيَت على أساس التّوحيد والسّعادة وليس الشّقاء.

وإذا قلنا: إنّ الاهتداء إلى ذلك السّبيل يكون على أساس الفطرة وموازينها، وإنّ هناك حالتَين تحيطان بالإنسان: الحالة الأوّليّة وهي الإعراض والتّمرّد واليأس والقنوط؛ والحالة الثّانويّة وهي الخروج من هذه المرحلة ونشوء البصيرة والاهتداء إلى الصّراط المستقيم، والاستثناء هنا متّصل، فهذا خلافُ ظاهر الآية الّتي تقول: ﴿قُلْ

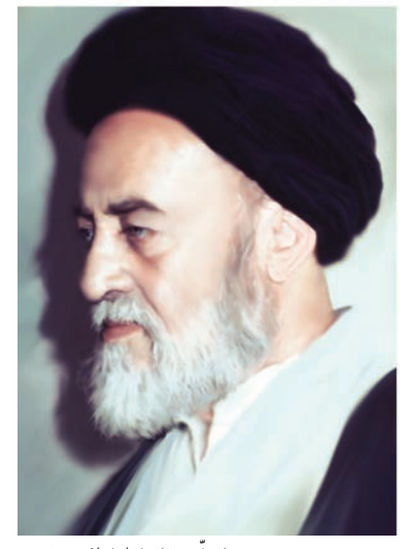

العلّامة الطباطبائي قدس سره

لنَفْسِ رسول الله صلّى الله عليه وآله إحاطةٌ وجوديّةٌ تشملُ البشريّةَ كافّة، والخطابُ القرآنيّ الموجَّهُ للنّبيّ الأعظم إنّما هو خطابٌ لها، ونفسُ الرّسول هي مرآةُ الوحي الإلهيّ للعالَمين.

الصّلاةُ التي تنهى عن الفحشاء والمنكر مغروسةٌ في فطرة الإنسان، وعليه أن يعملَ لإيصالها إلى منصّة الظّهور.

﴿كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ..﴾ الإسراء:٨٤، **وأنّ ذلك الإعراض واليأس وفق الشّاكلة. بناءً عليه، ينبغي أن يكون ذلك الاهتداء خارجاً عن الشّاكلة، أي النّظام الوجوديّ للإنسان.**

العلّامة الطّباطبائي: في الظّاهر إنّ المراد من الشّاكلة هو الشّاكلة الأوّليّة الّتي وُجدت قبل خضوع الإنسان للتّربية، وقبل بروز القابليّات الكامنة وظهورها إلى مرحلة الفعليّة. لأنّ الإنسان موجودٌ متحرّكٌ وقابلٌ للتّرقّي والكمال، ولهذا فإنّ فطرته الأوليّة هي ذلك الاستعداد المَحض والقابليّة الصّرفة الّتي إذا تُركت على حالها في عالم الطّبيعة والكثرة أصبح: «أعْرَضَ ونَأَى بِجَانِبِهِ»، و«يَؤوس وكَفُور»، وإذا قام بتربيتها وتهذيبها وإرشادها تَعبُرُ من الضّعف والوَهْن إلى مقام عزّ الإنسانيّة. ففي فطرة الإنسان تكمنُ هذه القابليّة وهذا الاستعداد، وتختفي هذه القدرة والقوّة. وإن كان الإنسان بحسب الظّاهر يَؤوساً وكفوراً، ولكن في أعماقه تموجُ بحارٌ من أنوار الحقيقة، لم تكن خارجةً عن فطرته أبداً. غاية الأمر أنَّ عليه أن يوصلَ هذه الأنوار بواسطة الرّياضة والتّربية إلى منصّة الظّهور.

الإنسان موجودٌ ذو أعماقٍ منطويةٍ داخله، وله مراحلُ مختلفةٌ، كلّها كامنةٌ ومنطويةٌ في وجوده، ولا يُمكنه أن يحصلَ على مقامٍ خارج فطرته. وليس المراد من الإنسان في هذه الآية الشّريفة تلك النّفس القدسيّة والرُّوح النّاطقة فيه، والّتي هي من المراحل الكامنة في وجوده، والّتي لا يُمكنه الوصول إليها إلّا بِطَيِّ الطّريق والاهتداء بالهداية الإلهيّة. بل المراد من الإنسان ذلك الإنسان العاديّ بأفكاره العامّيّة وحالاته العاديّة، وبالطّبع تبعاً لهذه الشّاكلة يُعرِضُ ويَيأسُ ويَكفُر. فإذا أَدْرَكَتْهُ الهدايةُ الرّبّانيّة أخرجَته عن هذه الشّاكلة، وهذه الخِلقة، وهذه الدّرجة من الفطرة، وليس من مطلق الفطرة والخِلقة.

وما أشبهَ هذه الآية بالآيات الواردة في سورة المعارج: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ المعارج:١٩-٣٩.

فهذه الآيات المباركات تريد بحسب الظّاهر أن توصل المعنى نفسَه، وهو أنّ خلقة الإنسان الأوّليّة هي الهَلوعيّة (بمعنى عدم الصّبر والثّبات)، والعجلة الّتي يلازمها - في حال الخير - المنعُ، وعند المصيبة أو فقدان المال وغيره، الجَزَعُ. والمصلّون هم فقط مَن استُثْنِيَ من هذه القاعدة الكلّيّة، ولكن أيّ صنفٍ من المُصلّين؟

إنّهم أولئك الّذين يهتمّون بالصّلاة والزّكاة، ويخافون عذاب الله ويصدّقون بيوم القيامة والحساب، ويمنعون أنفسهم من الوقوع في الزّنا وارتكاب الأعمال الشّنيعة، ويحفظون الأمانات، ويرعون العهود، ولا يشهدون بالزُّور أبداً. فقد عدّ الله تعالى في هذه الآيات جميع الأعمال الحسنة، ولم يترك منها شيئاً.

ثمّ يقولُ تعالى ما مضمونه: إنّ هؤلاء الكفّار الّذين يحيطون بك يا رسول الله، والّذين لا علاقة لهم بالأعمال الحسنة والفضائل الأخلاقيّة والأعمال الرّوحيّة الحقيقيّة، ماذا يقولون؟ وماذا يريدون؟ هل يتصوّرون أنّهم بدون الصّلاة الّتي لها تلك الآثار والخصائص، يستطيعون الوصول إلى مقام الإنسانيّة والدّخول إلى جنّة النّعيم؟ الأمر ليس كذلك؛ ولن ينال هؤلاء هذا المقام أبداً.

ففي هذه الآيات استُثنِيَ المصلّون من قاعدة الخِلقة الأوّليّة للإنسان، الّتي هي الهَلَع ولوازمُه من المنع والجزَع. وبناءً عليه، غُرِسَت الصّلاة بخصائصها المذكورة في ذات الإنسان وفطرته، وعليه أن يقوم بإبرازها وإيصالها إلى مقام الظّهور الفعليّ، وعليه أن يوقظَ هذا الشّعور الإلهيّ الكامن فيه.

والخلاصة، أنّ المراد من خَلْق الإنسان بحالة الهلع، هو خلقُ إحدى الحالات والمقامات الإنسانيّة، وليس لُبّ الفطرة الأصليّة للإنسان. والآيةُ تبيّنُ خَلْقَ الحالات العاديّة والعامّة للإنسان، وليس أصل النّفس النّاطقة والرّوح القدسيّة.

الشّفاعة مختصّة بأهل الكبائر

السّيّد الطّهراني: الآية المباركة ﴿..وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ الأنبياء:٢٨، لها دلالةٌ على الارتضاء المُطلَق، أي ينبغي أنّ تكون جميعُ مراتب الإنسان الوجوديّة، حتّى ذاتُه وسرُّه، موردَ الرّضا حتّى تنالَ الشّفاعة، وهذه هي درجةُ المقرّبين والمخلَصين.

العلّامة الطّباطبائي: في مثل هذه الحالة لا حاجةَ للشّفاعة، بل المقصود الارتضاءُ في الدِّين، وإطلاقُ الآية يجب أن يكون في هذا الحدّ المحدود. أي أنّ مَن يُرتَضَى منه دينُه وعقيدتُه ومنهجُه، في مقابل التّقييد بالارتضاء في العمل الّذي ليس المقصود بالطّبع، لأنّ الشّفاعة مختصّةٌ بأهل المعاصي، أي بأهل الكبائر؛ لأنّ الّذي يجتنبُ الكبائر، يحصل بهذا الاجتناب على تكفيرٍ لذنوبه الصّغيرة، وهنا لن تبقى معصيةٌ لتكون موردَ الشّفاعة. ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ..﴾ النّساء:٣١، و﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ..﴾ النّجم:٣٢، فهذه الآيات تدلّ على غفران الذّنوب والمعاصي الصّغيرة تلقائيّاً عند الاجتناب عن الكبائر، وعن رسول الله ﷺ، قال: «**ادَّخَرْتُ شَفاعَتِي لأَهْلِ الْكَبائِرِ مِنْ أُمَّتِي، فَأَمَّا الْمُحسِنُونَ فَمَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ**».

وعن الإمام الرّضا عليه السلام في تفسير «الارتضاء» المذكور في الآية: «**وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى دِينَهُ**». والمُراد من الدّين الاعتقادُ بالتّوحيد ونَفيُ الشّرك. أمّا الّذي يرتكبُ الكبيرةَ ولا يتوب، فهو مصداقُ قول الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام بأنّه «**ليس مَرْضِيّ الدّين**».

السّيّد الطّهراني: هل آية (الكرسيّ) الّتي حازت على عنوان العَلَم بالغلبة، هي الّتي تنتهي بقوله تعالى: ﴿..وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ البقرة:٢٥٥، أم أنّها تشملُ الآيتَين التّاليتَين، وتنتهي عند قوله تعالى: ﴿..أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ البقرة:٢٥٧؟

العلّامة الطّباطبائي: تنتهي بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾، وقد سُمّيت بآية الكرسيّ لأنّها اشتملت على لفظ الكرسيّ. أمّا الفقرات الأُخَر فليست جزءاً من الآية. وفي الأدعية والصّلوات المستحبّة الّتي ورد فيها استحبابُ قراءة الآية، يُكتفى بهذا المقدار فقط.

العلّامة الطّهراني قدس سره

الهَلَعُ الّذي خُلِق عليه الإنسان هو في مرتبةٍ دنيا من مراتبه الوجوديّة، ولا يطالُ لبَّ فطرته الموحِّدَة توحيداً تامّاً.

المرادُ بالارتضاء الذي هو من شروط استحقاق الشّفاعة، ارتضاءُ الدِّين والعقيدة، وليس ارتضاءَ العمل.

الغزو الثّقافيّ المعاصر
والموقف منه

الشّيخ الدّكتور عبد الهادي الفضلي رحمه الله

«ما هو موقفنا من الكُتب والبُحوث التي أُلِّفت وكُتبت من قِبل أناسٍ مسلمين في أيّامنا هذه، محاولةً منهم لنقد الفكر الإسلاميّ في مجالات العقيدة، والتّشريع، والأخلاق؟

*** هل جميعُ هذه الكُتب تُعدّ غزواً ثقافيّاً؟**

*** وهل كلّ ما يُعدّ غزواً ثقافيّاً يُحكم على صاحبه شرعاً بالارتداد؟**

*** ثمّ ما هو موقفنا من هذا الغزو الثّقافيّ فكريّاً؟**

هذا ما سنحاول الإجابة عنه لمعرفة موقفنا منه، بصفتنا مسلمين علينا أن نحافظ على ثقافتنا وندافع عنها».

ما يلي، مقتطفٌ من بحثٍ مطوّل للشّيخ الفضلي رحمه الله، يطرحُ في سياقه الأسئلة المتقدّمة، ويُجيبُ عنها.

تتشعّبُ الإجابة عن هذه التّساؤلات إلى:

١- توضيحُ بيانات الحكم الشّرعيّ ومستلزماته.

٢- بيانُ حكم الرّدّ ومسؤوليّته فكريّاً.

وجواباً عن السّؤال الأوّل، نقول: لا بدّ هنا:

أوّلاً: تشخيصُ الموضوع الّذي يُراد الحُكم عليه من ناحيةٍ شرعيّة. وهو أمرٌ طبيعيّ لأنّ إصدار الحكم مسؤوليّة أمام الله تعالى، تُوجب التّأكّد والتّثبّت من أنّ الموضوع يستحقّ الحكم الّذي سيُحكم عليه به.

وتشخيص الموضوع في مثل هذه القضايا يتطلّب إحالةَ البحث، كتاباً أو غيره، إلى بيّنةٍ عادلةٍ خبيرةٍ، تُحيط بمحتوى البحث، من حيث المعنى ومن حيث العبارة.

ثانياً: على القاضي أو الحاكم أن يتأكّد من أنّ ما يستوجبُ الحكمَ بالكفر لم يأتِ عن شبهةٍ علقتْ في ذهن الباحث أو الكاتب.

ثالثاً: أن يتأكّد أيضاً من أن لا يكون الموضوع من المسائل الاجتهاديّة الّتي تقبل التّأويل.

رابعاً: عند ثبوت الإدانة وبكلّ وضوح، يأتي دور الوليّ الفقيه ووليّ الأمر اللّذَين لهما الكلمة الفصل في إقرار الحكم ونوعيّته ومستواه، وبخاصّة إذا كان الموضوع له علاقة بجانبٍ سياسيٍّ يقتضي أن يرجع في تحديد الموقف منه إلى الوليّ الفقيه، أو وليّ الأمر.

> **إصدار أيّ حكم أو فتوى في قضايا الارتداد، هو من حقّ الوليّ الفقيه، أو قضاء الدّولة، بعد مصادقة الوليّ الفقيه عليه.**

وفي هدْيِ ما تقدّم، عرفنا أنّ تشخيص الموضوع لا بدّ منه، لأنّه الّذي يحدّد لنا أنّ هذا الكتاب أو البحث هو ممّا يوجب الحكم على صاحبه بالكفر، أو لا يوجب ذلك.

وموقف صاحبه من المخالفات الّتي فيه، وشخصيّته من حيث الاعتقاد بمضامين هذه المخالفات، هل هي عن شُبهة أو ليست كذلك، هي الّتي تحدّد لنا إيجاب الحكم عليه أو عدمه.

كما يحدّد لنا هذا أنّه إذا كانت الكتابة بدافعٍ سياسيٍّ لأجل تشكيك المسلمين بدينهم، فيكون غزواً ثقافيّاً، أو هو ليس كذلك فلا يُعدّ غزواً ثقافيّاً.

وهنا أودّ أن أشير - إغلاقاً لباب الفوضى في الإفتاء وإصدار الأحكام - إلى أنّ إصدار أيّ حكم أو أيّة فتوى في مثل هذه

القضايا، هي من حقّ الوليّ الفقيه، أو قضاء الدّولة، بعد مصادقة الوليّ الفقيه عليه.

وهذا يعني أنّ أيّ حكم أو فتوى تصدر عن غير الوليّ الفقيه في هذه القضايا وما يُماثلها، إذا لم تُعتَمد من قِبله، لا يُعتمد عليها.

ويستند هذا إلى أنّ النّيابة العامّة عن الإمام المعصوم عليه السّلام، عند اختيار الوليّ الفقيه من قِبل المعنيّين بذلك، تنحصر فيه وتقتصر عليه، وهو أمرٌ واضح.

هذه خلاصةُ ما يرتبط بشؤون الحكم.

مسؤوليّة ردِّ الغزو الثّقافيّ

أمّا ما يتعلّق بالرّدّ فكريّاً، فنقول:

أوّلاً: إنَّ الرّدَّ مسؤوليّةُ الدّولة الإسلاميّة، لأنّ الغزو الثّقافيّ لا يختلف في خطورته وأضراره عن الغزو العسكريّ، فكما أنّ صدّ الغزو العسكريّ هو مسؤوليّة الدّولة بالدّرجة الأولى، كذلك صدّ الغزو الثّقافي هو مسؤوليّة الدّولة بالدّرجة الأولى، لأنّ الملاكَ فيهما واحد.

ثانياً: وفي حالة عدم وجود دولة إسلاميّة، تنتقل مسؤوليّة الرّدّ إلى المرجع الدِّينيّ الأعلى – عندنا معاشر الإماميّة – لأنّه النّائبُ عن الإمام المعصوم عليه السّلام، والّذي يقومُ مقامَه في تحمّل مسؤوليّاته، الّتي منها الدّفاع عن العقيدة.

وعند الالتزام بمبدأ ولاية الفقيه العامّة – كما هو الحقّ – يكون المرجعُ الأعلى هو الوليُّ الفقيه، وتَقدَّم بيانُ وظيفتِه في ذلك.

من التّجارب المعاصرة

ومن التّجارب الّتي ينبغي أن تُذكر هنا، تجربتان رائعتان، هما:

١ – موقف الحوزة العلميّة في النّجف الأشرف ضدّ الغزو الثّقافيّ الشّيوعيّ في أواخر الخمسينات من القرن العشرين الميلاديّ، بقيادة المرجع الدِّينيّ الكبير السّيّد محسن الحكيم (ت: ١٣٩٠ هجريّة)، فقد أُلِّفت من الكُتب في نقد الفكر الشُّيوعيّ والرّدّ على كتابات الشّيوعيّين ما فيه الكفاية، وزيادة، بأمرٍ منه قدّس سرّه، ونُشرت بتمويله. أهمُّ هذه المولّفات كِتابا (فلسفتنا) و(اقتصادنا) للشّهيد السّعيد السّيّد محمّد باقر الصّدر. كذلك صَدرت عدّة مجلّات دوريّة بأمره وتمويله وأهمُّها (الأضواء)، مجلّة جماعة العلماء. وبأمره ورعايته شُكّلت «جماعة العلماء» برئاسة الشّيخ مرتضى آل ياسين، وعضويّة السّيّد محمّد تقي بحر

> **المِلاكُ في الغزو الثّقافيّ وفي الغزو العسكريّ واحد، والتّصدّي لهما من مسؤوليّة الحاكم في الدّولة الإسلاميّة، أو المرجع الدّيني الأعلى.**

العلوم، والشّيخ حسين الهمدانيّ في هيئتها العليا، وأصدرت في مجال صدّ الغزو الثّقافي الشّيوعي منشورَها الأسبوعيّ الّذي كان يكتبه السّيّد محمّد باقر الصّدر، ويُذاع عن طريق الإذاعة العراقيّة ببغداد، ويوزَّع عن طريق البريد العراقيّ على مختلف أنحاء البلاد، وعلى مختلف العشائر العراقيّة عن طريق مبعوثِي «جماعة العلماء». يُضاف إلى ذلك كلّه، فتوى العلماء من الفريقين ضدّ الشيوعيّة، وفي طليعتها فتوى الإمام الحكيم نفسه.

كلّ هذ الأعمال وأمثالها استطاعت أنْ تصدّ الغزو الثّقافيّ الشّيوعيّ المُشار إليه.

٢ – أمّا التّجربة الثّانية: فهي الثّورة الشّعبيّة الإيرانيّة بقيادة الإمام الخمينيّ العظيم (ت: ١٤٠٩ للهجرة) الّتي أطاحت بإمبراطوريّة الشّاه المقبور محمّد رضا بهلوي، فأنهتْ بذلك غزوَ الحضارة العلمانيّة الغربيّة والشّرقيّة، وقضتْ على النّفوذ الاستعماريّ الأميركيّ. وتمّ ذلك – بالدّرجة الأولى – بالثّورة الثّقافيّة الإسلاميّة الّتي فجّرها الإمام الخمينيّ. ولا تزال هذه الثّورة الثّقافيّة الإسلاميّة حتّى اليوم تقوم بدور صدٍّ الغزو الثّقافيّ الغربيّ للعالم الإسلاميّ.

وقد وسّع المرجع القائد السّيّد الخامنئيّ حفظه الله من مجالاتها، وأمَدَّ في أبعادها، حتّى وصلت إلى دور إعطاء الصّورة المُشرقة والمشرِّفة عن مدى قدرة الإسلام على تنظيم الحياة، وإدارة شؤون النّاس.

وفي المرحلة الأخيرة يكون الرّدُّ من مسؤوليّة أبناء المجتمع الإسلاميّ من باب الحسبة.

هذا ما كنت أودّ أن أثيره حول مسألة الغزو الثّقافيّ العلمانيّ، ليكون توطئةً لدراساتٍ فقهيّةٍ أعمق وأوسع، واللهُ تعالى وليّ التّوفيق، وهو الغاية.

حقّانيّةُ الحوار

في وجوب التّلازم بين الإيمان والمعرفة والأخلاق

محمود حيدر*

مطالعةٌ حول الآليّات العامّة والخاصّة الواجب اعتمادُها في عمليّة الحوار، وعلى مستوى العلاقة بين الفضاءات الحضاريّة المتعدّدة.

ففي حين تقوم الأولى على مبدأ التّكافؤ والتّوازن، تستندُ التّالية إلى جملة قواعد، في طليعتِها المباشرة، والعقلانيّة، والأخلاقيّة.

هل يُجدي الحوارُ من دون أنْ يتعرّفَ كلُّ محاورٍ على الآخَر الّذي يُحاوره؟

سؤالٌ يبدو عادياً جدّاً للوهلة الأولى، لكنّه إشكاليٌّ بامتياز. فلو تبيَّنّا العوامل الّتي تحُول دون وصول المحاوَرات إلى صيرورتها الفاضلة، لَظهرَ لنا أنَّ الأمر يعود إلى الجهل المديد الّذي يحكمُ حقول المتحاورِين أنفسهم.

هذه البديهيّة تحضرُ اليوم بقوّةٍ وسط الجدل المتواصل حول الآليّات الّتي ينبغي أن تُعتمد للحوار بين الأديان، والمذاهب، والتيّارات داخل كلّ مجتمعٍ، وعلى مستوى العلاقة بين الفضاءات الحضاريّة المتعدِّدة.

المسألة ليست موقوفةً على إدراك ضرورة التّعرُّف المُتناظر بين الجهات المُتحاورة، وإنّما أساساً على ضرورة «انوجاد» إرادةِ التّعرُّف لدى تلك الجهات.

هنا لا بدّ من القول بدايةً إنَّ المعرفة لا تستوي إلّا على نصاب الحرّيّة. وتلك بديهيّةٌ تفترض العناية بها كلّما دار الكلام على أمرٍ يشكِّل، بالنّسبة إلى الأفراد أو الجماعات، موضوعاً للتّعرُّف. ففي المسافة الفاصلة بين الشّيء المجهول والعلمِ به، يجد السّاعي إلى المعرفة، أنّه بإزاء مجهودٍ فكريٍّ وأخلاقيٍّ ينبغي أنْ يبذلَه لتحصيل ما يَسعى إليه.

ولأنَّ تحصيل المعرفة شرطُه الحرّيّة، فلهذه الأخيرة قواعدُ ومبادئ ومنازل، لا تتوفّر إلّا لِمَن توفّر على ثلاثة شروطٍ متلازمةٍ، تؤلِّف عناصرَ الكمال لشخصيّته، وهي: العقل، والإيمان، والأخلاق.

إذ من خلال هذه الثّلاثيّة يستطيعُ المتعرِّفُ أن يتعقّلَ نظيرَه كما يبدو له هذا النّظيرُ في الواقع. ثمّ لِيناظرَه بالرّحمانيّة ويَسلك مسلكاً يجعل من حياته الشّخصيّة جزءاً غير منفصلٍ عن حياة الجماعة، حيث يشاطرها كلّ شأنٍ عامٍّ على أساسٍ من الخيريّة، والاعتناء، والشّراكة التّامّة. إذ لا يقدر سوى كائن يمارس التّعقّل، ويدرك شرائط السّلوك الأخلاقيّ، أن يفلحَ في إنجاز هذه المرتبة من الحرّيّة.

مَن يمتلك مثل هذا المستوى من التّعقُّل - ونعني بالتّعقُّل استعمالَ العقل كناظمٍ معنويٍّ وروحيٍّ، للفكر والواقع، لا بوصفِه أداةً تقنيّة - فإنّه يحقّق بذلك الشّرط القَبليّ للإيمان. ذلك لأنّ الإيمان، هو الفعلُ الّذي يصلُ به العقلُ في نشوته الانجذابيّة إلى ما وراء ذاته، كما يقول الفيلسوف الألمانيّ بول تيليتش Paul Tillitch، أي إلى المبدأ الّذي صَدَر منه وخُلِق من أجله. وهو ما نعنيه بالفطرة الّتي هي أوّلُ زرعٍ ألقاه اللهُ تعالى في الإنسان، ليَعرفَه ويؤمن به. إذ حين يعيشُ هذا العقلُ همَّه الأقصى متّحداً بالإيمان، يتحرَّر من حدود أنانيّته الضّيّقة، وتتّسع لديه فضاءاتُ التّعرُّف، ويصبحُ كلُّ مغايرٍ أو مختلفٍ حافزاً له للجاذبيّة والنّموّ. فالتّجربةُ الانجذابيّةُ لا تُلغي العقل، بل هي لا تتحقَّقُ إلّا بالعقلانيّة. إذ إنَّ العقلَ لا يتحقّقُ بالحرّيّة التّامّة إلّا متى سِيقَ إلى ما وراء حدود تناهيه، أي إلى المقدَّس اللّامتناهي (غير المتناهي). فالإيمان بوصفه حالةَ همٍّ أقصى، هو نفسُه العقلُ في نشوته الانجذابيّة. ولذا فلا تناقضَ بين طبيعة الإيمان وطبيعة العقل، بل يقع كلٌّ منهما في داخل الآخر. ليُحقِّقا للإنسان الحدودَ القصوى من الحرّيّة.

* باحث في الفكر الفلسفي والأخلاقي

تحصيلُ المعرفة شرطُه الحرّيّة، وهي لا تتوفّر إلّا لِمَن حازَ على ثلاثة شروطٍ متلازمة، تؤلّف عناصرَ الكمال لشخصيّته، وهي: العقل، والإيمان، والأخلاق.

ذلك يعني أنّ التّعرّفَ المؤيَّدَ بالحرّيّة المُدرِكة والواعية، هو عمليّةٌ مركّبة: من جهةٍ تلبّي الحاجةَ إلى التّواصل واللّقاء الّذي تفترضُه ضروراتُ الحياة، ضمنَ جغرافيا حضاريّة ودينيّة مشتركة، ومن جهةٍ ثانية فإنّها تنجزُ الحاجةَ إلى فهمِ ما كان غيرَ مفهومٍ من المعارف الإيمانيّة، والدّينيّة، والحضاريّة للفريق الآخر.

حين تصيرُ الحرّيّة شرطاً مقوّماً للإيمان والمعرفة، ربّما نَصِلُ إلى ذلك المثلّث الّذي لا يستوي التّعرُّف فيه على نصاب العدل إلّا باجتماع أركانه معاً: الإيمان والأخلاق والحرّيّة. بذلك يتوفّر للمُلتقين، الفضاءُ الفسيح الّذي ينأى بهم من شوائب الحذَر والخشية، وتخلو لهم المساحة الكافية لتبادل المعارف وإنجاز القضايا المشتركة.

من لوازم التّعرُّف الّذي يسبق أيَّ حوارٍ، أن يتوفّر المتعرِّفون على ما سُمِّي بـ «سعة النّظر». وهذه القيمة الأخلاقيّة المعرفيّة هي ركيزة أساسيّة من مرتكزات التّعرُّف. وقوامها أنْ يُحرزَ طرفا العلاقة وعياً مسبقاً بضرورتها النّظريّة، وكذلك بضرورة اختبارها عبر ممارستها في الحياة الواقعيّة. وفي تصوُّرنا أنّ مثل هذا الوعي لن يتحقّق إلّا بشرط الالتقاء بين جدولَين متآخيَين:

أ) **جدول الفضيلة**: ومنشؤه الفطرة الخيِّرة الكامنة في ذات الإنسان. تلك الّتي يَستمدّ ذلك الإنسان منها الفضائل، وبرعايتها يَحسُنُ سَيرُه، ويتجمَّل سلوكُه. فكلّما نمّاها ووسَّعها فاضت عليه بالتّخلّق واللُّطف.

ب) **جدول المعرفة**: وهو مركَّبٌ من خطَّين متلازمَين تلازماً «ذاتيّاً»: معرفة الذّات، ومعرفة الغير.

كِلا الجدولَين (الفضيلة والمعرفة) يتحرّكان في سياقٍ واحدٍ. ولئن ظَهر لنا أنَّ جدول الفضيلة هو أمرٌ ثابتٌ من حيث كونه مبتنياً على الفطرة التّكوينيّة لذات الإنسان، فإنّ جدولَ التّعرُّف السّاري عبر نشاط العقل، يجري بلا انقطاعٍ ضمن حركةٍ جوهريّةٍ في الحياة المُشترَكة للأديان والأُمَم.

متى حاز المُتعرِّفُ الجمعَ بين جدولَي الفضيلة والمعرفة، تحقَّق له الطَّور الأوّل من سعة النّظر، وبذلك يكون قد أنجزَ بمعرفته الخلّاقة حقلَ إدراكٍ زاخرٍ بقابليّات النّموّ، والامتداد والتّوسُّع والشُّمول.

التّعرُّف قبل الحوار

تفترضُ الصُّورةُ، إذاً، مقاربةً للحوار في ما هو مسعًى سامٍ ونبيل، لتتعرَّف الذّاتُ إلى صورتها وإلى صورة الآخَر الّذي يُناظرُها، ثمّ لتسعى إلى تلطيف الزّوايا الحادّة الّتي تحكمُ مساحات الاختلاف. حيث الغير - ضمن هذا المحلّ من الفهم - ليس إلّا ما تنطوي عليه الأنا من صفاتٍ محمودةٍ لتبلغَ تمامها. فالحوار في هذه المنطقة المعرفيّة، إنّما هو صيرورةُ الأنا إلى الغير. ثمّ لتَنبسطا معاً به على الرِّضى، والقبول، والحراك المشترك. لكنّ المقاربةَ تفترضُ تحويلاً للشّائعة الّتي تقومُ على تلك الثّنائيّة المتنافرة بين الأنا / الآخَر، كأنْ يصيرَ الكلامُ على واحديّة الأنا والغَير، تظهيراً لمنحًى جديدٍ في مفهوم الحوار. ذلك أنّ الغَير يُصبِحُ هذا الآخَر الّذي يمكثُ فينا، ولا نملك أن نفارقَه قطّ. وهو نفسُه الّذي سنعقدُ وإيّاه صِلاتٍ، هي أقرب إلى محاوراتٍ داخليّة، منها إلى مناظراتٍ مع آخَر في الخارج. وهكذا يغدو الحوارُ ضمنَ هذه الوحدة البنّاءة بديلاً من الجدال العدَميّ، الّذي غالباً ما ينبني على فرضيّة حضور الآخَر كنظيرٍ سالبٍ للأنا، أو بوصفِه جحيماً حسب تعبير سارتر Sartre.

وبسبب تعدُّد أوجه استعمال مصطلح الحوار، ولعوامل تعود إلى سوء توظيفه في حقول النّزاعات السّياسيّة، والثّقافيّة، والاجتماعيّة، والعقائديّة، فقد لحقتْ بالمفهوم التباساتٌ شتّى، حتّى إنّنا غَدَونا في مطارح كثيرة، نرى إليه مفهوماً لفظيّاً يوضَع في

غير محلِّه. حيث جرى تحويرُه وتحويلُ المُراد منه، وفقاً لأغراض، وأهواء، ومصالح.

فالآليّات العامّة الّتي تجعل الحوار يمضي بالمتحاورين إلى غاياتهم المأمولة، ينبغي لها أن تلحظ مبدأ التّكافؤ، والرِّضى، والتّوازن في ما بينهم. ذلك أنّ الحوار في أحواله ومبانيه وغاياته، قائمٌ على الاعتراف والتّقابل السّويّ، وحقّ كلِّ فريقٍ، سواء كان فرداً أم جماعة، في المشاركة المتساوية المتكافئة، في تقرير الصّياغة النّهائيّة لِشَكلِ المسألة الّتي يجري الحوار بشأنها، ومضمونها.

إنّ الانطلاق من هذا المبدأ، سوف يُنجز نصفَ المسافة المؤدِّية إلى الصّيغة الفُضلى من الاتّفاق والحلّ المُفترَض. وبالتّالي فمن البداهة ألّا يكون الحوار حقيقيّاً وسويّاً في حالة الغلَبة وعدم التّكافؤ، وإلّا صارت كلُّ صيغةٍ تُنتجها مجالات التّحاور، أدنى إلى عمليّة استلابٍ، أو أنّها مجرّد فعل أمرٍ يفرضُه الأقوى على الأضعف، ما يؤدّي في النّهاية إلى خللٍ في نظام الحياة.

آليّات الحوار، وقواعدُه

على هذا الأساس، فإنّ استقامة الحوار على مبدأ التّوازن، والاعتراف، وحرمة تجاوز حدود الغير، يفترضُ مراعاةَ جملةٍ من القواعد والآليات، يُمكن إجمالها على النّحو التّالي:

١- **المباشرة**: أي إجراء التّحاور من دون وصايةٍ من خارج، لئلّا يتحوّل الحوار إلى تفاوضٍ، فتكون النّتيجة تحويل المتحاورين إلى أدواتٍ لتحقيق أهداف معاكسة. وعلى هذا، فإنّ العلاقة الأفقيّة والمباشرة بين المُتحاورين، هي الّتي ينبغي توفيرها أوّلاً لكي يجريَ حوارُهما على نحوٍ سَويّ.

٢- **وضوحُ الخطاب**: أن تكون اللّغة الّتي يستخدمها كلُّ طرفٍ، مفهومةً وبيِّنةً وواضحةً بالنّسبة إلى الطّرف المقابل. ومتى يتوفّر وضوح الخطاب، تنشأ وحدةُ لغةٍ بين المتحاورين تمكّنهم من فهمِ أنفسهم، وبالتّالي الحدود الّتي ينبغي أن يتوقّف عندها كلُّ فريقٍ، حتّى لا يتعدّى حرمةَ حدود الغير.

٣- **العقلانيّة**: وتقوم على النّظر إلى الغير بما هو غير، له وجودُه، وشخصيّته، وله مزاياه السّالبة والموجبة. وعليه ينبغي أن تتوفّر القناعة الكاملة، بأنَّ الغير هو كيانٌ كاملٌ. إن لم أستطع النّظر إليه من هذه الزّاوية، فسأكون كَمَن يُحاورِ نظيراً أصنعُه وفقَ ما أريد، وليس طِبْقاً لوجوده وهويّته الخاصّة.

الحوارُ هو صيرورةُ الأنا إلى الغير، وعقْدُ صلاتٍ معه هي أقربُ إلى محاوراتٍ داخليّة، منها إلى مناظراتٍ مع آخَرٍ في الخارج.

٤- **التّسامحيّة**: الإعراض عن إسقاط ما تمتلئ به الأنا المحاوِرَة، على الغير، من يقينيّات. فالحقيقة الكلّيّة مطلَقة، غير أنّ رؤيتَنا لها أو قدرتَنا على إدراكها، نسبيّةٌ ومتغيِّرة، ومن خلال التّحاور نصلُ إلى فهمٍ أكبر للحقيقة. ولسوف ننجز المزيد من الفهم، كلّما قطعنا أطواراً إضافيّة من التّعرُّف.

٥- **الأخلاقيّة**: تقدير الغير حقّ قدره. هو أن أراه حيث هو، خارجاً عن أيّ اتّهامٍ، معلَنٍ أو كامنٍ. أن أحترمَ الآخَر، هو أن أعترفَ أنَّ له القيمةَ نفسَها الّتي أُعطيت لي، من دون زيادةٍ أو نقصانٍ، فألتقيه حيث هو، وبهذا أكون قد دعوتُه كي ينظر إليَّ حيث أقف، لا من حيث هو يريدُ لي الوقوف. إنّ ذلك يتطلّب استعداداً لضبط وقائع مسالك الأنا، وأهوائها، وأغراضها.

٦- **الاستقلاليّة**: لا نستطيع القول إنّنا نتحاور، إنْ نحن نظرنا إلى الغَير انطلاقاً من تعميمٍ يُخرجه من فرادته، فهذا الغَير هو كائنٌ له هويّته الكاملة، من قبل أن يكون مجرّدَ كائنٍ أُحاوِرُه، لأبلغَ وإيّاه ما هو مشترَكٌ بيني وبينه. وبالتّالي، أنْ أرى فيه شخصاً جديداً، ليس الآن فقط، بل في كلِّ لحظة. فكلُّ لحظة حوارٍ مع الغَير، هي نظرةٌ جديدةٌ إليه، تجعلني أراه مولوداً في كلّ لحظة. إنَّ إخراجَ الغير من التّعميم، ومن الصُّوَر الّتي رسمناها عنه، أو رَسَمها عنه آخرون، هو خطوةٌ أولى في سبيل تحرير ذواتنا من أَسْرِ العتمة، بما يؤدّي إلى تحرير سِوانا بالقدرِ عينه.

٧- **التّناظريّة**: أن يكون التّحاورُ بعد التّعرُّف بين نظيرَين متكافئَين، فلا غَلَبة لأحدٍ على أحدٍ. فكما ينبغي أن أرى إلى الغير كما هو، وَجَبَ عليَّ السّعيُ ليرى الغيرُ إليَّ كما أنا. إنّ الغير، باختصار، هو النّظير المُعادِل لذواتنا على التّمام. وهنا بالضّبط، يمكن أن نؤسّس لحوارٍ تعرُّفيٍّ خلّاقٍ، وسطَ عالمٍ مُشبَعٍ بالإقصاء والقطيعة.

خليفةُ الشّيخ الطّوسيّ في بلاد الشّام
الفقيهُ الفاضل، القاضي ابنُ البرّاج الطّرابلسيّ

إعداد: سليمان بيضون

*** الفقيه المؤسّس للنّهضة العلميّة في بلاد الشّام بعد سلَفه، ومعاصره، وابن مدينتِه، الشّيخ محمّد عليّ الكراجكيّ.**

*** من خواصّ تلامذة السّيّد المرتضى، وُصِفَ بأنّه: إمامٌ في الفقه، واسعُ العلم، كثيرُ التّصنيف.**

*** تولّى منصبَ القضاء بصلاحيّاتٍ واسعة قرابة عشرين سنة في إمارة بني عمّار الشّيعيّة في طرابلس الشّام.**

*** استقينا مادّةَ هذه المقالة من ترجمةٍ وافية للشّيخ ابن البرّاج، كتبها الشّيخ جعفر السّبحاني في مقدّمة كتاب (المُهذَّب)، ومن دراسة للشّيخ جعفر المهاجر بعنوان (ابن البرّاج الطّرابلسيّ، عصرُه، سيرتُه، ومُصنّفاتُه).**

هو أبو القاسم، عبد العزيز، بن نحرير، بن عبد العزيز، المعروف بـ «ابن البرّاج». هكذا عرّفه ابنُ شهرآشوب المازندرانيّ (ت: ٥٨٨ للهجرة) - في كتابه (معالم العلماء) - الّذي عاشَ في حلب وألّف كتابَه بعد حوالي القرن من وفاة المترجَم له.

أمّا عن لقب والده «البرّاج»، فهو اسمُ فاعلٍ من أمثلةِ المبالغة، مشتقٌّ من «البُرج»، وهو بناءٌ حصينٌ على ساحل البحر، وظيفتُه خِفارةُ السّاحل، وحمايةُ المقاتلين من الأعداء المُغيرين في السّفُن. والبرّاج هو الّذي يعملُ في الأبراج بنحوٍ أو غيره.

مولدُه ونشأتُه

لم تذكر المصادر تاريخَ ميلاد الشّيخ ابن البرّاج على وجهٍ دقيق، غير أنّ كلمةَ الرّجاليّين والمترجمين له اتّفقت على أنّه تُوفّي عام ٤٨١ للهجرة، وقد نيّفَ على الثّمانين، فعلى هذا، فإنّ أغلبَ الظّنّ أنّه وُلد عام ٤٠٠ للهجرة، أو قبل هذا التّاريخ بقليل.

وأمّا موطنُه، فهو «طرابلس الشّام»، الواقعةُ على السّاحل الغربيّ للبحر الأبيض المتوسّط [شمال لبنان]، وهذه غير «طرابلس» الواقعة على السّاحل الجنوبي للبحر نفسه، والّتي هي عاصمة ليبيا اليوم. وقد ذكر الشّيخ عبد الله أفندي الأصفهانيّ في (رياض العلماء) أنّ مولدَه بمصر وبها مَنشؤه. ونقل ذلك عنه المحدّث النّوريّ، ثمّ السّيّد حسن الصّدر. إلّا أنّ الشّيخ السُّبحاني والشّيخ المهاجر متّفقان على اشتباه صاحب (رياض العلماء) في هذه النّسبة، معتبرَين أنّه لو كان مصريّاً لكان إسماعيليّاً، أو سنّيّاً،

أطلال أبنية من عهد إمارة بني عمّار في طرابلس

بحُكم البيئة الّتي نشأَ بها، وأنّه لو كانَ على أحد هذَين المذهبَين ثمّ تحوّل إلى الاثنَي عشريّة، لاشتَهرَ أمرُه بذلك.

دراستُه

لم تأتِ المصادر على ذِكر مَن أخذ القاضي ابنُ البرّاج أوّليّاتِ علومِه عنهم، وجُلّ ما ذُكر أنّه «قرأ على السّيّد المرتضى سنة ٤٢٩ للهجرة، إلى أن تُوفّي السّيّد، فأكملَ قراءته على الشّيخ أبي جعفر الطّوسيّ»، ما يعني أنّه هاجرَ من بلده طرابلس في الشّام لطلب العلم في بغداد، الّتي كانت الحاضرةَ العلميّةَ الشّيعيّةَ في ذلك الوقت، والّتي أرسى دعائمَها الشّيخُ المفيد، وكان قد سبقَ ابنَ البرّاج من طرابلس إلى بغداد الشّيخ محمّد بن عليّ الكراجكيّ.

قال عنه السّيّد حسن الصّدر في (تأسيس الشّيعة لفُنون الإسلام): «حضرَ عالي مجلس السّيّد [المرتضى] في شهور سنة ٤٢٩، إلى أن

تُوفِّيَ السّيّد، ثمّ لازمَ شيخَ الطّائفة أبا جعفر الطّوسيّ حتّى صارَ خليفةَ الشّيخ، وواحدَ أهلِ الفقه..».

وإذا علمنا - بناءً على هذا النّصّ - أنّ السّيّد المرتضى توفّي سنة ٤٣٦ للهجرة، تكون دراسة ابن البرّاج عنده حوالي ستّ أو سبع سنوات، وأنّه تتلمذ على الشّيخ الطّوسيّ مدّة السّنتَين قبل رجوعه إلى طرابلس.

وذكر الشّيخ أسد الله التّستُري أنّ ابن البرّاج «تتلمَذَ على الشّيخ أبي الفتح محمّد بن عليّ بن عثمان الكراجكيّ».

ويَحتملُ الشّيخ السّبحاني أنّ ابن البرّاج قد تتلمذَ على أبي يعلى، محمّد بن الحسن بن حمزة الجعفريّ، صهر الشّيخ المفيد وخليفته، والجالس محلّه، والّذي وصفَه النّجاشي في (رجاله) بقوله: «بأنّه متكلّم فقيه».

علاقتُه بالشّيخ الطّوسيّ

ناقش كلٌّ من الشّيخ السّبحاني والشّيخ المهاجر مسألةَ علاقة القاضي ابن البرّاج بالشّيخ أبي جعفر الطّوسيّ، هل هي علاقةُ تلميذٍ بأستاذه؟ أو زميلٍ بزميله، ولو أنّ الشّيخ الطّوسيّ كان سابقاً له في السّنّ، والدّرجة العلميّة؟ وكان محلّ الاتّفاق بينهما أنّ ابنَ البرّاج هو زميلُ الشّيخ الطّوسيّ، وأنّه درسَ عنده سنتَين بعد وفاة أستاذهما السّيّد المرتضى من موقع الزّمالة، ولغايةٍ نبيلة.

يقول الشّيخ السّبحانيّ: «فعندما لبّى الأستاذُ [السّيّد المرتضى] دعوةَ ربّه، حضرَ [ابنُ البرّاج] درسَ الشّيخ [الطّوسيّ] إلى أن نُصِّبَ قاضياً في طرابلس عام ٤٣٨ للهجرة. وعلى ذلك، فقد استفادَ من شيخِه الثّاني قرابةَ ثلاث سنوات. ومع ذلك كلّه، فالحقُّ أنّ القاضي ابنَ برّاج زميلُ الشّيخ في الحقيقة، وشريكُه في التّتلمُذِ على السّيّد المرتضى، وأنّه بعدما لبّى السّيّدُ المرتضى دعوةَ ربّه وانتهتْ رئاسةُ الشّيعة - في بغداد - إلى الشّيخ الطّوسيّ، حضر [ابنُ البرّاج] درسَ الشّيخ الطّوسيّ توحيداً للكلمة، وتشرُّفاً، وافتخاراً، كما قبِلَ، من جانبه، الخلافةَ والنّيابةَ في البلاد الشّاميّة».

ويرى الشّيخُ المهاجر أنّ العلاقة بين الرّجلَين استمرّت إلى ما بعد مغادرة ابن البرّاج بغدادَ عائداً إلى طرابلس بنحوٍ من عشرين سنة، فيقول: «إنّ علاقةً حميمةً ومديدةً قامت بين الاثنَين، حتّى بعد أن تفرّقت بهما السُّبل، فآبَ ابنُ البرّاج سنة ٤٣٨ للهجرة إلى وطنِه بعد أن اكتفى من طُعمتِه في مهجره، ثمّ خرج الشّيخُ الطّوسيّ من بغداد بعد عشر سنوات، سنة ٤٤٨ للهجرة، بعد أن تغيّرت عليه، والتجأَ إلى حَرم الإمام عليّ عليه السّلام في النّجف، فالعلاقة طالتْ مدّة اثنتَين وعشرين سنة أو تزيد قليلاً، أي حتّى وفاة الشّيخ الطّوسيّ سنة ٤٦٠ للهجرة في النّجف».

وعن طبيعة هذه العلاقة العلميّة بين ابن البرّاج والشّيخ الطّوسيّ يقول الشّيخ السّبحانيّ: «فقد كان الشّيخ الطّوسيّ ينظرُ إليه بنَظر الإكبار والإجلال، ولأجلِ ذلك نرى أنّ الشّيخَ [الطّوسيّ] ألّفَ بعضَ كُتبِه لأجلِ التماسِه وسؤاله. فها هو يصرِّحُ في كتابه (المُفصِح في إمامة أمير المؤمنين عليه السّلام)، بأنّه ألّفَ هذا الكتابَ لأجلِ سؤالِ الشّيخ ابن البرّاج منه، فيقول: **سألتَ أيّها الشّيخُ الفاضل - أطالَ الله بقاءَك وأدام تأييدَك - إملاءَ كلامٍ في صحّةِ إمامةِ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه**. كما أنّه ألّف كتابَه (الجُمل والعقود) بسؤاله أيضاً، حيث قال: **أمّا بعد، فأنا مُجيبٌ إلى ما سأل الشّيخُ الفاضل - أدام اللهُ بقاءَه - من إملاءِ مختصَرٍ يشتملُ على ذِكر كتبِ العبادات**».

يُضيف الشّيخ السّبحانيّ: «ولم يكتفِ الشّيخُ بذلك، فألّف (رجالَه) بالتِماس هذا الشّيخ أيضاً، إذ يقول: **أمّا بعد، فإنّي قد أجبتُ إلى ما تكرّرَ سؤالُ الشّيخ الفاضلِ فيه، من جمْعِ كتابٍ يشتملُ على أسماء الرّجال الّذين روَوا عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله، وعن الأئمّة من بعدِه إلى زمنِ القائمِ عليهم السّلام، ثمّ أذكرُ مَن تأخّر زمانُه عن الأئمّة من رواة الحديث**».

ويستفيدُ الشّيخ جعفر المهاجر من مسألة تأليف الشّيخ الطّوسيّ كُتباً عدّة بطلبٍ من الشّيخ ابن البرّاج، وجودَ «ألمعيّة» خاصّة يتمتّعُ بها الأخير، فيقول: «هذه العلاقة نجدُ آثارَها اليوم في عددٍ من أعمال الشّيخ الطّوسيّ الباقية، حيث يبدو أنّ ابنَ البرّاج، وكأنّه مصدرُ وحيٍ، ومنبعُ أفكارٍ ومشروعاتٍ علميّةٍ عديدة، يقترحُها على الشّيخ [الطّوسيّ]، فلا يتوانى هذا عن تنفيذها، وبعضُها ما هو من أجَلِّ وأبقى مصنّفاته، ممّا يدلُّ على جودةِ تفكيرِ ابن البرّاج، والمكانة العالية، والثّقة التّامّة الّتي أولاها كلٌّ منهما للآخر».

عملُه في القضاء

تولّى الشّيخ ابنُ البرّاج منصبَ القضاء في طرابلس بتعيينٍ من عليّ بن محمّد بن عمّار، المُلقّب بـ «جلال المُلك» سنة ٤٦٤ للهجرة، إلى سنة وفاته، أي ٤٨١ للهجرة. وكان منصبُ القضاء حينها منصباً عالياً لا يقتصرُ على فضّ الخصومات وما إليها، بل كان ذا أبعادٍ سياسيّةٍ ومعنويّة، يُشبه منصبَ وزير العدل اليوم.

تلاميذُه

كان الشّيخ ابن البرّاج يمارسُ عملَه في القضاء بطرابلس، وفي الوقت ذاته يعكفُ على التّأليف في موضوعاتٍ تمَسُّ الحاجةُ العمليةُ إليها، كما كان مدرّساً واسعَ الشّهرة، تخرّجَ على يدَيه عدّةٌ من الأعلام، منهم:

* أسعد بن أحمد بن أبي روح: وهو أجَلُّ تلاميذ ابن البرّاج، وخليفتُه في منصب القضاء في طرابلس. تذكرُه المصادر بأنّه كان متعبّداً، زاهداً، عظيمَ الصّلاة والتّهجّد، لا ينامُ إلّا بعضَ اللّيل، وأنّه عُقدت له حلقةُ «الإقراء» بالشّام. وكان له عنايةٌ بـ «الفقه المقارن»، ومن ذلك أنّه صنّفَ ثلاثةَ كُتبٍ في هذا الباب، هي: (البيان بيننا وبين النّعمان)، و(التّبصرة في خلاف الشّافعيّ للإماميّة)، و(المقتبَس في الخلاف بيننا وبين مالك بن أنَس).

* عبد الجبّار بن عبد الله المُقري الرّازي: ذُكر بأنّه «فقيه الأصحاب» - أي الشّيعة - بالرّيّ. قرأ على الشّيخ الطّوسيّ جميعَ تصانيفه. وقد تُوفّيَ بطرابلس، ودُفن في حجرةِ القاضي ابن البرّاج.

* عبد الرّحمن بن أحمد الخُزاعيّ النّيسابوريّ، المعروف بالمفيد النّيسابوريّ. قرأَ في بغداد على السّيّد المرتضى، وأخيه الرّضيّ، والشّيخ الطّوسيّ، وارتحلَ إلى طرابلس حيث قرأ على الكراجكيّ وابن البرّاج. توفّي بالرّيّ.

* الحسن بن الحسين بن بابويه القمّيّ، نزيل الريّ، المدعو «حسكا»، وهي كلمة منحوتة من «حسن كيا». وكلمةُ «كيا» وصفٌ تعظيمٍ في لغةِ بعض مناطق إيران. وهو جدُّ الشّيخ منتجَب الدّين صاحب (الفهرست)، ومن بيت علمٍ أنجبَ العديدَ من الفقهاء. ارتحلَ إلى بغداد فقرأَ فيها على الشّيخ الطّوسيّ، ثمّ ارتحل إلى طرابلس وقرأَ فيها على ابن البرّاج.

نهر أبو علي وسط طرابلس، نسبة إلى فخر المُلك أبي علي بن عمّار.

* عبد العزيز بن أبي كامل الطّرابلسيّ - سَميّ الشّيخ ابن البرّاج، والملقّب أيضاً بالقاضي - لم تذكر عنه المصادر سوى أنّه ممّن قرأَ على السّيّد المرتضى، والشّيخ الطّوسيّ، وأبي الصّلاح الحلبيّ، والكراجكيّ، وابن البرّاج.

* الحسن بن عبد العزيز بن الحسن الجبهانيّ. قال عنه منتجَب الدّين في (الفهرست): «فقيهٌ، ثقةٌ، قرأ على الشّيخ الموفّق أبي جعفر الطّوسيّ، والشّيخ ابن البرّاج».

* أبو الفتح الصّيداويّ: قال في (رياض العلماء): «كان من أعاظم تلامذة بعضِ تلاميذ السّيّد المرتضى، ويظهر من بعض فوائد الشّهيد [الأوّل] في طيّ ذكر تلامذةِ المرتضى أنّ القاضي ابن البرّاج، الّذي هو من تلامذة السّيّد المرتضى، كان أستاذ أبي الفتح الصّيداويّ..».

* محمّد بن عليّ بن الحسن أو المحسن الحلبيّ: ينفردُ الحرّ العامليّ في (أمل الآمل) بالقول إنّه «أدركَ الشّيخ أبي جعفر الطّوسيّ وروى عنه». ويؤخَذ من إجازة الشّهيد الأوّل لتلميذه محمّد بن عبد العليّ بن نجدة أنّ الحلبيَّ قرأَ على ابن البرّاج كلّ مصنّفاتِه.

* محمّد بن الحسن بن عليّ الحلبيّ: ويظهر أنّه تلميذٌ آخر غير سابقه، والحرّ العامليّ ترجمَ للرَّجُلين. وقد وُصِفَ بأنّه «كان محقّقاً، مدقّقاً، فاضلاً، صالحاً، عابداً، يروي عن الشّيخ الطّوسيّ، وعن ابن البرّاج».

هذا، وذُكر لابن البرّاج ولدان: أبو القاسم، وأبو جعفر، يرويان عن والدهما، ويروي عنهما الرّاونديّ والسّرويّ وغيرهما.

مؤلّفاته

خلّفَ القاضي ابنُ البرّاج ثروةً علميّةً غنيّة، خصوصاً في الفقه الّذي كان رائداً من روّاده في تلك الحقبة من تأسيسِ الفقه الإماميّ، ويُنسَبُ إليه كتابٌ في علم الكلام، إلّا أنّ ما وصلَ إلى هذا الزّمن ثلاثةُ كُتبٍ فقط، هي: (المهذّب) و(جواهرُ الفقه) و(شرحُ جُمل العلم والعمل)، نقفُ عليها بعض الشّيء، ثم نعدّد ما ذكرتْه المعاجمُ من سائر كُتبِه:

* (المهذّب): هو أوسعُ الكتب الثّلاثة الباقية لابن البرّاج، استوفى فيه كتبَ الفقه من كتاب الطّهارة إلى كتاب القضاء.

* (جواهر الفقه): يقول عنه مؤلّفه في المقدّمة: «وضعتُ هذا الكتاب وسمّيتُه بكتاب (جواهر الفقه)، لأنّني اعتمدتُ فيه ذكرَ المسائلَ المستحسنة، والأجوبة الموجزة المنتخبَة».

* (شرح جُمَل العلم والعمل): وأصل الكتاب لأستاذ ابن البرّاج السّيّد المرتضى، ألّفَه بطلبٍ من أستاذه المفيد ليكون وسيلةً إلى أقلّ ما يجبُ على المؤمن معرفتِه والعمل به، وقد شرحَ الشّيخ الطّوسيّ - التّلميذ الأوّل للسّيّد المرتضى - القسمَ المتعلّق بعلمِ الكلام، وشرحَ ابنُ البرّاج القسمَ الآخر المتعلّق بالعمل، أي الفقه.

وأمّا سائر كُتبه الّتي لم تصل أعيانُها، فيُذكر منها: (روضةُ النّفس - (المقرّب) في الفقه - (المَعالم) في الفروع - (المنهاج) في الفروع - (الكامل) في الفقه - (المعتمَد) في الفقه - (الموجز) في الفقه - (عماد المحتاج في مناسك الحاجّ).

أقوالُ أصحاب التّراجم بحقّه

* منتجب الدّين عليّ بن بابويه الرّازي في كتابه (فهرست مشايخ علماء الشّيعة ومصنّفيهم): «القاضي سعد الدّين، أبو القاسم، عبد العزيز.. بن برّاج، وجهُ الأصحاب وفقيهُهم، وكان قاضياً بطرابلس، وله مصنّفات..».

* الشّيخ عليّ الكركيّ في إحدى إجازاته: «الشّيخ السّعيد، خليفةُ الشّيخ الإمام أبي جعفر محمّد بن الحسن الطّوسيّ بالبلاد الشّاميّة، عزّ الدّين، عبد العزيز بن نحرير بن البرّاج قدّس سرّه».

* المجلسيّ في (البحار) متحدّثاً عن كتاب (جواهر الفقه)

من مؤلفات الفقيه ابن البرّاج

للمترجَم له: «للشّيخ الحَسن المنهاج، عبد العزيز بن البرّاج، وكُتب الشّيخ الجليل ابن البرّاج كمؤلِّفها في غاية الاعتبار».

* الشّيخ أسد الله التّستريّ في (مقابس الأنوار): «الفاضل الكامل، المحقّق، المدقّق، الحائز للمفاخر والمكارم ومحاسن المراسم، الشّيخ سعد الدّين وعزّ المؤمنين، أبو القاسم عبد العزيز.. بن البرّاج الطّرابلسيّ الشّاميّ نوّر الله مرقده السّامي، وهو من تلامذة المرتضى، وكان خصيصاً بالشّيخ [الطّوسيّ]، وتتلمَذَ عليه، وصار خليفتَه في البلاد الشّاميّة، وروى عنه وعن الحلبيّ..».

* وقال المحدّث الشّيخ حسين النّوريّ في (خاتمة المستدرك): «الفقيه، العالم، الجليل، القاضي في طرابلس الشّام في مدّة عشرين سنة.. وهو المرادُ بالقاضي على الإطلاق في لسان الفقهاء..».

وفاته ومدفنه

نقل الشّيخ عبد الله أفندي الأصفهانيّ في (رياض العلماء) عن «بعض الفضلاء» أنّ القاضي ابنَ البرّاج تُوفّي ليلةَ الجمعة لتسعٍ خلونَ من شعبان، سنة إحدى وثمانين وأربعمائة، وقد نيّفَ على الثّمانين، ولم يَذكر مكانَ الدّفن، ولكنّ الشّيخ آغا بزرك الطّهرانيّ ينقلُ عن خطّ جدّ صاحب (المدارك)، عن خطّ الشّهيد [الأوّل]، أنّ عبد الجبّار بن عبد الله الرّازي - أحد أبرز تلاميذ ابن البرّاج - تُوفّي في طرابلس بعد شيخِه، ودُفن بحجرةِ القاضي، ممّا يفهمُ منه أنّه كان لابن البرّاج مقامٌ معروفٌ في طرابلس، درسَ وضاعَ في كوارث الأيّام الآتية.

أدبُ الجدال في أصول الدّين
مَن عَرف الحقَّ عَرفَ أهلَه

السّيّد عليّ الحسينيّ الميلانيّ*

أقرّت الأديانُ السّماويّةُ أُسلوبَ «الجدال»، واتّخَذَهُ الأنبياءُ السّابقون طريقاً مِن طُرُقِ الدَّعوة. وقد ورد في القرآن الكريم نماذج من ذلك كما سيأتي.

وأمّا نبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله، ففي الوقت الّذي أُرسِلَ، كما خاطبَه الله عزّ وجلّ في الآية المباركة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا﴾ الأحزاب:٤٥-٤٦، فقد حدّد له كيفيّةَ الدّعوة وأداتَها، بقوله له: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ..﴾ النحل:١٢٥، ثمّ أمَرَهُ بالجدال حين يكون هناك جدالٌ منهم، فقال بعد ذلك: ﴿..وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ..﴾ النحل:١٢٥.

وفي الجملة، فإنّ الوظيفة الأوّليّة هي البلاغ والدّعوة إلى سبيل الله، فإنْ كان هناك مَن تَنفعُه «الحكمة» فبِها، وإنْ كان من عموم النّاس فبالنّصيحة والموعظة الحسنة، فإنْ وجدَ في القوم مَن يريد الوقوفَ أمامَه أو التّغلُّبَ عليه، وَجَبَ عليه جدالُه.

ولعلّ المقصود - هنا - هم أهل الكتاب، كما في الآية الأُخرى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ..﴾ العنكبوت:٤٦.

وعلى ضوء ما تقدّم، فإنّ الجدال قد يكون حقّاً وقد يكون باطلاً، قال تعالى: ﴿..وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّۖ..﴾ الكهف:٥٦.

وهناك في القرآن الكريم موارد من تعليم الله سبحانه النّبيّ الكريم صلى الله عليه وآله طريقة الاستدلال؛ من ذلك:

١- ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ٧٨ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ٧٩ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ ٨٠ أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ يس:٧٨-٨١.

٢- ﴿قُلۡ إِن كَانَتۡ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةٗ مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ..﴾ البقرة:٩٤.

٣- ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا..﴾ المائدة:١٧.

٤- ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَ..﴾ المائدة:١٨.

٥- ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ ٢١ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا..﴾ الأنبياء:٢١-٢٢، إلى قوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ..﴾ الأنبياء:٢٤.

كما جاءت في القرآن الكريم مواردُ كثيرةٌ من مجادلات الأنبياء السّابقين واحتجاجاتِهم.

ففي قضايا النّبيّ إبراهيم على نبيّنا وآله وعليه السّلام، قال تعالى:

١- ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ البقرة:٢٥٨.

٢- وقال سبحانه وتعالى: ﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ٦٢ قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ٦٣ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٦٤ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾ الأنبياء:٦٢-٦٥.

وفي قضايا النّبيّ نوح على نبيّنا وآله وعليه السّلام، قال تعالى:

١- ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾ هود:٢٨.

٢- وأيضاً قولُه عزّ وجلّ: ﴿قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا..﴾ هود:٣٢.

وهكذا في قضايا سائر الأنبياء، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

* من كتابه (أدب الحوار في أصول الدّين)

من وصايا العارف آية اللّه الهمدانيّ

أهمُّ الأشياء لطالبِ القُرب، الجِدُّ في ترك المعصية*

الفقيه العارف الشّيخ حسين قلي الهمدانيّ قدس سره

الفقيهُ المتألِّه، جمالُ السّالكين، الشّيخ حسين قُلي (عبد الحسين) الهمدانيّ المتوفّى سنة ١٣١١ للهجرة، «من أجلّاء تلاميذ العلّامة الأنصاري [صاحب المكاسب والفرائد]، وكتبَ من تقرير بحثه في الفقه والأصول كثيراً، وكان يدرّس فيها تلاميذه..»، كما في (الذّريعة) للشّيخ الطّهرانيّ.
تخرّج على يدَيه جمعٌ غفيرٌ من الفقهاء والعرفاء، منهم: الميرزا جواد الملَكي التّبريزيّ، والسّيّد مهدي الحكيم، والد المرجع السّيّد محسن الحكيم، والشّيخ موسى شرارة العامليّ.

بسم الله الرّحمن الرّحيم، الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصّلاة والسّلام على محمّدٍ وآله الطّاهرين، ولعنةُ الله على أعدائهم أجمعين.

لا يَخفى على الإخوة في الدِّين أنَّه لا طريقَ إلى القُرب من حضرة مِلك الملوك جلَّ جلالُه غير الالتزام بالشَّرع الشَّريف في جميع الأقوال والأفعال.

ولا يخفى أنّ السَّير بالخرافات الذّوقيّة – وإنْ كان الذَّوقُ في غير هذا المقام جيّداً – كما هو دَأْبُ الجُهّال والصّوفيّة – خذلَهم اللهُ جلَّ جلالُه – لا يوجبُ إلّا بُعداً، حتّى أنَّ الرّجل إذا التزمَ بالمُداومة على المكروهات – فإنَّ عليه أن يفهمَ إذا كان مؤمناً بعصمة الأئمّة الأطهار صلوات الله عليهم – أنَّه سيَبتعد عن حضرة الأحديّة. وهكذا في كيفيّة الذِّكر بغير ما ورد عن السّادات المعصومين عليهم السّلام.

بناءً على هذا، يجب أن يقدَّمَ الشّرعُ الشّريف، ويهتمَّ بكلِّ ما وردَ الاهتمامُ به فيه. **وما استفدتُه – أنا الضّعيف – من العقل والنّقل هو أنَّ أهمّ الأشياء لطالبِ القُربِ، الجدُّ والسّعيُ التّامُّ في ترك المعصية.**

وما لم تؤدِّ هذا الواجب فلا ذكرُك ينفعُ حالَ قلبك، ولا فكرُك، لأنَّ خدمةَ السّلطان من مُنكِرٍ له عاصٍ إيّاه لا تنفع، ولستُ أدري أيّ سلطانٍ أعظم من هذا السّلطان عظيمِ الشّأن، وأيّ نزاعٍ أقبح من النّزاعِ معه.

فافهَم ممّا ذكرتُ: أنَّ طلبَك المحبّة الإلهيّة مع كونِكَ مرتكباً للمعصية أمرٌ فاسدٌ جدّاً، وكيف يخفى عليك كون المعصية سبباً للنّفرة، وكون النّفرة مانعةَ المحبّة، وإذا تحقَّق عندك أنَّ تركَ المعصية أوّلُ الدِّين وآخرُه، ظاهرُه وباطنُه، فبادِر إلى المجاهدة، واشتَغِل بتمام الجدِّ في المراقبة من أوّل قيامك من نومك، وفي جميع آناتك، والزَمِ الأدبَ في مقدّس حضرته، واعلَم أنّك بجميع أجزاء وجودك – ذرّةً ذرّة – أسيرُ قدرتِه. وراعِ حُرمةَ شريف حضوره، واعبُدْهُ كأنّك تراه، فإنْ لم تكُن تراه فإنّه يراك، والتَفِت دائماً إلى عَظَمتِه وحقارتِك، ورِفعتِه ودَناءتِك، وعزّتِه وذِلّتِك، وغِناهُ وحاجتِك، ولا تغفل عن شناعة غفلتك عنه جلَّ جلالُه، مع التفاتِه إليك دائماً، وقُمْ بين يديه مقامَ العبد الذّليل الضّعيف، وبَصْبِصْ تحت قدمَيه بَصْبَصَةَ الكلبِ النّحيف، أَوَلا يكفيكَ شرفاً وفخراً أنَّه أَذِنَ لك بذكرِ اسمِه العظيم بلسانك الملوَّث، الّذي نَجَّستْهُ قاذوراتُ المعاصي؟

فيا أيُّها العزيز، لأنَّ هذا الكريم الرّحيم جعلَ لسانَك مخزن جبل النُّور، أعني ذِكرَ الاسمِ الشّريف، فمِن قلّة الحياء تلويثُ مخزنِ السُّلطان بنجاساتِ الغِيبة، والكذبِ، والفُحْشِ، والأذيّة وقاذوراتِها. يجب أن يكون محلُّ مخزن السّلطان مليئاً بالعطر وماء الورد، لا مملوءاً بالقاذورات.

ولا شكَّ في أنَّك إذا لم تكن دقيقاً في المراقبة، فإنّك لنْ تعلمَ أيّ معاصٍ ترتكبُها بجوارحك السّبعة (الأُذن، واللّسان، والعَين، واليَد، والرِّجل، والبَطن، والفرْج) وأيّ نيرانٍ تُضرمها، وأيَّ فسادٍ تُلحقُه بدِينِكَ، وأيّ جراحاتٍ مُنكَرة تُثْخِنُ بها قلبَك بِسَيف

---

* مختصَر عن وصيّة أخلاقيّة وجّهها الشّيخ الهمدانيّ لبعض إخوانه، نقلاً عن كتاب (تذكرة المتّقين) للشّيخ البهاري، ترجمة الشّيخ حسين كوراني.

لسانِك وسنانه؛ وإذا لم تكُن قد قتلتَه، فذلك جيّدٌ جداً. إذاً، فَالبَدار البدار إلى التّوبة الصّادقة، ثمَّ العَجل العَجل في الجدِّ والمراقبة.

والخلاصة، يتوجّبُ على طالب القُرب، بعد السَّعي في المراقبة:

١- قيامُ السَّحَر، لا أقلَ من ساعة أو ساعتَين قبل طلوع الفجر وإلى شروق الشّمس، وليُصَلِّ صلاة اللّيل مع الآداب وحضور القلب.

٢- وإذا زادَ وقتُه فليَشتغل بالذِّكر، أو الفِكْر، أو المناجاة، لكن يجبُ أن ينشغلَ مقداراً معيناً من اللّيل بالذِّكر بحضور قلبٍ.

٣- ولا يخلو في جميع حالاته من الحزن، وإذا لم يكن لديه فليُحَصِّله بأسبابه.

٤- وبعد الفراغ، فليشتغل بتسبيح سيّدة النّساء عليها السّلام.

٥- وليَقرأ سورة (التّوحيد) اثنتَي عشرة مرّة.

٦- وعشر مرّات «**لا إلهَ إلّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شريكَ له، له المُلْكُ ولَهُ الحمدُ، يُحيِي ويُميتُ، ويُمِيتُ ويُحيِي، وهو حيٌّ لا يَموتُ، بيدِهِ الخَير وَهو عَلى كلِّ شيءٍ قديرٌ**».

٧- ومائة مرّة «**لا إلهَ إلّا الله**».

٨- والاستغفار سبعين مرّة.

٩- وليَتلُ قدراً من القرآن الشّريف.

١٠- وليقرأ طبعاً دعاء الصّباح المعروف، أعني: «**يا مَن دَلَعَ لسانَ الصَّباح..**».

١١- وأنْ يكون دائماً على وضوءٍ.

١٢- وإذا صلّى بعد كلِّ وضوءٍ ركعتَين، فذلك جيّدٌ جدّاً.

١٣- وَلْيَلتفت كثيراً أنْ لا يَصِلَ أذاهُ إلى غيره بأيِّ وجهٍ من الوجوه.

١٤- وَلْيَسعَ سعياً بليغاً في قضاء حوائج المسلمين، لا سيّما العلماء، ولا سيّما أتقيائهم.

١٥- وَلْيَجتَنب طبعاً، طبعاً، طبعاً، كلَّ مجلسٍ هو مَظَنَّةُ الوقوع في المعصية.

١٦- بل إنّ مجالسة أهل الغفلة – دونما ضرورة – مُضِرَّةٌ، حتّى إذا كانت خاليةً من المعصية.

١٧- كثرةُ الاشتغال بالمباحات، والإكثارُ من المزاح، وقولُ اللّغو، والاستماع إلى الأراجيف تُميتُ القلبَ.

١٨- وإذا انشغلَ الإنسانُ بالذِّكر والفِكْر بدون مراقبة، فسيكون ذلك بلا فائدة.

١٩-لا يصحُّ الانخداع بخديعة التّوجُّه (الخشوع) النّاشئ من الذِّكر غير المُقْتَرِن بالمراقبة.

٢٠- وليَقرأ طالبُ القُربِ سورة (القدر) ليلة الجمعة مائة مرّة.

٢١- وعصرَ الجمعة مائة مرّة.

٢٢- ومن جملة الأبواب العظيمة الحبُّ في اللهِ جلَّ جلالُه، والبُغضُ في الله جلَّ جلالُه. وقد عُقِدَ له في (الوسائل) وغيرها من كُتُب الأخبار بابٌ مستقلٌّ، فارجِع إليها لعلَّك تعرف عظمتَه، وتأخذ لنفسك نصيباً منه. لا شكَّ في أنَّ المحبوبَ الأوّل هو الذّات الأقدس الكبريائيّة جلَّ جلالُه، ثمّ بعده الوجودُ المقدّس، خاتمُ الأنبياء صلوات الله عليه وآله، ثمّ بعده أميرُ المؤمنين عليه السّلام، ثمّ الأئمّةُ المعصومون عليهم السّلام، ثمّ الأنبياءُ والملائكةُ، ثمّ الأوصياءُ، ثمّ العلماءُ والأولياءُ.

وليُرجِّح طالبُ القُرب حبَّ الأتقياء في زمانه – لا سيّما إذا كان التّقيُّ عالماً – على حبِّ الّذين بعده في الدّرجة، وهكذا يتنزّل؛ ولكنْ ليَسعَ أن يكون صادقاً في هذه المحبّة، وليست هذه مرتبةً سهلة، إذا فكّرْتَ فيها ستَفهم أنّه إذا ظهَرت آثارُ المحبّة في الحركات والسَّكَنات، فإنّ الشّخصَ المُدَّعيَ لهذه المحبّة صادقٌ، وإلّا فلا.

الحاصل، لا طريق إلى القُربِ إلّا بشرعٍ شريفٍ في كلِّ كليٍّ وجزئيٍّ.

أَوَلا يكفينا شرفاً وفخراً أنّه تعالى أَذِنَ لنا بذكرِ اسمِه العظيمِ بأَلسِنَتِنا المُلوَّثةِ بنَجاساتِ الغِيبة، والكَذِبِ، والفُحْش؟

مجالسةُ أهلِ الغفلة، دونما ضرورة، مُضِرَّةٌ، حتّى إذا كانت خاليةً من المعصية.

حزبُ اللّه ذخرٌ استراتيجيٌّ للأمّة
نموذج الاعتقاد النّظريّ، والتّطبيق العمليّ

د. فايز رشيد

«لو لم يكُن حزبُ الله موجوداً، لكان على لبنان والأمّة العربيّة برُمّتها إنشاء هذا الحزب الّذي لا يزال يتعرّض لحملة شرسة، واتّهامات تحريضيّة. ما يجري هو شَتمٌ من أجل الشّتم، وبعيدٌ كلَّ البُعد عن الحقيقة والموضوعيّة، ويتمُّ بطريقة تنمُّ عن الحقد، أكثر منها انتقاداً لموقف».

النّص التّالي، مختصَر مقال الباحث الفلسطينيّ الدّكتور فايز رشيد، نقلاً عن جريدة «القدس العربيّ»، حزيران ٢٠١٣.

مستفيداً من أخطاء حركة المقاومة الفلسطينيّة، انطلق حزبُ الله متبنِّياً مقاومة العدوّ الصّهيونيّ، والرّدّ على اعتداءاته، ومساعدة المقاومة الفلسطينيّة، وتبنِّي استراتيجيّة تصبُّ في مجرى تحرير فلسطين.

أثناء الاعتداء الصّهيونيّ على لبنان، وعندما كان يحتاج مقاتلوه إلى اللّجوءَ إلى أحد المنازل، كان أولئك يتركون رسالةً إلى أهل ذلك البيت، يتأسَّفون فيها لاضطرارهم الدّخول إليه من دونِ إذنٍ، تاركين عليها رقم هاتف للاتّصال به من أجل التّعويض على أصحابه، إذْ اضطرُّوا لاستعمال بعض تموينه. بعد الدّمار الهائل لمنازل كثيرةٍ في الجنوب والضّاحية الجنوبيّة في بيروت، الّتي بدت وكأنّها مدمَّرة مثل مدينة لينغراد السّوفياتيّة، وقف الحزب ليساهم في إعمار ما جرى تدميره، إلى أن عاد كلُّ شيءٍ بأفضل ممّا كان عليه.

لقد وصل حزب اللّه إلى حالة توازنٍ في الرّدع مع العدوّ الصّهيونيّ، الّذي لولا خشيتُه من صواريخ المقاومة، لقامَ بِحَرثِ لبنان من شماله إلى جنوبه.

نقول: إنَّ حزبَ الله هو ذخرٌ استراتيجيٌّ ليس للبنان وحده، وإنّما للأمّة العربيّة بكاملها، ليس لِكونِه أحرَز انتصارَين على العدوّ الصّهيونيّ في عامَي ٢٠٠٠م و٢٠٠٦م، وإنّما أيضاً لأنّه قام بضربِ العديد من الأهداف الصّهيونيّة أثناء الحرب؛ الحزبُ سَنَدٌ استراتيجيٌّ للعرب والمسلمين للأسباب التّالية:

أوّلاً: إنّه كسر مبدأً صهيونيّاً، «في نقل المعركة إلى أرض العدوّ»، ولأوّلِ مرّة يُضطرُّ «الإسرائيليّون» إلى الهجرة من شمال فلسطين المحتلّة عام ١٩٤٨م، إلى مناطق أخرى فيها، هرباً من صواريخ حزب الله، الّتي رأوها بأمّهات أعينهم وهي تتساقط على المواقع «الإسرائيليّة». هذا الأمر ليس بسيطاً في حسابات الحروب، «إسرائيل» لا تحتمل الحـرب عندما تصل إليها، لذلك سارعت إلى طلب وقف إطلاق النّار في عام ٢٠٠٦م، بعد أن كان هدفها القضاء على حزب الله وسلاحه. والّذي حصل هو العكس؛ فقد هُزمت «إسرائيل»، وتشكّلت لجنة للتّحقيق في أسباب الإخفاق «الإسرائيليّ». تكرَّر الطّلب «الإسرائيليّ» بوقف إطلاق النّار حين العدوان الأخير على قطاع غزّة، بعد أن وصلت الصّواريخ الفلسطينيّة إلى القدس، وتل أبيب. هذه الصّواريخ لم تكن لتمتلكها المقاومة الفلسطينيّة لولا وجود

حزب الله، ولولا وجود إيران الّتي أمدّت المقاومة الفلسطينيّة بهذه الأسلحة. حركة حماس تمدّدت في سورية، ولم يعطِ النّظام السّوريّ أيّ تنظيمٍ فلسطينيٍّ آخَر، من حريّة التّحرّك، مثلما أعطى لحركة حماس.

ثانياً: لقد وصل الحزب إلى حالة توازنٍ في الرّدع مع العدوّ الصّهيونيّ، الّذي لولا خشيته من صواريخ حزب الله، لقامَ بِحَرثِ لبنان من شماله إلى جنوبه، ولاستمرّ الجَيب الانعزاليّ في جنوب لبنان، الّذي خطّطت «إسرائيل» لإقامته بُعيد إنشائها، في استراتيجيّتها الدّفاعيّة عمّا تُسمّيه حدودها. إنّها المرّة الأولى الّتي تصلُ فيها حركةُ مقاومةٍ عربيّةٍ إلى مرحلة توازن الرّدع (أو الرّعب) مع الكيان الصّهيونيّ.

ثالثاً: حدّد الحزبُ استراتيجيّةً واضحةً في رؤية المشروع الصّهيونيّ في فلسطين والمنطقة، من خلال، رفض السّلام مع «إسرائيل»، وأنّ الحلَّ الاستراتيجيّ يتمثّل في تدمير مشروعها الصّهيونيّ، واجتثاثها من عموم الأرض العربيّة، وبذلك خرج الحزب من نطاقه اللّبنانيّ إلى إطاره العربيّ الواسع، ولم يتراجع عن أيٍّ من مبادئه الاستراتيجيّة، بل مع مرور الزّمن يعزّز هذه المبادئ بالمزيد من الحقائق واسعة الأفق، الّتي تُقيّم المشروع الصّهيونيّ ليس باعتباره خطراً على الفلسطينيّين فحسب، وإنّما على الأمّة العربيّة من المحيط إلى الخليج، وعلى الإنسانيّة جمعاء.

رابعاً: استطاع الحزبُ، وبوضوحٍ شديدٍ، المزجَ بين توجُّهه الدّينيّ وبين العروبة، الأمر الّذي يشكّل نواةً جاذبةً لكلّ القوى الوطنيّة والقوميّة العربيّة، والوطنيّة الإسلاميّة، في نضالٍ جَمعيٍّ مُشترَكٍ لإفشال المشروع الصّهيونيّ في المنطقة، والتّصدّي لكافّة المشاريع الأخرى، أميركيّةً كانت أو غربيّةً.

خامساً: استطاع الحزبُ أن يعيدَ إلى الأذهان حقيقةَ موقفِ الدِّين الإسلاميّ من قتال الأعداء، والاستعداد لهم، وليس الدِّين الّذي يحوِّره البعض بقصد استغلاله لأهدافٍ سياسيّة، كما سوّغ العديدُ من الفقهاء لأنور السّادات عقدَه للصّلح مع الكيان الصّهيونيّ، في اتّفاقيّة العار في «كمب ديفيد». بهذا شكّل الحزبُ خطّاً دينيّاً، وطنيّاً، قوميّاً بين اتّجاهاتٍ دينيّةٍ عديدةٍ موجودةٍ فـــي هذه المرحلة: السّلَفيّة الّتي ترى القتال في البلدان العربيّة أهمّ من القتال ضدّ «إسرائيل»! والاتّجاه المُتصالِح مع الوجود «الإسرائيليّ»، بعد تسلُّمه للحكم في بعض البلدان العربيّة، وكانوا إبّان وجودهم في صفوف المعارضة ينظِّرُون لتحرير فلسطين، من دون أن يطلقوا طلقةً واحدةً باتّجاه «إسرائيل»، والاتّجاه الّذي يرى أهمّيّة تحرير العالم العربيّ وإقامة الخلافة الإسلاميّة قبل تحرير فلسطين، والاتّجاه الّذي لا يعتبر قضيّةَ فلسطين بنداً مركزيّاً استراتيجيّاً في منطلقاته الأيديولوجيّة.

سادساً: زاوَجَ الحزبُ بين الاعتقاد النّظريّ والتّجربة العمليّة، فلم يُبْقِ قتالَ العدوّ الصّهيونيّ قضيّةً نظريّةً؛ فكم وقف الحزبُ في سنوات عمره القليلة وخاض معارك قتاليّة مع القوّات «الإسرائيليّة» الغازِيَة، كما يعلنُ استعدادَه الكامل للمزيد من قتال «الإسرائيليّين»، إذا ما قاموا بالاعتداء على لبنان.

سابعاً: ساهمَ الحزبُ وبفاعليّةٍ كبيرة، وما زال يساهم، في مساندةِ الفصائل المقاتلة الفلسطينيّة بكلِّ أشكال الدَّعم.

ثامناً: مارسَ الحزبُ الصِّدقَ التّامّ في أدبيّاته، فلم يَسبق له أنْ أطعمَ نفسَه بطولاتٍ لم يمارسها، ولم يُخلِف ما كان يَعِد به.

لكلِّ ذلك، فإنّه وفقاً لإحصائيّاتٍ «إسرائيليّةٍ» كثيرة: فإنَّ غالبيّة «الإسرائيليّين» يصدِّقون ما يقوله الحزب في بياناته، خاصّةً ما يقولُه أمينُه العامّ في خطاباته العديدة حول الصّراع العربيّ - الصّهيونيّ، وما يتعلّق بحقيقة المعارك الّتي خاضها الحزب في مواجهة أشكالِ العدوان «الإسرائيليّ».

بالنّسبة إلى الموقف من الصّراع في سوريا، وقف الحزبُ، وما يزال، دفاعاً عن حليفِه الاستراتيجيّ في مثلّث المُمانَعة والمقاومة، بعد اتّضاح حقيقة المؤامرة الدّوليّة ضدّ سوريا. لم يدخل الحزب المعركة القائمة بين النّظام والقوى التّكفيريّة السّلفيّة إلّا بعد مرور سنتَين من القتال، وبعد اتّضاح تدخُّل العديد من الجنسيّات من خلال المسلَّحين ضدّ النّظام السّوريّ. الحزب يمارس قناعاته على هذا الصّعيد، وينفِّذها بالإعلان عنها وبوضوحٍ تامٍّ، ولم يفعل ذلك سرّاً ومن تحت الطّاولة.

أخيراً، وأمام اتّضاح حقيقة المواقف «الإسرائيليّة» المتمثّلة في رفض حلّ الدّولتَين، ومن خلال الإعلان عن العمل لتحقيق شعار «يهوديّة الدّولة»، والإعلان بين الفَينة والأخرى من قِبَل أحزابٍ «إسرائيليّة» عديدة، بأنَّ الأردنّ هو«الوطن البديل للفلسطينيّين»، فإنّ استراتيجيّة حزب الله تجاه «إسرائيل» هي الاستراتيجيّة السّليمة والصّحيحة في الصّراع العربيّ - الصّهيونيّ. بهذا المعنى، يشكّل حزب الله ذُخراً استراتيجيّاً للأمّة العربيّة.

الوهّابيّة تتعبّد بآراء عترةِ مؤسِّسها

آل الشّيخ هم «الصّراطُ المستقيم»!!

إعداد: «شعائر»

غلاف كتاب (الدُّرَر السَّنيّة)

كتاب (الدُّرر السّنيّة في الأجوبة النّجديّة) عملٌ توثيقيّ، في ستّة عشر مجلّداً، من إعداد الشّيخ عبد الرّحمن بن محمّد القحطانيّ المتوفّى سنة ١٩٧٢م، ويتضمّن «مجموعة رسائل ومسائل علماء نجد الأعلام من عصر الشّيخ محمّد بن عبد الوهّاب إلى عصرنا هذا»، كما جاء في عنوانه الفرعيّ.

ورد في الجزء الرّابع عشر من هذا الكتاب (ص: ٣٧٣-٣٧٦، الطّبعة الأولى، ١٤٢٠ للهجرة)، نصّ رسالة وجّهها سنة ١٩٢٠م جمعٌ من مشايخ «آل الشّيخ»، وهم سلالة محمّد بن عبد الوهّاب مؤسّس المذهب الوهّابيّ، إلى علماء نجد، وبعثوا بنسخةٍ منها أيضاً إلى الملك عبد العزيز آل سعود.

الدّاعي إلى توجيه هذه الرّسالة، هو أنّ جماعةً من علماء الحجاز تجرّأوا على نشر آراء ومعتقدات تخالف عقيدة الوهّابيّة، فجاءهم التّحذير من ذراري ابن عبد الوهّاب تحت عنوان سدّ باب الاختلاف بين النّاس، امتثالاً لأمر الشّريعة، ولأنّه شرٌّ وفتنةٌ وفسادٌ.

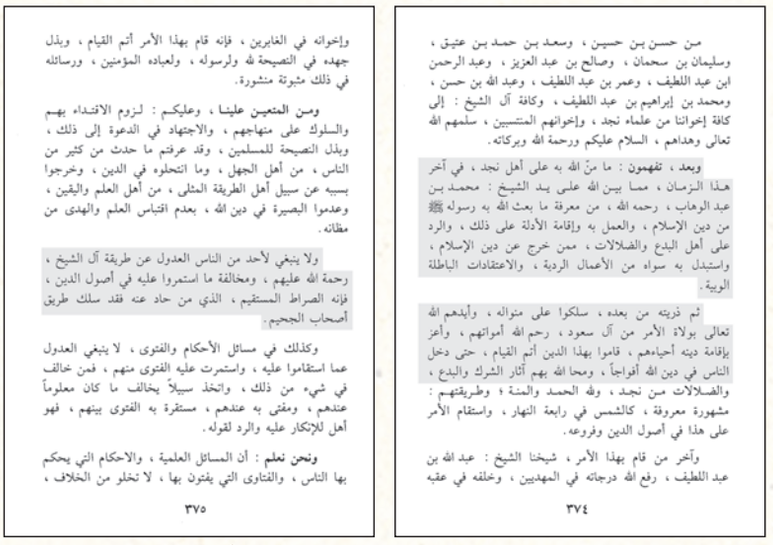
من حسن بن حسين، وسعد بن حمد بن عتيق، وسليمان بن سحمان، وصالح بن عبد العزيز، وعبد الرحمن ابن عبد اللطيف، وعمر بن عبد اللطيف، وعبد الله بن حسن، ومحمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف، وكافة آل الشيخ: إلى كافة إخواننا من علماء نجد، وإخوانهم المنتسبين، سلمهم الله تعالى وهداهم، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد، تفهمون: ما منّ الله به على أهل نجد، في آخر هذا الزمان، مما بين الله على يد الشيخ: محمد بن عبد الوهاب، رحمه الله، من معرفة ما بعث الله به رسوله ﷺ من دين الإسلام، والعمل به وإقامة الأدلة على ذلك، والرد على أهل البدع والضلالات، ممن خرج عن دين الإسلام، واستبدل به سواه من الأعمال الردية، والاعتقادات الباطلة الوبية.

ثم ذريته من بعده، سلكوا على منواله، وأيدهم الله تعالى بولاة الأمر من آل سعود، رحم الله أمواتهم، وأعز بإقامة دينه أحياءهم، قاموا بهذا الدين أتم القيام، حتى دخل الناس في دين الله أفواجاً، ومحا الله بهم آثار الشرك والبدع، والضلالات من نجد، ولله الحمد والمنة؛ وطريقتهم: مشهورة معروفة، كالشمس في رابعة النهار، واستقام الأمر على هذا في أصول الدين وفروعه.

وآخر من قام بهذا الأمر، شيخنا الشيخ: عبد الله بن عبد اللطيف، رفع الله درجاته في المهديين، وخلفه في عقبه

٣٧٤

وإخوانه في الغابرين، فإنه قام بهذا الأمر أتم القيام، وبذل جهده في النصيحة لله ولرسوله، ولعباده المؤمنين، ورسائله في ذلك مثبوتة منشورة.

ومن المتعين علينا، وعليكم: لزوم الاقتداء بهم والسلوك على منهاجهم، والاجتهاد في الدعوة إلى ذلك، وبذل النصيحة للمسلمين، وقد عرفتم ما حدث من كثير من الناس، من أهل الجهل، وما انتحلوه في الدين، وخرجوا بسببه عن سبيل أهل الطريقة المثلى، من أهل العلم واليقين، وعدموا البصيرة في دين الله، بعدم اقتباس العلم والهدى من مظانه.

ولا ينبغي لأحد من الناس العدول عن طريقة آل الشيخ، رحمة الله عليهم، ومخالفة ما استمروا عليه في أصول الدين، فإنه الصراط المستقيم، الذي من حاد عنه فقد سلك طريق أصحاب الجحيم.

وكذلك في مسائل الأحكام والفتوى، لا ينبغي العدول عما استقاموا عليه، واستمرت عليه الفتوى منهم، فمن خالف في شيء من ذلك، واتخذ سبيلاً يخالف ما كان معلوماً عندهم، ومفتى به عندهم، مستقرة به الفتوى بينهم، فهو أهل للإنكار عليه والرد لقوله.

ونحن نعلم: أن المسائل العلمية، والأحكام التي يحكم بها الناس، والفتاوى التي يفتون بها، لا تخلو من الخلاف،

٣٧٥

من متن الرّسالة كما وردت في كتاب (الدّرَر السَّنيّة)

وإليك بعض فقرات هذه الرّسالة:

١- «ولا ينبغي لأحدٍ من النّاس العدولُ عن طريقة آل الشّيخ رحمة الله عليهم، ومخالفة ما استمرُّوا عليه في أصول الدِّين، فإنّه الصّراطُ المستقيم، الّذي مَن حادَ عنه فقد سَلَكَ طريقَ أصحاب الجحيم».

٢- «.. تفهمون ما مَنَّ اللهُ به على أهل نجد في آخر هذا الزّمان، ممّا بيّنَ على يد الشّيخ محمّد بن عبد الوهّاب، ﷺ من معرفة ما بعث اللهُ به رسوله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم من دين الإسلام... ثمّ ذرّيته من بعده، سلَكوا على منواله، وأيّدهم الله تعالى بولاة الأمر من آل سعود ... واستقام الأمر على هذا، في أصول الدّين وفروعه..».

٣- «..ومن المتعيّن علينا، وعليكم: لزومُ الاقتداء بهم، والسّلوك على منهاجهم، والاجتهاد في الدّعوة إلى ذلك، وبذل النّصيحة للمُسلمين..».

وقد وقّع على هذه الرّسالة المشايخ التّالية أسماؤهم: حسن بن حسين، وسعد بن حمد بن عتيق، وسليمان بن سحمان، وصالح بن عبد العزيز، وعبد الرّحمن بن عبد اللّطيف، وعمر بن عبد اللّطيف، وعبد الله بن حسن، ومحمّد بن إبراهيم بن عبد اللّطيف، وكافّة آل الشّيخ.

بدوره عقّبَ الملك عبد العزيز – يصفُه في الكتاب بالإمام – على رسالة آل الشّيخ، برسالة وجّهها إلى «علماء المسلمين»، قال فيها صراحةً: «.. **فمَن أفتى أو تكلّم بكلامٍ مخالفٍ لما عليه الشّيخ محمّد بن عبد الوهّاب وأولاده... فهو متعرّضٌ للخطر في دينه ودنياه..**» وقال أيضاً إنّ مَن يعترض على آل الشّيخ: «.. **فذمّتنا وذمّة المسلمين بريئةٌ منه، ويكون معلوماً عنده أنّه على خطر..**».

صورة رسالة عبد العزيز سعود

[انظر: عبد العزيز التّويجري؛ (لُسراة اللّيل هتف الصّباح: الملك عبد العزيز: دراسة وثائقيّة)؛ تقديم محمّد حسنين هيكل؛ رياض الرّيّس للكتب والنّشر؛ الطّبعة الأولى؛ بيروت ١٩٩٧م؛ ص ٥٢٠ – ٥٢٣. وقد عمد التّويجري إلى تعديل بعض عبارات عبد العزيز، من قبيل استبدال عبارة «مهوب خافي» بـ «ليس خافياً»..]

دوائر ثقافية

موقف	«..لَوفاؤكم له بعد موتِهِ أعجبُ»	الشّيخ علي ميانجي
فرائد	«..فأقرِئهُ منّي السّلام»	إعداد: «شعائر»
قراءة في كتاب	«كنز الفوائد» للفقيه الكراجكي الطرابلسي	قراءة: سلام ياسين
بصائر	الاستعاذة بالله تعالى	الشّيخ محمّد علي الأنصاري
مصطلحات	العقل	الشّيخ حسن المصطفوي
مصطلحات	الاستبداد	إعداد: «شعائر»
مفكّرة	حكم ولغة / تاريخ وبلدان/ شعر	إعداد: جمال برو
إصدارات	عربية. أجنبية. دوريات	إعداد: ياسر حمادة

«..لَوفاؤكم له بعدَ موته أعجَبُ»

موقف الزّرقاء بنت عديّ أمام معاوية

الشّيخ علي أحمدي ميانجي

يحفل كتاب (مواقف الشّيعة) للشّيخ علي أحمدي ميانجي بوقفات موالين لأهل البيت، عليهم السّلام، من علماء وفقهاء وأُدباء وغيرهم بوجه المعاندين وسلاطين الجور، في مختلف العصور.

النّصّ الآتي، موقف الزّرقاء بنت عديّ الهمدانيّة أمام معاوية بن أبي سفيان، وقد تمّ ضبطُه على مصادر أُخَر، منها (تاريخ دمشق) لابن عساكر، و(بلاغات النّساء) لابن طيفور.

..عن الشّعبي، قال: حدَّثني جماعةٌ من بني أميّة مِمَّن كان يَسمرُ مع معاوية، قالوا:

بينما معاوية ذات ليلةٍ مع عمرو وسعيد، ابنَي العاص، وعُتْبة بن أبي سفيان، والوليد بن عُقبة، إذ ذكروا الزّرقاءَ بنت عديّ بن غالب بن قيس الهمدانيّة [امرأة من أهل الكوفة] وكانت شَهِدَتْ مع قومها صفِّين.

فقال معاوية: أيُّكم يحفظُ كلامَها؟

قال بعضُهم: نحن نحفظُه. قال: فأشيروا عليَّ في أمرها، فقال بعضُهم: نُشيرُ عليك بقتلها، قال: بِئْسَ الرّأيُ أشرتُم به عليّ! أيَحسنُ بمثلي أن يُتَحَدَّثَ عنه أنّه قتلَ امرأةً بعدما ظفرَ بها؟

فكتب معاوية إلى عامله بالكوفة أن يوفدَها إليه مع ثقةٍ من ذوي محارمها وعدَّةٍ من فرسان قومها، وأنْ يمهِّدَ لها وطاءً ليِّناً، ويَسترها بسترٍ حصيف [محكَم النَّسج]، ويُوسع لها في النّفقة.

فأرسل عاملُ الكوفة إليها فأقرأَها الكتاب. فقالت: إن كان [معاوية] جعلَ الخيار إليَّ فإنِّي لا آتيه، وإنْ كان حَتْمٌ، فالطَّاعةُ أَوْلى.

فحمَلَها وأَحسَن جهازها على ما أُمِرَ به، فلمّا دَخلت على معاوية، قال لها: مرحباً وأهلاً! قَدِمْتِ خيرَ مقدمٍ قَدِمَهُ وافدٌ، كيف حالكِ؟ قالت: بخير "..." أدامَ اللهُ لكَ النّعمة. قال: كيف كنتِ في مسيرك؟ قالت: ربيبةَ بيتٍ أو طفلاً ممهَّداً. قال: بذلك أمرناهم، أتدرينَ فيمَ بعثتُ إليك؟

قالت: أنَّى لي بعلمِ ما لم أعلم؟ قال: ألستِ الرّاكبةَ الجملَ الأحمر، والواقفةَ بين الصَّفَّين يومَ صِفِّين، تحضِّين على القتال وتُوقدين الحرب؟ فما حَمَلَكِ على ذلك؟

قالت: يا [معاوية]، ماتَ الرَّأسُ وبُتِرَ الذَّنَب، ولم يَعُد ما ذهب، والدَّهرُ ذو غِيَرٍ، ومَن تفكَّر أبصر، والأمرُ يَحدثُ بعدَه الأمرُ.

قال لها معاوية: صدقتِ، أتحفظينَ كلامَك يوم صفين؟ قالت: لا والله! لا أحفظُه، ولقد أُنسيتُه. قال: لكنّي أحفظُه، للهِ أبوك! حين تقولين:

أيُّها النّاس! ارعَوُوا وارجعوا، إنَّكم قد أصبحتم في فتنةٍ غشَّتكُم جلابيبَ الظُّلَم، وجارَت بكُم عن قصدِ المحجّة، فيا لها من فتنةٍ عمياء صمَّاء بكماء، لا تَسمعُ لِناعِقها ولا تَنساقُ لِقائدها.

إنَّ المصباحَ لا يُضيءُ في الشّمس، ولا تنيرُ الكواكبُ مع القمر، ولا يقطعُ الحديدَ إلّا الحديدُ، ألا مَنِ استَرشَدَنا أرشدناه، ومَن سَألَنا أخبرناه. أيُّها النّاس! إنّ الحقَّ كان يطلبُ ضالَّتَه فأصابها، فصبراً يا معشرَ المهاجرين والأنصار على الغُصَصِ، فكأنْ قد اندملَ شعبُ الشّتات، والتَأَمَت كلمةُ العدل، ودمغ الحقُّ باطلَه، فلا يجهلنّ أحد، فيقول: كيف العدلُ وأنَّى؟ لِيقضيَ اللهُ أمراً كان مفعولاً، ألا وإنَّ خضابَ النِّساء الحنَّاء، وخضابَ الرِّجال الدِّماء، ولهذا اليوم ما بعدَه، والصَّبرُ خيرٌ في الأمور عواقباً، إيهاً في الحرب قُدماً غيرَ ناكصين ولا متشاكسين.

ثمّ قال لها: والله يا زرقاء! لقد شَرِكْتِ علياً في كلِّ دمٍ سفكَه.

قالت: أحسنَ اللهُ بشارَتَك وأدامَ سلامتَك! فمثلُك بَشَّر بِخَيرٍ وسرَّ جليسه.

قال لها: أوَيَسُرُّك ذلك؟ قالت: نعم والله لقد سُرِرْتُ بالخبر، فأنَّى لي بتصديقِ الفعل؟

فضحك معاوية، وقال: واللهِ، لَوفاؤكم له بعدَ موتِه أعجبُ من حبِّكم له في حياته!

فرائد

إخبارُ رسول الله ﷺ عن شهادة نفسه والأئمّة عليهم السلام

قال النّبيّ ﷺ: «..أيُّها النّاس، إذا أنا استُشْهِدْتُ فعَلِيٌّ أوْلَى بِكُم مِن أنْفُسِكُم، فَإذا اسْتُشْهِدَ عليٌّ، فَابني الحَسنُ أَوْلَى بِالمؤمنينَ منهُم بِأَنْفُسِهِم، فَإذا اسْتُشْهِدَ ابنِي الحَسن، فابني الحُسَينُ أَوْلَى بِالمُؤمنينَ منهُم بِأَنْفُسِهِم، فَإذا اسْتُشْهِدَ ابني الحُسَين، فَابني عليُّ بن الحُسين أَوْلَى بِالمؤمنينَ منهُم بِأَنْفُسِهِم، ليسَ لَهُم معهُ أمرٌ.

ثمّ أقبل على عليٍّ عليه السّلام، فقال: يا عليّ، إنّك سَتُدْرِكُهُ، فَأَقْرِئهُ منّي السّلامَ. فإذا استُشْهِدَ فابنُه محمَّدٌ أَوْلَى بِالمؤمنينَ منهُم بِأَنْفُسِهِم، وسَتُدْرِكهُ أنتَ يا حسينُ، فأَقْرِئهُ منّي السَّلامَ. ثمَّ يكونُ في عقبِ مُحمَّدٍ رجالٌ، واحدٌ بعدَ واحدٍ، وليسَ لَهُم معهُم أمرٌ. ثمَّ أعادها ثلاثاً، ثمَّ قال: وَليسَ منهُم أحدٌ إلَّا وَهو أَوْلَى بِالمؤمنينَ منهُم بِأَنْفُسِهِم، ليسَ لهم معهُ أمرٌ، كلُّهم هادُون مُهتَدون، تسعةٌ مِن وُلْدِ الحُسين.

فقامَ إليه عليُّ بن أبي طالب عليه السّلام وهو يبكي، فقال: بأَبي أنتَ وأمّي يا نبيَّ الله، أتُقْتَل؟ قالَ: نعم، أهلكُ شهيداً بالسُّمّ، وتُقتَلُ أنتَ بالسَّيف وتُخضَب لحيتُك من دَمِ رأسِك، ويُقْتَلُ ابني الحسنُ بالسُّمّ، ويُقتَلُ ابني الحسينُ بالسّيف، يقتلُه طاغٍ ابنُ طاغٍ، دَعِيٌّ ابنُ دعيٍّ، منافقٌ ابنُ منافقٍ..».

(سُلَيم بن قيس، كتاب سُلَيم)

من كرامات الشّهيد الثّاني قدس سره

«ذكرَ الشّيخ أسدُ الله الكاظميّ في مقدّمة (المقابيس): (أنّ من جملة كرامات الشّهيد الثّاني – زين الدّين الجُبَعيّ، الطّلُّوسيّ – أنّه يكتبُ بِغَمْسةٍ واحدةٍ في المداد عشرينَ أو ثلاثين سطراً. وربّما قيل أربعين أو ثمانين).

نعم، إنّ نجمَ الشّهيد قد تلألأ حتّى ملأ الدُّنيا نوراً، وصار مَهْوى أفئدةِ النّاس، فتوجّه إليه أبناءُ السُّنّة – فضلاً عن الشّيعة – ليَدرسوا على يدَيه، وأقرَّ له البعيدُ والقريبُ بطولِ الباع وسَعة الاطّلاع، وهو لم يبلغ الثّالثة والثّلاثين من عمره».

(السّيّد العامليّ، مدارك الأحكام)

من ظريف الأخبار

«من ظريف الأخبار أنّه: دخلَ شريكُ بنُ الأعور السّلميّ على معاوية. فقال له معاوية: واللهِ إنّك لَشريك، وليس لله شريك، وإنّك لَابنُ الأَعور، والبَصيرُ خيرٌ من الأعور، وإنّك لذَميمٌ، والجيّدُ خيرٌ من الذّميم، فكيف سدتَ قومَكَ؟

فقال له شريك: إنّك لَمعاوية، وما معاويةُ إلَّا كلبةٌ عَوَت واستَعْوَت، وإنّك لابنُ صخر، والسّهلُ خيرٌ من الصّخر، وإنّك لابنُ حرب، والسِّلمُ خيرٌ من الحرب، وإنّك لابنُ أُمَيّة، وهل أميّةُ إلَّا تصغيرُ أَمَة، صَغَّرْتَ فاستُصْغِرْتَ، فكيفَ صرتَ أميرَ المؤمنين؟!

فغضبَ معاوية، وخرج شريكٌ وهو يقول:

أَيَشْتُمُنِي معاويةُ بنُ صَخْرٍ ... وسَيفِي صَارِمٌ ومَعي لِسَانِي».

(المحدّث النّوريّ، نفَس الرّحمن)

ولايةُ «ابن الفارض» لأهل البيت عليهم السلام

«قال السّيّد الطّباطبائيّ، صاحب (تفسير الميزان): قال السّيّد القاضي قدّس سرّه: لابن الفارض بيتان من الشّعر يبيّنُ فيهما بوضوح اتصالَه بعقدِ الولاية لأهل البيت عليهم السّلام، حيث يقول:

ذَهَبَ العُمْرُ ضَياعاً وَانْقَضَى ... بَاطِلاً إذْ لَمْ أَفُزْ مِنْكُمْ بِشَيْ

غير مَا أوْلَيْتُ مِن عقْدِي ولا ... عِتْرَةِ المَبْعُوثِ مِن آلِ قُصَيْ».

(السّيّد الطّهرانيّ، الشّمس السّاطعة)

«كَنْزُ الفَوائد»

للفقيه الشّيخ الكَراجكيّ الطّرابلسيّ

قراءة: سلام ياسين

الكتاب: كنز الفوائد (مجلّدان).

المؤلّف: القاضي الشّيخ أبو الفتح، محمّد بن عليّ الكراجكيّ الطّرابلسيّ (ت: ٤٤٩ هجريّة).

تحقيق: الشّيخ عبد الله نعمة العامليّ.

النّاشر: «دار الأضواء»، بيروت ١٤٠٥ للهجرة.

كتاب (كنز الفوائد) من أشهر كُتب القاضي الشّيخ أبي الفتح، محمّد بن عليّ الكراجكيّ، وهو من أجلّة المُحدّثين والفقهاء والمتكلّمين، كان مُلمّاً بعلوم عصره من الطّبّ والفلسفة والرّياضيّات والفلك. وقد جال الشّيخ الكراجكيّ في عدّة بلدان لطلبِ العلم ونشرِه، وأخذَ عن جماعةٍ من أعلام الفقهاء، في مقدّمهم: الشّيخ المفيد، والشّريف المرتضى.

ولشهرة الكتاب وذيوعِ صِيته، بات مؤلِّفُه يُعرف بـ (صاحب كنز الفوائد)؛ يقول الشّيخ آقا بزرك الطّهرانيّ، في موسوعته (الذّريعة إلى تصانيف الشّيعة)، عن الكتاب: «(كنز الفوائد)، كبيرٌ في خمسة أجزاء [الطّبعة القديمة] في فنون مختلفة، وتفاسير آيات كثيرة، للشّيخ أبي الفتح محمّد بن عليّ بن عثمان الكراجكيّ، المتوفّى ٤٤٩ هجريّة، عملَه لابن عمّه، وهو مشتملٌ على أخبار مرويّة، ونكاتٍ مستحسَنة، وعدّة مختصرات عملَها مستقلّة..».

وكان الكتاب قد طُبع لأوّل مرّة على الحجر في إيران سنة ١٣٢٢ هجرّية، ثمّ أعادت (دار الأضواء) في بيروت طبعَه على الحروف في جزأين، بتحقيق الشّيخ عبد الله نعمة، معتمداً في عمله على النّسخة الحجَريّة المذكورة فقط. ثمّ أعادت (دار الذّخائر) في مدينة قم طبعه بالتّصوير على طبعة دار الأضواء، وصدر فيها سنة ١٤١٠ هجريّة.

يتحدّث الشّيخ عبد الله نعمة في مقدّمة التّحقيق عن مميّزات الكتاب، فيقول: «فهو ينبوعُ مَعين، تأخذُ منه وتستفيدُ مختلفُ الطّبقات، وعلى مختلف اتّجاهاتهم العلميّة والثّقافيّة، ويمتازُ، بالإضافة الى ذلك، في تناوله أمّهات مسائل إسلاميّة وفلسفيّة بالبحث والدّراسة العميقة، ويُسهب في عرضها ومناقشتها،

ميزةُ أسلوب الكراجكيّ بأنّه أسلوبٌ تعليميّ، وكتابُه يعكسُ اهتمامات العلماء في المسائل المطروحة في عصرِه، والتي كانت محورَ نزاعاتهم ومناظراتهم.

وتفنيدِ ما حولها من آراء أخرى، ويُدلي بالأدلّة والبراهين العقليّة والعلميّة على صحّة ما يذهبُ إليه.

كما يمتازُ بأسلوبه الواضح الخلو من التّعقيد حتّى في أدقّ المسائل الفكريّة التي عرضَها في كتابه وناقشها، كمسألة (حدوث العالم) ومسألة (الحال) التي يقول بها المعتزلة، ومسألة (الكسب) الأشعريّة، والمسائل الخلافيّة بين السّنّة والشّيعة كالإمامة، والعصمة، وسواها».

إلى أن يقول الشّيخ نعمة: «وميزةُ أسلوب الكراجكيّ في هذا الكتاب بأنّه أسلوبٌ تعليميّ، ومن هنا تجدُه يُسهب أحياناً كثيرةً في بيان ما يريد، وفي مقام النّقد والمناقشة». ويردف قائلاً: «وهذا الكتاب يعكسُ اهتماماتِ العلماء والمفكّرين في المسائل المطروحة في عصرهم، والتي أخذت كثيراً من جوانب تفكيرهم، وكانت محورَ نزاعاتهم ومناظراتهم».

هذا – وكما أشار الشّيخ الطّهرانيّ في (الذّريعة) – فقد ضمّن المؤلِّفُ كتابَه (كنز الفوائد) بعض رسائله المستقلّة، فأدرجَها فيه، وطُبع بعضُها منفرداً، ومنها: (مختصر من الكلام في أنّ للحوادث أوّلاً) – (الذّخرُ للمعاد في صحيح الاعتقاد) – (الإعلام بحقيقة

إسلام أمير المؤمنين عليه السّلام وأولاده الكرام) – (في وجوب الإمامة) – (التّذكرة بأصول الفقه) – (البرهان على طول عمر صاحب الزّمان عليه السّلام) – (رسالة في مسح الرّجلين في الوضوء) – (التّنبيه على حقيقة البلاغة) – (الإيضاح بين طريقَي الزّيديّة والإماميّة) – (الرّدّ على الغلاة) – (الرّدّ على المنجّمين) – (تفضيل الأنبياء على الملائكة).

نماذج من الكتاب

*** قال الشّيخ الكراجكيّ في فصل (في معرفة أسماء الله تعالى وحقيقتها):**

«فأمّا أسماءُ الله تعالى كلّها فعائدةٌ إلى الصّفات، لأنّها دالّةٌ على معانٍ، ومتضمّنةٌ لفوائد، وليس فيها اسمٌ يخلو من ذلك ويجري مَجرى اللّقب، إنّما وُضع [اللّقب] على شخصٍ تقعُ الإشارةُ إليه ليُفرَّقَ بينه وبين ما شاركَه في جنسِه من الأشخاص المتماثلة، ولمّا كان اللهُ تعالى يجلُّ عن المجانسة ويرتفعُ عن المماثلة، استحالَ أن يكون في أسمائه لقبٌ، ووجبَ أن يكون جميعُها مفيداً للمعاني كما تُفيد الصّفات..».

*** وقال في فصل (أنّ الله تعالى لا يكلّفُ عبادَه ما لا يُطيقون):**

«الذي يدلُّ على أنّ الله تعالى لا يفعلُ ذلك، أنّا وجدنا قد قبّحَه في عقولنا، لا لعلّةٍ من نهي أو غيره، بل جعلَ العقولَ شاهدةً بأنّه قبيحٌ لنفسه، وما كان قبيحاً لنفسِه لا للنّهي عنه، فلن يجوزَ أن يفعلَه فاعلٌ إلّا وقد خرجَ من كونه حكيماً، ولو جازَ أن يكلّفنا سبحانه وتعالى ما لا نطيق، لجاز أن يكلّفَ الأعمى النّظرَ، والأخرسَ النّطقَ، والزّمِنَ العدْوَ، ولجازَ أن يكلّف السّيّدُ منّا عبدَه ذلك، ويعاقبَه على ما لا يقدرُ عليه، وهذا كلُّه واضحُ البطلان..».

*** وفي فصل (من البيان في إعجاز القرآن) يقول:**

«فمن ذلك عجزُ بُلغاء العرب عن الإتيان بمثلِه في فصاحته ونَظمه، مع علمهم بأنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله قد جعلَه علَماً على صدقِه، وسُماعُهم للتّحدّي فيه على أن يأتوا بسورةٍ من مثله، هذا مع اجتهادِهم في دفعِ ما أتى به صلّى الله عليه وآله، وتوفُّر دواعيهم إلى إبطالِ أمرِه وفَلِّ جمعِه، واستفراغِ مقدورِهم في أذيّته، وتعذيبِ أصحابه، وطردِ المؤمنين به، ثمّ ما فعلوه بعدَ ذلك من بذل النّفوس والأموالِ في حربِه، والحرصِ على إهلاكه مع علمِهم بأنّ ذلك لا يشهدُ بكذبِه، ولا فيه إبطالُ الحجّة، ولا يقومُ مقامَ معارضتِه في ما جعلَه دلالةً على صدقِه، وتحدّاهم على الإتيان بمثلِه، وقد كانوا قوماً فصحاءَ حكماءَ عُقلاءَ خُصماء، لا يصبرون على التّقريعِ ولا يتغاضون عن التّعجيز، وعاداتُهم معروفةٌ في الشّرع إلى الافتخار، وتحدّي بعضِهم لبعضٍ بالخُطب والأشعار، وفي انصرافِهم عن المعارضةِ دلالةٌ على أنّها كانت متعذّرةً عليهم..».

إذا كان هناك كتابٌ يطابقُ اسمُه مسمّاه، ويعبّرُ عنوانُه تعبيراً صادقاً عن واقع محتواه، فهو هذا الكتاب (كنز الفوائد)، دون مبالغةٍ وتجوّز.

نصوص مفقودة من (كنز الفوائد)

أدرج المحقّق الشّيخ عبد الله نعمة فصلاً في آخر الكتاب، قال في مقدّمته: «هناك طائفة كبيرة من نصوص هذا الكتاب مفقودة، وجدناها في عدّة مؤلّفات نقلَها أصحابُها عن (كنز الفوائد)، رأينا إدراجَها في خاتمة هذا الكتاب تتمّةً للفائدة..».

وهذه النّصوص وردت في (الأنوار البهيّة) للمحدّث القمّيّ، و(فرج المهموم) للسّيّد ابن طاوس، و(البحار) للعلّامة المجلسيّ. في الأوّل رواية عن الإمام الصّادق عليه السّلام في حدود الصّلاة، وفي الثّاني سبعةُ فصولٍ في الفلك، وفي الأخير رواية عن سلمان عن رسول الله صلّى الله عليه وآله في الولاية لأمير المؤمنين وحبّه عليه السّلام.

وقد أوجز الشّيخ نعمة العامليّ أهميّة كتاب (كنز الفوائد) حيث يقول: «إذا كان هناك كتابٌ يطابقُ اسمُه مسمّاه، ويعبّرُ عنوانُه تعبيراً صادقاً عن واقع محتواه، فهو هذا الكتاب (كنز الفوائد)، دون مبالغةٍ وتجوّز».

الاستعاذةُ باللّه تعالى

إقرارٌ بالعبوديّة، ودفعٌ للشّرور

الشّيخ محمّد عليّ الأنصاري

وَرَد الأمرُ بالاستعاذة بالله سبحانه في أكثر من موضعٍ في القرآنِ الكريم، وهي في حقيقتِها طلبُ لجوءٍ إلى الله تعالى في مواطن متعدّدة.

مع كتاب (الموسوعة الفقهيّة الميسَّرة) للشّيخ محمّد علي الأنصاريّ، وقفةٌ عند مفهوم الاستعاذة وحكمة تشريعها، وأركانها، والمَواطن.

المُستفادُ من مجموع الآيات القرآنيّة الواردة في الاستعاذة أنَّها التجاءٌ إلى الله تعالى وتَحصُّنٌ به، وتوكُّلٌ عليه. فهي من جهة، إقرارٌ بالعبوديّة وإظهارٌ لها، لأنَّ التّوكُّلَ معيارٌ لصدقِ العبوديّة، ومن جهةٍ أخرى يَستدفعُ العبدُ بالاستعاذة بالله شرَّ كلِّ ذي شرٍّ، ومن أعظم الشُّرور شرُّ الشّيطان الّذي يوسوسُ في صدور النّاس. قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٩٨) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ النّحل:٩٨-١٠٠.

وقد استفادَ العلّامة السّيّد محمّد حسين الطّباطبائيّ في (تفسير الميزان) من هذه الآيات: «أنَّ المطلوبَ هو إيجادُ حالةِ الاستعاذة في نفسِ المُستعيذ، وأنَّ التّلفُّظ بلفظ الاستعاذة إنَّما هو سببٌ لإيجاد هذه الحالة».

أركانُ الاستعاذة

للاستعاذةِ أركانٌ ثلاثة:

١- **المُستعيذ:** وهو الإنسان، سواء كان مكلَّفاً أو غير مكلَّف.

٢- **المُستَعاذ به:** وهو اللهُ تبارك وتعالى، ولا فرقَ في مقام اللّفظ بين أسمائه وصفاته. وأمّا الاستعاذةُ بغيره تعالى، فلمْ أعثر على مَن تطرَّق له من الفقهاء، لكن يُمكن أن يُقال: إنْ كان التّعوُّذَ بالجنِّ، فإنّه غيرُ جائز، لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ الجنّ:٦، ولدخوله في أنواع السّحر المَنهيّ عنه. وإنْ كان بغيره، فالظّاهر جوازُه ما لم يَنتهِ إلى مُحرَّمٍ، كالشِّرك ونحوه. وعلى أيِّ حالٍ، لم تُتداول الاستعاذةُ بغير الله تعالى عندنا بلفظ الاستعاذة.

٣- **المُستَعاذ منه:** وهو كثير، وأهمُّ أفرادِه الشّيطانُ بمعناه العامّ الشّاملِ لكلِّ متمرِّدٍ من الجنِّ والإنسِ والدّوابِّ. وقد مُلئتِ الأدعيةُ المأثورةُ عن أهل البيت، عليهم السّلام، بذِكرِ ما يُستعاذُ منه، ومن جملة ذلك ما وردَ في (الصّحيفة السّجّاديّة) للإمام عليّ بن الحسين السّجّاد عليه السّلام:

«أَللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَيَجَانِ الْحِرْصِ، وَسَوْرَةِ الْغَضَبِ، وَغَلَبَةِ الْحَسَدِ، وَضَعْفِ الصَّبْرِ، وَقِلَّةِ الْقَنَاعَةِ، وَشَكَاسَةِ الْخُلُقِ، وَإِلْحَاحِ الشَّهْوَةِ، وَمَلَكَةِ الْحَمِيَّةِ، وَمُتَابَعَةِ الْهَوَى، وَمُخَالَفَةِ الْهُدَى..».

إلى أن يقول عليه السّلام: **«وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ سُوءِ السَّرِيرَةِ، وَاحْتِقَارِ الصَّغِيرَةِ، وَأَنْ يَسْتَحْوِذَ عَلَيْنَا الشَّيْطَانُ، أَوْ يَنْكُبَنَا الزَّمَانُ، أَوْ يَتَهَضَّمَنَا السُّلْطَانُ. وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ تَنَاوُلِ الإِسْرَافِ، وَمِنْ فِقْدَانِ الْكَفَافِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ، وَمِنَ الْفَقْرِ إِلَى الأَكْفَاءِ، وَمِنْ مَعِيشَةٍ فِي شِدَّةٍ، وَمِيتَةٍ عَلَى غَيْرِ عُدَّةٍ. وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الْحَسْرَةِ الْعُظْمَى، وَالْمُصِيبَةِ الْكُبْرَى، وَأَشْقَى الشَّقَاءِ وَسُوءِ الْمَآبِ، وَحِرْمَانِ الثَّوَابِ، وَحُلُولِ الْعِقَابِ. أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَعِذْنِي مِنْ كُلِّ ذَلِكَ بِرَحْمَتِكَ وَجَمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ».**

والاستعاذةُ - بصورةٍ عامّة - مستحبّةٌ بلا خلافٍ ظاهراً، نعم حُكي فيه قولٌ بالوجوبِ في بعض الموارد لكنّه شاذٌّ، كما سنُشير إليه. وتختلفُ صِيَغُ الاستعاذة بحسب مواطنها كما سيتّضح.

مواطنُ الاستعاذة

❖ **الاستعاذة قبل تلاوة القرآن:** وَرَدَ الأمرُ بالاستعاذة قبل تلاوة القرآن، في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ

ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ النّحل:٩٨. والمعروفُ بين الفقهاء والمفسِّرين أنّ الأمر هنا للاستحباب لا اللُّزوم، بل ادُّعِيَ عدمُ الخلاف فيه. نعم نُقِل عن الشَّيخ أبي عليّ - ولد الشّيخ الطّوسيّ رحمه الله - القولُ بالوجوب، لكنّه شاذٌّ وإنْ مالَ إليه العلّامةُ المجلسيّ رحمه الله.

ومحلُّ الاستعاذة قبل القراءة، وأمّا قولُه تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأۡتَ.. ﴾ فمعناه: إذا أردْتَ القراءة، مثل: إذا أكلْتَ فاغسلْ يدَيك. وأمّا صيغتُها، فالمشهور: «**أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجيم**»، ورُوي: «**أَعُوذُ بِاللهِ السَّمِيعِ العَلِيمِ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجِيمِ**»، واختارَ هذه الصِّيغة الشَّيخُ المفيد، والقاضي [ابن البرّاج]، ورجّحَها صاحبُ الحدائق [المحقِّق البحرانيّ]، وكاشفُ الغطاء، وصاحبُ الجواهر [الشّيخ الجواهريّ]، ورُوِيَت صُوَرٌ أُخَر غير مشهورة.

❖ **الاستعاذة قبل القراءة في الصَّلاة**: الاستعاذةُ قبل القراءة في الصّلاة كالاستعاذة قبل تلاوة القرآن في غير الصَّلاة، من حيث الحكم التّكليفيّ والصِّيغة. ومحلُّها على المشهور الرّكعة الأولى قبل القراءة، لكنّ يظهرُ من بعضهم عدمُ اختصاصها بالرّكعة الأولى، كصاحب الحدائق، والفاضل النّراقيّ [الشّيخ أحمد]، وصاحب الجواهر.

ويُستحبُّ الإسرارُ (الإخفات) بها على المشهور، ونُقل عن بعضهم الميلُ إلى القول بالإجهار، لِما رُوي [من] الإجهار بها. وتستحبُّ في كلِّ صلاةٍ، فريضةً كانت أو نافلةً. وكلّما سقطت القراءةُ في الصّلاة سقطت الاستعاذةُ أيضاً، لأنّها تَتبعها، كما في المأموم إذا لم يَقرأ، وصلاة الميت.

❖ **الاستعاذة عند قراءة آية النّقمة**: تُستحبُّ الاستعاذةُ عند قراءة آيةٍ فيها نقمة، أو عذاب، أو تخويف، بل قيل: إنَّها تُستحبُّ للمأموم أيضاً إذا قرأَها الإمامُ، لِما رواه الحلبيّ عن أبي عبد الله عليه السّلام، قال: «سألتُه عن الرَّجل يكون مع الإمام فيمرُّ بالمسألةِ، أو بآيةٍ فيها ذكرُ جنّةٍ أو نارٍ؟ قال: **لَا بَأْسَ بِأَنْ يَسْأَلَ عِنْدَ ذَلِكَ، وَيَتَعَوَّذَ فِي الصَّلَاةِ مِنَ النَّارِ، وَيَسْأَلَ اللهَ الْجَنَّةَ**».

والظّاهر عدمُ اختصاص الاستحباب بالقراءة في الصَّلاة، وإنْ ذكرَه الفقهاءُ فيها، لِما رواه سُماعة، قال: «قال أبو عبد الله عليه السّلام: **يَنْبَغِي لِمَنْ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ فِيهَا مَسْأَلَةٌ أَوْ تَخْوِيفٌ أَنْ يَسْأَلَ اللهَ عِنْدَ ذَلِكَ خَيْرَ مَا يَرْجُو، وَيَسْأَلَه الْعَافِيَةَ مِنَ النَّارِ وَمِنَ الْعَذَابِ**».

وروى الرّجاء بن الضّحّاك، قال: «كان الرِّضا عليه السّلام في طريق خراسان يُكثِرُ باللّيل في فراشه من تلاوة القرآن، فإذا مرَّ بآيةٍ فيها ذِكرُ جنّةٍ أو نارٍ بكى، وسألَ اللهَ الجنّة، وتعوَّذَ به من النّار».

❖ **الاستعاذة عند التّخلّي**: من آداب التّخلّي الاستعاذة، والدُّعاء بالمأثور، لِما روى معاوية بن عمّار، قال: «سمعتُ أبا عبد الله عليه السّلام يقول: **إِذَا دَخَلْتَ الْمَخْرَجَ فَقُلْ: بِسْمِ اللهِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخَبِيثِ الْمُخْبِثِ الرِّجْسِ النَّجْسِ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ..**».

وروى الصَّدوق مرسلاً، قال: «كان رسولُ الله صلّى الله عليه وآله، إذا أرادَ دخولَ المتَوَضَّأ، قال: **أَللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الرِّجْسِ النَّجْسِ، الْخَبِيثِ الْمُخْبِثِ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ..**».

وهناك موارد أُخَر ذُكِرَ استحبابُ الاستعاذة فيها، مثل: الاستعاذة عند دفنِ الميّت، وعند المخاوف، وغيرهما.

«..وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ سُوءِ السَّرِيرَةِ، وَاحْتِقَارِ الصَّغِيرَةِ، وَأَنْ يَسْتَحْوِذَ عَلَيْنَا الشَّيْطَانُ، أَوْ يَنْكُبَنَا الزَّمَانُ، أَوْ يَتَهَضَّمَنَا السُّلْطَانُ..»

الإمام السّجّاد عليه السّلام.

الاستعاذةُ بالله إقرارٌ بالعبوديّة وإظهارٌ لها، وبالاستعاذة به تعالى يَستدفعُ العبدُ شرَّ كلِّ ذي شرٍّ.

مصطلحات

العقل

تشخيصُ الصّلاح، وحَبْسُ النّفس عليه

الشّيخ حسن المصطفويّ*

«العاقل هو الّذي يحبس نفسَه ويردّها عن هواها، ومن هذا قولهم: اعتُقل لسان فلان: إذا حُبس ومُنع من الكلام». وقفةٌ مع المعاني اللّغويّة والاشتقاقات المتعدّدة لمادّة «عقل»، وتحقيقُ الأصل الواحد فيها، وبيان عدد من المعاني الاصطلاحيّة للعقل والعقلاء في القرآن الكريم، نقلاً عن كتاب (التّحقيق في كلمات القرآن الكريم) للشّيخ حسن المصطفويّ.

عقَلَ يعقِلُ عقْلاً إذا عرَفَ ما كان يجهلُه قبلُ، أو انزجرَ عمّا كانَ يفعلُه، وجمْعُه عُقول، ورجلٌ عاقلٌ، وقومٌ عقلاءُ وعاقلونَ، ورجلٌ عَقول إذا كان حسنَ الفهم، وافرَ العقل.

ومن الباب: المَعقِلُ والعقل، وهو الحصن. **ومن الباب**: العقلُ وهي الدِّية، يُقال عقلتُ القتيلَ أعقِلُه عقلاً، إذا أدّيتُ دِيَتَه. وسُمِّيَتِ الدّيةُ عقلاً لأنّ الإبلَ الّتي كانت تؤخَذُ في الدّيات كانت تُجمَعُ فتُعقَلُ بفِناء المقتول. وقيل لأنّها تُمسِكُ الدّم.

فأمّا قولُهم: فلانة عقيلةُ قومها، فهي كريمتُهم وخيارهم، ويوصَفُ بذلك السّيّدُ أيضاً، فيقال: هو عقيلةُ قومِه. وعقيلةُ كلِّ شيءٍ أكرمُه، والدُّرّة عقيلةُ البحر.

وفي كتاب (العين) [للفراهيديّ]: العقلُ نقيضُ الجهل، عقلَ يعقلُ عقلاً، فهو عاقل، **والمعقول**: ما تعقِلُه في فؤادك. وعقلَ بطنَ المريضِ بعدما استطلق: استمسك. وعقلَ المعتوهُ والصّبيّ: إذا أدرك.

وعقَلتُ البعيرَ: شددتُ يدَه بالعِقال، أي الرّباط. وكلُّ شيء حبستَه فقد عقلتَه، ولذلك سُمّيَ العقلُ، لأنّه يمنعُ عن الجهل.

والتّحقيق: أنّ الأصلَ الواحد في المادّة **هو تشخيصُ الصّلاحِ والفسادِ في جريانِ الحياةِ ماديّاً ومعنويّاً، ثمّ ضَبْطُ النّفسِ وحَبْسُه عليها**. ومن لوازمه: الإمساكُ، والتّدبّرُ، وحُسنُ الفهم، والإدراكُ، والانزجارُ، ومعرفةُ ما يحتاج إليه في الحياة، والتّحصُّنُ تحتَ برنامج العدل والحقّ، والتّحفّظُ عن الهوى والتّمايلات. وهذا حقيقةُ ما ورد في الأحاديث من أنّ له جنوداً كثيرة. فظهر أنّ التّفاسير المذكورة: إمّا مَجازاتٌ أو باللّوازم.

في القرآن الكريم

- ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ الملك:١٠.
- ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ..﴾ الفرقان:٤٤.
- ﴿..صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ البقرة:١٧١.
- ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ الأنفال:٢٢.

فعلَّل دخولَ السّعيرِ بكونِهم لا يسمعون كلماتِ الله ورسوله، ولا يعقلون حتّى يفرّقوا بين مصالح أمورِهم والمفاسد، ويضبطوا أنفسهم. ثمّ أُشير إلى أنّ المرادَ من السّمع والعقلِ ليس بسُماع أصواتٍ ظاهريّة، ولا التّعقّل في أمورٍ ماديّة صِرفة دنيويّة، بل بالنّسبة إلى ما هو الحقّ. ثمّ فسّر العقلَ بأنّ حقيقتَه روحُ القوى والحواسّ، وبانتفائه ينتفي الإحساسُ رأساً. وصرّحَ بأنّ شرَّ الدّوابّ هو الفاقدُ للعقل والتّمييز.

***

- ﴿..إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ الرّعد:٤.
- ﴿..كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ الرّوم:٢٨.

فالآياتُ الإلهيّة تدوينيّةٌ وتكوينيّةٌ لا يستفيضُ ولا يستفيدُ منها إلّا العاقلون. وإذا ضَعُف العقلُ وغُلب تحتَ سلطةِ الهوى والتّمايل، يصيرُ الإنسانُ إلى طُرقٍ فيها الخسرانُ، والضّلالُ، والفسادُ، والهَلاك.

***

- ﴿..أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ البقرة:١٧٠.
- ﴿..وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ يونس:١٠٠.
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ الحجرات:٤.
- ﴿..تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ الحشر:١٤.
- ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ الأنبياء:٦٧.

صرّح بأنّ انتفاءَ التّعقُّل يُلازمُ انتفاءَ الاهتداء إلى سبيل الحقّ، ولحوقَ الرّجسِ في الخُلُق والسّلوك. وانتفاءَ التّأدّب ورعاية حقوق العِشرة، والمجالسة، والمصاحبة، وتشتّتَ القلوبِ واختلافَها وتفرّقَها، وعبادةَ غير الله، والتّوجّهَ والتّعبّدَ لِما دون الله خارجيّاً أو لِما في النّفس.

الاستبداد
تعريفه وصفاتُه

إعداد: «شعائر»

يُفرِّق علماءُ الاجتماع بين ثلاثة معانٍ للاستبداد: الاستبدادُ لغةً، والاستبدادُ عن طريق ذكر المُرادف، والاستبدادُ عن طريق الوصف. بمعنى أنّهم - في تعريفهم للاستبداد - يفرّقون بين تلك الجوانب لاعتباراتٍ معرفيّة. ولذلك فالاستبدادُ لغةً - عندهم - يعني غرورَ المَرْءِ برأيه، والأَنَفَة عن قبولِ النّصيحة، أو الاستقلالَ في الرّأي، وفي الحقوق المشتركة.

ويُراد بالاستبداد عند إطلاقه، استبدادُ الحكومات خاصّة، لأنّها أظلمُ مظاهر أضراره الّتي جعلت الإنسان أشقى ذوي الحياة. وأمّا تحكُّمُ النّفسِ على العقل، وتَحكُّم الأستاذ والزَّوج، ورؤساء الكنيسة، وبعض الشّركات، وبعض الطّبقات، فيوصَفُ بالاستبداد مجازاً، أو مع الإضافة.

إذاً، ليس الاستبداد كما يُفهم منه لأوَّلِ وَهلةٍ ذا طابعٍ سياسيٍّ. فهناك أنماطٌ شتّى من الاستبداد؛ الاجتماعيّ، والفكريّ، والكَنَسيّ، والاقتصاديّ، والطّبقيّ. بَيْدَ أنّه - لأسبابٍ موضوعيّةٍ - أكثرُ التصاقاً بالسّياسيِّ منه بأيِّ جانبٍ آخَر.

وقد ورد تعريفُ مصطلح الاستبداد (Despotism) في الموضوعات السّياسيّة بأنّه: «حُكمٌ أو نظامٌ يَستقلُّ بالسُّلطة فيه فردٌ أو مجموعةٌ من الأفراد، دون خضوعٍ لقانونٍ أو قاعدة، ودون النّظر إلى رأي المحكومين».

وما تجدرُ الإشارةُ اليه، أنَّ المصطلح شاع في القرن التّاسع عشر في البلاد العربيّة، وخصوصاً عند مفكّري «النّهضة» في إطار ما دَرجَ الكلامُ عليه حول الاستبداد وطبائعه، وقد جاء تعريفه عند الشّيخ محمّد عبده على النّحو التّالي: «المُستبدُّ عُرفاً مَن يفعلُ ما يشاءُ، غير مسؤولٍ، ويَحكمُ بما يقضي به هَواه، وافَقَ الشَّرعَ أو خالَفَه، ناسَبَ السُّنّةَ أو نابذها. ومن أجل هذا نرى النّاس كلّما سمعوا هذا اللّفظ، أو ما يُضارِعُه، صَرفوه إلى هذا المعنى، ونفروا من ذِكره لعظم مصابِهم منه، وكثرةِ ما جلب على الأمم والشّعوب من الأضرار».

أمّا عبد الرّحمن الكواكبيّ، فيُشير إلى معنى الاستبداد بقوله: «الاستبداد في اصطلاح السّياسيّين هو تصرُّفُ فردٍ أو جمعٍ في حقوق قومٍ بالمشيئة، وبلا خوف تَبِعة، وقد تطرأُ مزايداتٌ على هذا المعنى الاصطلاحيّ فيستعملون في مقام كلمة (استبداد) كلمات: استعباد، واعتساف، وتسلُّط، وتحكُّم. وفي مقابلتها كلمات: مساواة، وحسّ مشترَك، وتكافؤ، وسلطة عامّة. ويستعملون في مقام وصف الرّعيّة (المُستَبَدّ عليهم) كلمات: أسرى، ومُستصغَرين، وبؤساء، وفي مقابلتها: أحرار، وأُباة، وأحياء، وأعزّاء».

> **يُراد بالاستبداد عند إطلاقه، استبدادُ الحكومات خاصّة، لأنّها أظلمُ مظاهر أضراره الّتي جعلت الإنسان أشقى ذوي الحياة.**

وبعد أن ينتهي من تعريف الاستبداد بأسلوب ذكر المرادفات والمقابلات، يعرّفه بالوصف، فيقول: «وأمّا تعريفه بالوصف، فهو أنَّ الاستبداد صفةٌ للحكومةِ المُطلَقة العنان فعلاً أو حُكماً، وهي الّتي تتصرّفُ في شؤون الرّعيّة، كما تشاء بلا خشيةِ حسابٍ ولا عقابٍ محقّقَين. وتفسير ذلك هو كونُ الحكومة إمّا هي غير مكلّفة بتطبيق تصرُّفها على شريعةٍ، أو على أمثلةٍ تقليديّةٍ، أو على إرادة الأمّة، وهذه حالةُ الحكومات المطلقة، أو هي مقيّدة بنوعٍ من ذلك ولكنّها تملكُ بنفوذِها إبطالَ قوّة القيد بما تَهوى، وهذه حالةُ أكثر الحكومات الّتي تسمّي نفسَها بالمقيّدة أو بالجمهوريّة».

في العلوم السّياسيّة الحديثة والمعاصرة، لا يَنأى تعريفُ الاستبداد عمّا ذَكَرَه علماءُ الاجتماع والمحقّقون في العصور المُتعاقبة. فالاستبدادُ في مآله الأخير لا يُفضي إلّا إلى الهلاك، كما في قول أمير المؤمنين عليه السّلام: «**مَن استبدَّ برأيه هَلَك**». وهذه الحكمة بقدر ما تَنطبق على الأفراد والجماعات، تنطبق أيضاً على الدُّول، والمجتمعات، والحضارات الإنسانيّة.

حِكم

من أقوال الإمام عليّ الهادي عليه السّلام

الحِكْمَةُ لَا تَنْجَعُ فِي الطَّبَائِعِ الفَاسِدَة

* «الحَسَدُ مَاحِقُ الحَسَناتِ، والزَّهوُ جَالِبُ المَقْتِ، والعُجْبُ صَارِفٌ عَن طَلَبِ العِلْمِ، دَاعٍ إلَى التَّخَبُّطِ فِي الجَهْلِ، وَالبُخْلُ أَذَمُّ الأَخْلَاقِ، وَالطَّمَعُ سَجِيَّةٌ سَيِّئَةٌ».
* «صِنَاعَةُ الأَيَّامِ السَّلْبُ، وَشَرْطُ الزَّمَانِ الإِفَاتَةُ، وَالحِكْمَةُ لَا تَنْجَعُ فِي الطَّبَائِعِ الفَاسِدَةِ».
* «الشَّاكِرُ أَسْعَدُ بِالشُّكرِ مِنهُ بِالنِّعمَةِ الَّتِي أَوْجَبَتِ الشُّكر، لِأَنَّ النِّعَمَ متاعٌ، والشُّكرُ نِعَمٌ وعُقْبَى».
* «الغِنَى قِلَّةُ تَمَنِّيكَ، والرِّضَى بِمَا يَكْفِيكَ، والفَقْرُ شَرَهُ النَّفْسِ وشِدَّةُ القُنُوطِ، والمَذَلَّةُ اتِّبَاعُ اليَسيرِ، والنَّظَرُ فِي الحَقيرِ».
* «إنَّ الظَّالِمَ الحَالِمَ يَكادُ أنْ يُعْفَى على ظُلْمِهِ بِحِلْمِهِ، وإنَّ المُحِقَّ السَّفِيهَ يَكادُ أنْ يُطْفِئَ نُورَ حَقِّهِ بسَفَهِه».
* قال عليه السّلام للمتوكِّل: «لا تَطلبِ الصَّفاءَ مِمَّن كَدَّرْتَ عَلَيه، ولا الوَفَاءَ مِمَّن غَدَرْتَ بِهِ، ولا النُّصْحَ مِمَّنْ صَرَفْتَ سُوءَ ظَنِّكَ إِلَيْه، فَإِنَّمَا قَلْبُ غَيْرِكَ لَكَ كَقَلْبِكَ لَهُ».

لغة

حجاب

الحِجَابُ: كُلُّ مَا حَالَ بَيْنَ شَيْئَيْنِ، جَمْعُهُ حُجُبٌ. وفي الحديث: «**مَا لِدَعْوَةِ المَظْلُومِ حِجَابٌ**»، «**ولَهُ دَعَوَاتٌ تَخْرِقُ الحُجُبَ**». والحِجَابُ: لَحْمَةٌ رَقِيقَةٌ كأَنَّهَا جِلْدَةٌ قد اعْتَرَضَتْ، مُسْتَبْطِنَةٌ بين الجَنْبَيْنِ تَحُولُ بينَ السَّحْرِ [الرِّئة] والقَصَبِ. وفي (الأَساس للزّمخشريّ): «ومن المَجَازِ: هَتَكَ الخَوْفُ حِجَابَ قَلْبِهِ، وهو جِلْدَةٌ تَحْجُبُ بَيْنَ الفُؤَادِ والبَطْنِ، وخَوْفٌ يَهْتِكُ حُجُبَ القُلُوبِ»، انتهى.

وكُلُّ شَيءٍ مَنَعَ شيئاً فقد حَجَبَهُ، كَمَا تَحْجُبُ الإِخْوَةُ الأُمَّ عَنْ فَرِيضَتِهَا [في الميراث]، فإنَّ الإِخْوَةَ يَحْجُبُونَ الأُمَّ عن الثُّلُثِ إلى السُّدُس، كذا في (الأَساس).

والحِجَابُ: جَبَلٌ دُونَ جَبَلِ قَاف المُحِيطِ بالدُّنْيَا، وبه فَسَّر بعضُهم قولَه تعالى: ﴿..حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ﴾ ص:٣٢.

والحِجَابُ: أَنْ تَمُوتَ النَّفْسُ وهِيَ مُشْرِكَةٌ، كَأَنَّهَا حُجِبَتْ بالمَوْتِ عن الإِيمَانِ، ومنه حديثُ أَبي ذَرٍّ رضي الله عنه أَن النَّبِيَّ صلّى الله عليه وآله، قال: «**إنَّ الله يَغْفِرُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَقَعِ الحِجَابُ**، قِيلَ: يا رسولَ اللهِ، وما الحِجَابُ؟ قَالَ: **أَنْ تَمُوت..**». "..".

وفي حديث ابن مسعود: «مَن اطَّلَعَ الحِجَابَ وَاقَعَ مَا وَرَاءَهُ»، قيل: اطِّلَاعُ الحِجَابِ: مَدُّ الرَّأْسِ، لأَنَّ المُطَالِعَ يَمُدُّ رَأْسَهُ يَنْظُر مِنْ وَرَاءِ الحِجَابِ، وهُوَ السِّتْرُ.

(الزّبيديّ، تاج العروس - مختصر)

تاريخ

زاوية مخصّصة لأوراق من التّاريخ، ترقى إلى مستوى الوثائق السياسيّة

إنّي أنتقلُ في هذه الأيّام

«العلّامة المحقّق، **الشّيخ محمّد بن الحسن ابن الشّهيد الثّاني**، قدس سره، صاحب كتاب (استقصاء الاعتبار في شرح الاستبصار) المتوفّى سنة ١٠٣٠ هجريّة.

توفّي الشّيخ محمّد (بن الحسن ابن الشّهيد الثّاني) رحمه الله، ليلة الاثنين في العاشر من ذي القعدة الحرام، سنة ألف وثلاثين من الهجرة في مكّة المكرّمة، ودُفن في منطقة المعلّى، قربَ مزارِ أمّ المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها.

وُجد بخطّ السّيّد حسين بن محمّد بن عليّ بن أبي الحسن العامليّ، ما صورةُ خطّه: (توفّي ابن خالي الشّيخ محمّد بن الحسن بن زين الدّين العامليّ في عاشر ذي القعدة الحرام، سنة ألف وثلاثين من الهجرة في مكّة المشرّفة).

قال الخوانساريّ: (فظهر من تاريخ مولده ووفاته أنّ عمره خمسون سنة وثلاثة أشهر). ثمّ قال: (وهو بعينه تاريخ وفاة شيخنا البهائيّ قدس سره البهيّ بأصفهان).

وقد كان المؤلِّف رحمه الله، قد أحسّ بدنوّ أَجَلِه، فكان يتمنّى أنْ يساعدَه الله ويُعينَه على سَكَرات الموت وما بعدَه، فقد نَقل ولدُه الشّيخ عليّ عن خطِّ **الشّيخ حسين المَشغريّ**، الّذي كان من جملة تلامذة أبيه المذكور ومُصاحبيه في مكّة المشرّفة، أنّه كتبَ بعدما رقَّم تاريخَ وفاته ليلة الاثنين، العاشر من ذي القعدة الحرام، سنة ثلاثين [بعد الألف] من الهجرة: (وقد سمعتُ منه، قدّس سرّه، قبلَ انتقاله بأيّامٍ قلائل مشافهةً، وهو يقول لي: إنّي أنتقلُ في هذه الأيّام، عسى الله أنْ يُعينني عليها، وكذا سمعَه غيري، وذلك في مكّة المشرّفة، ودفنّاه، بَرَّدَ اللهُ مضجعَه، في المعلّى، قريباً من مزار خديجة الكبرى رضي الله تعالى عنها).

وكان من كرامات هذا الشّيخ الجليل، أنّ زوجتَه بنت السّيّد محمّد بن أبي الحسن، وأمّ ولده، أخبرت أنّه لمّا تُوفّي كنَّ يسمعن عندَه تلاوةَ القرآن طول تلك اللّيلة "..."».

(عن مقدّمة استقصاء الاعتبار)

بلدان

أماكن ارتبطت أسماؤها بأحداث مفصلية أو أشخاص رياديّين

الأَيْكَة

الأَيكَة المذكورة في كتاب الله تعالى:

* في (**الرّوض المعطار**) **للحِميَري**: «قيل إنَّها مَدْيَن، وقيل مِن ساحل البحرِ إلى مَدْيَن، وقيل هي غيضةُ [شجَرٍ] نحو مَدْيَن، وهو مدينُ بن إبراهيم عليه السلام، ونبيُّهم شعيب عليه السلام، وفيهم قال اللهُ تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ الشّعراء:١٧٦، وفي آيةٍ أخرى: ﴿وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ..﴾ الحجر:٧٨-٧٩، ومن ملوكهم (أبو جاد)، و(هوّز)، و(حطّي)، على تواليها؛ فكان أبو جاد ملكَ مكّة وما يليها من الحجاز، وكان هوّز وحطّي ببلاد (وجّ) وهي الطّائف وما اتّصل بها من أرض نَجد، ومن ملوكهم أيضاً: (كَلمن) و(سَعفص) و(قريشات) ببلاد مصر.

وسلَّط اللهُ على قومِ شعيبٍ عليه السلام حرّاً شديداً أخذَ بأنفاسِهم، ثمّ بَعثَ اللهُ سبحانه سحابةً فوجدوا لها برداً، فلمّا صاروا تحتَها أرسلَها اللهُ عليهم، فذلك قوله تعالى: ﴿..فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ..﴾ الشّعراء:١٨٩، فاحترَقوا كما يحترقُ الجراد، وكانوا أهلَ كُفرٍ وبَخْسٍ في الميزان والمكيال».

* **وفي** (**معجم البلدان**) **للحمويّ**: «قيل: هي تَبوكُ الّتي غزاها النّبيّ، صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، آخرَ غزواتِه، وأهلُ تبوك يقولون ذلك ويعرفونَه، ويقولون إنَّ شعيباً، عليه السلام، أُرسلَ إلى أهل تبوك، ولم أجِد هذا في كُتب التّفسير، بل يقولون: الأيْكَةُ الغَيضةُ الملتفّةُ الأشجار، والجمع: أَيْكٌ، وإنَّ المراد بأصحاب الأَيكة أهلُ مَدْيَن. قلت: ومَدْيَن وتَبوك متجاورتان».

***

* يُشار إلى أنّ مَدْيَن تقع شمال غرب المملكة السّعوديّة، قريباً من الحدود مع الأردنّ.

قصيدة في مودّة الصِّدِّيقة الكبرى عليها السّلام

جِبْريلُ نَحْوَ العَرشِ يَرفَعُ دَمْعَها

شعر: محمّد إقبال

تطرّقَ كثيرٌ من الشّعراء والأدباء إلى عظَمة الزّهراء عليها السّلام، شعراً ونثراً؛ من أولئك محمّد إقبال (١٨٧٧-١٩٣٩م)، شاعر الشّرق وفيلسوف الإنسانيّة، الذي وُلد في سيالكوت في البنجاب، ونشأ فيها ودرس اللّغة الفارسيّة والعربيّة إلى جانب لغته الأرديّة، وحصل على درجة الدّكتواره في الفلسفة من جامعة ميونخ في ألمانيا، وعاد إلى وطنه، وأصبح رئيساً لحزب العصبة الإسلاميّة في الهند، ثمّ العضو البارز في مؤتمر «الله آباد» حيث نادى بتأسيس دولة باكستان والانفصال عن الهند. ملأ إقبال الآفاق بشعره البليغ وفلسفته العالية، وترك مؤلّفات ودواوين باللّغتَيْن الفارسيّة والأرديّة، وهذه أبيات من إحدى قصائده قالها في سيّدة نساء العالمين، فاطمة الزّهراء عليها السّلام.

نَسَبُ المَسيحِ بَنى لِمَرْيَمَ سيرَةً ... بَقِيَتْ على طولِ المَدى ذِكْراها

والمَجْدُ يُشْرِقُ مِنْ ثَلاثِ مَطالِعٍ ... في مَهْدِ فاطِمَةٍ فَما أَعْلاها

هيَ بِنْتُ مَنْ؟ هيَ زَوجُ مَنْ؟ هيَ أُمُّ مَنْ؟ ... مَنْ ذا يُدانِي في الفَخارِ أَباها

هيَ وَمْضَةٌ مِنْ نُورِ عَيْنِ المُصْطَفى ... هادي الشُّعوبِ إذا تَرومُ هُداها

هيَ رَحْمَةٌ للعالَمينَ وَكَعْبَةُ الـ ... آمالِ في الدُّنيا وفي أُخراها

في رَوْضِ فاطِمَةٍ نَما غُصنانِ لَمْ ... يُنجِبْهُما في النّيّراتِ سِواها

حَسَنٌ الذي صانَ الجَماعَةَ بَعدَما ... أَمْسى تَفَرُّقُها يَحلُّ عُراها

وَحُسَيْنُ في الأحرارِ وَالأبرارِ ما ... أزكى شَمائلَهُ وَما أَنْداها

فَتَعَلَّموا رَيَّ اليَقينِ مِنَ الحُسَينِ ... إذا الحَوادثُ أَظْلَمَتْ بِدُجاها

وَتَعلّموا حُرِّيَّةَ الإيمانِ مِنْ ... صَبْرِ الحُسَيْنِ وَقَدْ أجابَ نِداها

الأُمَّهاتُ يَلِدْنَ لِلشَّمْسِ الضِّياءَ ... وَلِلجَواهِرِ حُسْنَها وَصَفاها

هيَ أُسْوَةٌ لِلأُمَّهاتِ وَقُدْوَةٌ ... يَتَرَسَّمُ القَمَرُ المُنيرُ خُطاها

نُورٌ تَهابُ النّارُ قُدْسَ جَلالِهِ ... وَمُنى الكَواكِبِ أَنْ تَنالَ ضِياها

جَعَلَتْ مِنَ الصَّبرِ الجَميلِ غِذاءَها ... وَرَأَتْ رِضا الزَّوْجِ الكَريمِ رِضاها

فَمُها يُرَدِّدُ آيَ رَبِّكَ بَينَما ... يَدُها تُديرُ عَلى الشَّعيرِ رَحاها

بَلّتْ وِسادَتَها لآلِئُ دَمْعِها ... مِنْ طُولِ خَشْيَتِها وَمِنْ تَقواها

جِبْريلُ نَحْوَ العَرشِ يَرفَعُ دَمْعَها ... كَالطَّلِّ يَرْوي في الجِنانِ رُباها

إصدارات عربية

الكتاب: الثّغور الباسمة في فضائل السّيّدة فاطمة عليها السّلام
المؤلِّف: الحافظ جلال الدّين السّيوطيّ
تحقيق: محمّد سعيد الطّريحي
النّاشر: «دار المعمورة»، بغداد ٢٠١٣م

مؤلِّف كتاب (الثُّغور الباسمة في فضائل السّيّدة فاطمة عليها السلام)، هو الحافظ جلال الدّين، أبو الفضل، عبد الرّحمن بن أبي بكر بن محمّد المصريّ الشّافعيّ (٨٤٩ – ٩١١ للهجرة)، المعروف بالحافظ جلال الدّين السّيوطيّ.

عدّد المحقِّق محمّد سعيد الطّريحي في تمهيده للكتاب، أسماءَ بعض العلماء مِمَّن أفردوا بحثاً خاصاً بالزّهراء عليها السلام، وقد بلغت العناوين في هذا الباب، بحسب البحّاثة علي دخيّل، ثلاثمائة مصدر ومرجع.

ومن هؤلاء العلماء، الحافظ العلّامة السّيوطيّ مؤلّفُ كتاب (الثّغور الباسمة)، وهو عبارة عن رسالة تُطبع للمرّة الأولى، وقد تمّت مقابلتُها على نسختَين: الأولى من الهند، من مخطوطات «مكتبة بير محمّد شاه»، وهي نسخة كاملة، والثّانية من مخطوطات «المكتبة الظّاهريّة» بدمشق الشّام.

اعتمد السّيوطيّ في رسالته على كتُبٍ كثيرة، في مقدّمتها: الصّحاح السّتّة، ومصنّفات أخرى، منها لابن مسندة، وابن سعد، وابن عساكر، والبيهقيّ، والطّبريّ، وأحمد بن حنبل، والطّبرانيّ، وغيرهم.

أمّا مضمون الرّسالة: فقد بدأها المؤلّف بذكر حديث زواج فاطمة عليها السلام، ثمّ فصلٌ ذكرَ فيه خصائصَها ومناقبها، وآخر في سنّها ووفاتها عليها السلام. ثمّ أورد فائدتَين؛ الأولى في تعداد ما رَوَته من الأحاديث النّبويّة، والثّانية في انحصار نسل رسول الله صلى الله عليه وآله بها خاصّة دون غيرها، وختم الرّسالة بذكر أبياتٍ منسوبةٍ إليها عليها السلام في رثاء رسول الله صلى الله عليه وآله.

الكتاب: نحو أسرةٍ سعيدة
المؤلِّف: الشّيخ حبيب الكاظمي
النّاشر: «دار الولاء»، بيروت ٢٠١٢م

(نحو أسرةٍ سعيدة) كتابٌ لسماحة الشّيخ حبيب الكاظميّ، وهو كما يُوحي عنوانُه، مجموعة توجيهاتٍ فقهيّةٍ، وأخلاقيّةٍ، واجتماعيّةٍ، وقد بلغ عددُها الخمسمائة، تتعلّق بكيفيّة التّعامل بين أفراد الأسرة الصّغيرة وهي العائلة، وصولاً إلى الأسرة الأشمل، أي المجتمع.

يقول الشّيخ الكاظمي في الهدف من تأليف الكتاب: «الأسرة هي اللّبنة الأولى في بناء المجتمع الإنسانيّ، وبصلاحها يصلحُ المجتمعُ برمّته، ومن هنا فإنّ الشّريعة اهتمّت اهتماماً بالغاً بصياغة هذه اللّبنة وصيانتها من كلّ سوءٍ يمسُّها..».

يضيف سماحته: «لقد توخّينا.. تسليطَ الضّوء على أسُس التّعامل مع الغير، سواء في دائرة الأسرة الصّغيرة أو المجتمع الكبير؛ فإنّ الإنسان بإتقان التّعامل مع الآخرين، وتنقية الأجواء معهم، بل والتّأثير الإيجابيّ فيهم، يُمكنه أن يضمنَ تجنُّبَ الأذى من الغير في ما يكون هو سبباً فيه، وهذا بدوره من موجبات التّفرّغ لإصلاح الباطن والوصول إلى مرحلة القلب السّليم».

الكتاب: أهل البيت عليهم السّلام ومخالفوهم في كُتب العقائد
المؤلِّف: د. محمّد تقي مشكور
النّاشر: «باقيات»، قمّ ٢٠١٣م

جاء في التّعريف بهذا الكتاب القيّم للدّكتور محمّد تقي مشكور، والصّادر حديثاً في مدينة قمّ المقدّسة: «في اضطراب الأفكار وتناحر الإيديولوجيّات وصراع المذاهب في الآونة الأخيرة، وبعد أن أصبح العالم قريةً صغيرة، وأصبحت المعلومات الكاذبة والصّادقة تحت تناول الجميع، اشتبكتْ على النّاس الأمور، وهذا طبيعيٌّ جدّاً لـ(عوامّ) النّاس، لكنّ المشكلة أنّ المعلومات الكاذبة تسرّبت إلى (المثقّفين) وبعض الذين يُحسبون على أهل العلم، والأنكى من هذا وذاك أنّه ظهر في الآونة الأخيرة، بين الذين يُحسبون على الحوزة العلميّة الشيعيّة، أُناسٌ غرّتهم وسائلُ الإعلام الوهّابيّة إلى الحدّ الذي التزموا أفكارَهم الهدّامة في الهجوم على أتباع أهل البيت عليهم السلام. وهنا تبرز أسئلة كثيرة عن أسباب هذه الظّاهرة؛ هل هي ظاهرة سليمة أم أنّها ظاهرة مرَضيّة، وما هي أسبابها؟ الجواب نجده في مقدّمة الكتاب وفي طيّاته ممّا سطّره المؤلّف».

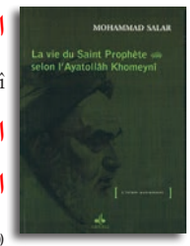

الكتاب: «حياة النّبيّ ﷺ في نصوص الإمام الخمينيّ»

La Vie du Saint Prophète selon l'Ayatollâh Khomeynî

المؤلّف: محمّد سالار

النّاشر: «البراق»، باريس ٢٠١٤م

«حياة النّبيّ الأعظم محمّد بن عبد الله ﷺ في نصوص الإمام الخمينيّ»، كتابٌ صدر حديثاً بالفرنسيّة للباحث الإيرانيّ محمّد سالار، ويعرض فيه المحطّات الأساسيّة للسّيرة النّبويّة المطهَّرة كما وَرَدت في مؤلّفات الإمام روح الله الخمينيّ قدس سره.

يبيّن الكاتب المكانة الّتي تتصدَّرها السّيرة النّبويّة الشّريفة في فكر الإمام الخمينيّ، وخصوصاً لجهة كونها تشكّل السَّبيل الأقوم لنجاة البشريّة، انطلاقاً من التّأسيس النّبويّ لمكارم الأخلاق.

يتطرّق الباحث إلى جملةٍ من الأركان قامت عليها رؤية الإمام الخمينيّ لحياة النّبيّ ﷺ. ومنها:

- الاختيار الإلهيّ للنّبيّ الأعظم بوصفه خاتَم النّبوّات والشّرائع.
- الدّعوة الى التّوحيد الخالص.
- مبدأ العدل في الإسلام انطلاقاً من حياة النّبيّ ﷺ وتوجيهاته.
- المبشِّر بقيامة الدِّين القيِّم على يد وارث الحقيقة المحمّديّة، صاحب الزّمان المهديّ المُنتظَر عجل الله فرجه.

(نقلاً عن مركز دلتا للأبحاث)

الكتاب: «حقوق المرأة وحرّيّتها في فكر الإمام الخامنئيّ»

L'Imam Khamenei – La Femme: droits, liberte et hijab

النّاشر: «البراق»، باريس ٢٠١٤م

صدر حديثاً في باريس كتابٌ يتضمّنُ نصوصاً للإمام السّيّد عليّ الخامنئيّ، تتناولُ قضيّةَ المرأة في الإسلام، في ضوء القرآن والسُّنّة المطهَّرة.

النُّصوص الّتي تُرجِمت إلى اللّغة الفرنسيّة جرى اختيارُها من مجموعة مؤلّفات صدرت للإمام الخامنئيّ في الآونة الأخيرة، وتتعلّق بحقوق المرأة في مجال العمل في الشّأن العامّ الاجتماعيّ، والعلميّ، والسّياسيّ، وفي إطار الالتزام بالضّوابط الشّرعيّة الّتي تحفظ للمرأة مكانتها، وكرامتَها، وعفافَها.

أهمّيّة هذا الكتاب أنّه يتوجّه إلى المرأة في العالم الإسلاميّ كما في بقية العالم، ويوضّح رؤية الإسلام الأصيل لواحدةٍ من أبرز القضايا المجتمعيّة في عالمنا المُعاصِر.

(نقلاً عن مركز دلتا للأبحاث)

الكتاب: «الفئة المتوحّشة – جنون الرّأسماليّة»

La Caste Cannibale – Quand Le Capitalisme Devient Fou

المؤلّف: صوفي كوانيار ورومان غوبير

النّاشر: «Albin Michel»، باريس ٢٠١٤م

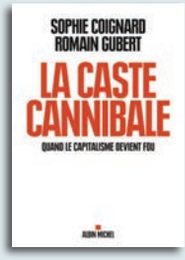

يعيش العالم حالياً عصر العولمة بنسختها اللّيبراليّة الجديدة؛ إذ انتصرت الرّأسمالية على المنظومة الاشتراكيّة، بعد انهيار جدار برلين في بدايات شهر تشرين الثّاني/ نوفمبر من عام ١٩٨٩م، لكنّ «نشوة الانتصار» قادت إلى جنوحٍ ومبالغاتٍ في سلوك أصحاب القرار الرّأسماليّين.

هذا ما يشرحه الصّحافيّان الفرنسيّان العاملان في مجلة «لو بوان – Le Point» الأسبوعيّة: صوفي كوانيار Sophie coingard، وروما غوبير Romain Gubert، في كتابهما: «الفئة المتوحّشة»، مع عنوانٍ فرعيٍّ أكثر وضوحاً في دلالته على مضمون الكتاب حيث يقول: «عندما تغدو الرّأسماليّة مجنونة».

(نقلاً عن مركز دلتا للأبحاث)

«هدى القرآن»

(١٢)

صدر عن «جمعيّة القرآن الكريم» في بيروت العدد الجديد من مجلّة «هدى القرآن»، وهي تُعنى بالثّقافة القرآنيّة. وممّا نقرأه في العدد الجديد:

- الافتتاحية: الطّريقة الصّحيحة لفهم القرآن الكريم.
- الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه في القرآن والسُّنّة.
- خطاب الإمام الخامنئي دام ظله في حشدٍ من قرّاء القرآن الكريم.
- الحُجُب المانعة من فهم القرآن الشّريف والاستفادة منه.
- الحياة الآخرة هي الحياة الحقيقيّة السّرمديّة والواقعيّة.
- آثار ودوافع الغِيبة.
- تفسير صورة يوسف عليه السلام.
- التّفسير على ضوء السُّنن الاجتماعيّة.
- حقوق الأبناء في الكتاب والسُّنّة.

وبضميمة العدد الجديد، صدر أيضاً عن «جمعيّة القرآن الكريم»، العدد الرّابع عشر من مجلّة «نافذة من السّماء»، وهي مجلّة مصوّرة للأحداث، تتضمّن مواضيع قرآنيّة وتربويّة قيّمة، بلغةٍ ميسّرة ومحبّبة عند الأطفال والنّاشئة.

«الحفيظ»

(١٤)

صدر العدد الرّابع عشر من مجلّة «الحفيظ»، وهي شهريّة قرآنيّة، تصدر عن «دار القرآن الكريم» في العتبة الحسينيّة المقدّسة.

من الموضوعات الّتي نقرأها في هذا العدد:

- «الدّلالة البلاغيّة في خواتيم الآيات القرآنيّة» بقلم السّيّد علي الموسوي.
- «كيف نزرع حبّ القرآن الكريم في نفوس الأطفال» إعداد هيئة التّحرير.
- «عبقات من قصّة النّبيّ موسى عليه السّلام» للسّيّد صادق المدرّسي.
- سيرة القارئ الشّحّات محمّد أنور.

كما ونطّلع من خلال هذا العدد على الأنشطة القرآنيّة والاجتماعيّة لـ «دار القرآن الكريم»، ومن ضمنها زيارة إلى مرقد السّيّدة زينب عليها السّلام في الشّام في أجواء ولادتها، وموضوعات قرآنيّة وثقافيّة متنوّعة.

«نجاة»

(٣٥)

صدر العدد الأخير من مجلّة «نجاة»، المتخصّصة في شؤون المرأة والمجتمع، والّتي تصدر عن «المجمع العلميّ للتّربية والثّقافة المعاصرة»، برعاية «جامعة المصطفى صلّى الله عليه وآله العالميّة»، فرع لبنان.

تناول هذا العدد ملفّاً خاصّاً عن «حياء المرأة»، ومن الموضوعات الّتي عالجها:

- «الحياء في منظومة القِيَم الإسلاميّة» للشّيخ محمّد زراقط.
- «كيف نعزّز صفة الحياء عند الفتاة؟» للدّكتور يوسف أبو خليل.
- «حياؤها لا يمنعُها من العمل» بقلم الحاجّة ريما فخري.
- تحقيق: «الحياء بين الجرأة الممدوحة والمذمومة» لزهراء عودة.

ومن عناوين العدد الأخرى، نقرأ:

- «النّظريّة المهدويّة: وظيفة الغَيبة ومنهج القراءة» للشّيخ محمّد شقير.
- «فقه الحياة» للشّيخ إسماعيل حريري.
- «أدب الطّفل والمطالعة: ليسا تَرَفاً» بقلم زينب طحّان.

وغيرها من العناوين الثّقافيّة، والاجتماعيّة، والصّحّيّة.

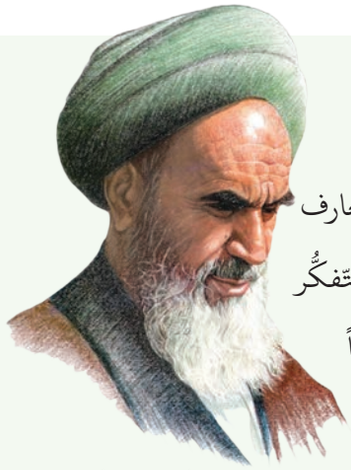

التَّفَكُّر طَلَبٌ، وَالتَّذَكُّر وُجُودٌ

اِعلَمْ أنَّ التّذكُّرَ مِن نتائج التّفكُّر، ولهذا يعتبرون مقامَ التّفكُّر مقدَّماً على مقام التّذكُّر. يقول العارف الشّيخ عبد الله الأنصاريّ: «التَّذَكُّرُ فَوْقَ التَّفَكُّرِ، فَإِنَّ التَّفَكُّرَ طَلَبٌ وَالتَّذَكُّرَ وُجُودٌ»، إذ إنَّ التّفكُّر طلبٌ للمحبوب، والتّذكُّر حصولٌ للمطلوب. فما دامَ الإنسانُ يطلبُ ويبحث يكون محجوباً عن مطلوبه، وعندما يصل إلى محبوبِه يتحرَّر من عَناء البحث والتّفتيش.

إنَّ قوّة التّذكُّر وكمالَه، يرتبطان بقوة التّفكُّر وكماله. والتّفكُّرُ الّذي يُفضي إلى التّذكُّر التّامّ للمعبود، لا يُساوي الأعمالَ الأخرى ولا يُقاس في الفضيلة بها. ففي الأحاديث الشّريفة أنّ تفكّرَ ساعةٍ أفضلُ من عبادةِ سنةٍ واحدةٍ، أو ستّين عاماً، أو سبعين عاماً. ومن الواضح أنَّ الغاية من العبادات وثمرتَها المهمّة، حصولُ المعرفة والتّذكُّرُ للمعبود الحقّ. والحصولُ على هذه الخاصّيّة من التّفكُّر الصّحيح، أحسنُ من الحصول عليها من طريق العبادة؛ إذ لعلّ تفكُّر ساعةٍ واحدةٍ، يفتح أبواباً من المعارف على السّالك، لا تفتحُها عبادةُ سبعين سنة، أو أنَّ في تفكُّرِ ساعةٍ واحدةٍ تذكُّرٌ للإنسان بحبيبِه سبحانه، ما لا يتأتّى مثلُه مع المشاقّ والمساعي المُجهدة فترةَ سنين عديدة.

واعلم أيُّها العزيز أنَّ تذكُّرَ الحبيب، والتّفكُّرَ فيه دائماً، يُثمِر نتائج كثيرةً للطّبقات كافّة.

أمّا الكُمّل والأولياء والعرفاء: فإنّ تذكُّرَ الحبيب في نفسه غايةُ آمالهم، وفي ظلِّه يبلغون جمالَ حبيبهم. هَنِيئاً لَهُمْ! وأمّا عموم النّاس والمتوسِّطون منهم: فهو أفضلُ مُصلحٍ للأخلاق والسُّلوك، وللظّاهر والباطن.

إذا عاشَ الإنسانُ مع الحقّ سبحانه وتعالى في جميع الأحوال وكافّة المستجدّات، وشاهد نفسَه أمام الذّات المقدّس عزَّ شأنُه، لَأَحْجَمَ عن الأمور الّتي تُسخِطُ الله، ورَدَعَ نفسَه عن الطُّغيان. إنَّ المشاكلَ والمصائبَ المنبثقةَ من النّفسِ الأمّارة والشّيطانِ الرّجيم، قد نشأتْ عن الغفلةِ عن ذكرِ الحقّ وعذابِه وعقابِه. إنَّ الغفلةَ عن الحقّ تُضاعِفُ كُدورةَ القلب، وتُمكِّنُ النّفسَ والشّيطانَ من التّحكُّم في الإنسان، وتُسبِّبُ زيادةَ المفاسد على مرّ الأيام.

وتذكُّرُ الحقّ جلَّ شأنُه يبعثُ على صفاء النّفس وصَقْلِها، ويجعلُها مَظهراً للمحبوب، ويُوجب صفاءَ الرُّوح ونقاءَها، ويحرِّرُ الإنسانَ من أغلال الأَسْر، ويُخرِجُ حبَّ الدُّنيا - الّذي هو رأسُ الخطايا ومصدرُ السّيّئات - من القلب، ويجعلُ الهمومَ همّاً واحداً، والقلبَ نظيفاً وطاهراً لورود صاحبِه، الحقّ جلّ وعلا.

فيا أيُّها العزيز، مهما تَتحمَّل من الصِّعاب في سبيل الذِّكر والتّذكُّر للحبيب - الحقّ سبحانه - كان ذلك قليلاً. روِّضْ قلبَك على تذكُّر المحبوب، لعلّ اللهَ يجعلُ صورةَ القلب، صورةً لِذكرِ الحقّ، وكلمةَ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» الطّيّبة، الصّورةَ النّهائيّة والكمالَ الأقصى للنّفس، فإنّه لا زادَ أفضلُ منه للسُّلوك إلى الله سبحانه، ولا مُصلحَ أحسنُ منه لعيوب النّفس، ولا رفيقَ أجدى منه في المعارف الإلهيّة. فإذا كنتَ طالباً للكمالاتِ الصّوريّة والمعنويّة، وسالِكاً لطريق الآخرة ومهاجراً ومسافراً إلى الله، اجعلْ قلبَك معتاداً على تذكُّر المحبوب، واعجِنْ قلبَك بذِكرِ الحقّ تبارك وتعالى.

أطلبها من المكتبات

شعائر

مجلّة شهرية
تُعنى بالمعرفة الدينية الإسلامية
والثقافة الأخلاقية
تصدر عن المركز الإسلامي في بيروت

تصدر بداية
كل شهر هجري

www.saraer.org - info@saraer.org

لمشاهدة البث المباشر:
www.saraer.org/live.php

مشهد لمقام السيّدة زينب عليها السّلام – الشام

www.saraer.org/shaaer
shaaer@saraer.org